الفرقان
في
تفسير القرآن
بالقرآن والسنة

تأليف

محمد الصادقي

انتشارات فرهنگ اسلامي

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفرقان

۱۵ - ۱۶

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الکتاب الفرقان فی تفسیرالقرآن
المؤلف الشیخ الدکتور محمد الصادقی
الجزء الخامس عشر ـ السادس عشر
سورة الکهف ـ مریم
الطبعة الثانیة
المطبعة مطبعة أمیر ـ قم
الناشر انتشارات فرهنگ اسلامی ـ طهران
تلفن ۶۲۰۰۸۴
سنة الطبع ۱۴۰۰هـ ق ـ ۱۳۶۵ هـ ش
عدد المطبوع ۳۰۰۰

سماحة الشيخ
الدكتور محمد الصادقي

الفرقان
في تفسير القرآن
بالقرآن والسنة

الجزء الخامس عشر والسادس عشر

سورة الكهف - مريم

دار التراث الإسلامي
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

كافة الحقوق محفوظة ومسجلة

الطبعة الأولى
١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(۱۸) سورة الكهف مكية
وآياتها عشر ومائة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل
لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا
حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ
ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ
كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾

فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا
ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا
لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا
صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾

المحور الرئيسي في الكهف هو تصحيح العقيدة وتثبيتها وإصلاح المنهج الفكري والنظري واقامة القيم القيّمة بميزان الله ، فيها ابتداء بالحمد لله منزل الكتاب القيم الحاوي تلكم القِيَم ،وانتهاء بالعمل الصالح ونفي الشرك ، وبينهما قصص منقطعة النظير في سائر القرآن ترأسها الكهف وتختمها قصة ذي القرنين وبينهما قصة الجنتين ، وقصة موسى مع خضر ، وإشارة الى قصة آدم وابليس ، وهذه القصص تستغرق احدى وسبعين من عشر ومائة من آي السورة ، ثم وما تتبقّى منها تعقيبات على قصصها وإلى بعض مشاهد القيامة وسائر الحياة ام ماذا من مذكرات هذه القصص ، فإنها ليست مجرد قصص تروى ، بل هي حقائق تاريخية تُلقى كدروس منضجة للعقول منتجة في كل الحقول لمن القى السمع وهو شهيد .

ولماذا قصة الكهف بين قصصها تختص إسم السورة بنفسها ؟ لأنها كهف لمن يفر بدينه ، كهف للمتمسكين بالتوحيد ، المستقيمين فيه ، المحافظين عليه ، والتوحيد هو حجر الأساس فيما يتبناه القرآن في سوره كلها ، فلتكن هذه كهفا بينها .

﴿الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً[1] قيماً لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذي يعملون الصالحات ان لهم اجراً حسناً﴾[2]

«الحمد لله » تستغرق كل حمد من كل حامد ولكل محمود فتحصره في الله ، لأنه الله ، وتحسره عمن سوى الله لأنه سوى الله ، ثم لأنه «رب العالمين » كما في فاتحة الكتاب ، ربوبية تكوينية وتشريعية للعالمين ككل ، وهنا لأنه «انزل على عبده الكتاب » فانه كأنه هو ربوبيته كلها ، فانه الغاية القصوى من خلق الكون بمن فيه العالمون ، فالحمد لله لأنه «انزل على عبده الكتاب » كالحمد لله لأنه «رب العالمين » !

و «انزل » اللّامحة بنزول دفعي كما التنزيل هو التدريجي ـ لا يعني هنا نزوله في ليلة القدر حيث الغاية المعنية هنا «لينذر . . ويبشر » لا تناسب إلّا تفصيل الكتاب المنزل ، اللهم إلّا اعتباراً للكتاب المفصل أمراً واحداً طيًّا عن طول الزمان وعديد النزول ، بل « الكتاب » ككل .

ولماذا «على عبده » لا محمدٍ ولا الرسول ؟ علّه للتدليل على الشرط الأصيل في ذلك الإنزال التنزيل وهو العبودية القمة ، فبانزال الكتاب على عبده تحصل الرسالة ! .

ثم و «عبده» مفرداً كانه هو عبده لا سواه ، دون عبد من عباده ؟ تلميحاً لأنه في قمة العبودية ، لا يساوىٰ ولا يسامىٰ «قل إن كان للرحمن ولد فانا أوّل العابدين» .

فمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) «عبده» كأنه فقط لا سواه ، فلا نجد «عبده» في اشرف المواقف إلّا إياه «انزل الفرقان على عبده» «فاوحى الى عبده» «هو الذي ينزل على عبده» «اليس الله بكاف عبده» اللّهم إلّا «ذكر رحمة ربك عبده زكريا ، اذ نادى ربه نداءً خفياً»[1] ولكن «زكريا» هنا تبين انه لولاه لما عرف بـ «عبده» .

وكذلك القرآن كتابه «الكتاب» كل الكتاب كأن لا كتاب سواه ، كتاب في القمة ينزل على (عبد) في القمة ولأنه يحوي كل كتابات الوحي وزيادة !

ثم «ولم يجعل له عوجاً ، قيماً» حالان وصفيتان ، أولاهما سالبة تسلب عنه كل نقص وانحراف ، واخرهما ايجابية تثبت له كل كمال ، وهذه طريقة مثلى في كل تعريف كامل وكما في اسس الاسلام «لا اله إلّا الله» تخلية ثم تجلية .

والعوج فتحاً هو ما يدرك بالبصر سهلاً ، وكسراً ما يدرك بالبصيرة ، فلا يرى ارباب البصيرة في القرآن ونبيه انحرافاً واعوجاجاً وفطوراً : «فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئاً وهو حسير» (٦٧ : ٤) قرآناً عربياً غير ذي عوج» (٣٩ : ٢٨) وحقيقته ان يكون فيما يصح عليه ان ينتصب ، ويميل ويضطرب ويستقيم ،

---

(١) على الترتيب ٢٥ : ١ ـ ٥٢ : ١ ـ ٥٧ : ٩ ـ ٢٩ : ٢٦ و١٩ : ٢ .

فقد يجعل الله ما يتوارد عليه الحالتان فهو غير معصوم ، أم لا يتوارد له الا حالة واحدة كما القرآن ونبي القرآن ، فالعصمة لزامهما دون نكوب عن المنهاج ولا هوة الاعوجاج .

والقيم هو مؤكد القيام والقوام ، تعنيهما «قيّماً» ايأ كان ، قواماً في نفسه إذ يهدي للتي هي اقوم ، وقياماً في دعوته إذ يقوّم القاعدين ويستيقظ النائمين ،

في سائر القرآن لا نجد قيوماً إلّا الله ولا قيماً إلّا القرآن وقد يقرنان : « الله لا إله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق » (٣:٢) فمن قيموميته نزل ذلك الكتاب القيمّ ، فهو قيمّ كما الله منزله قيوم ، باق يدوم ما بقي الدهر دون تحرّف او نسخ .

فالقرآن قيّم كما نبي القرآن ، والدين منهما وبينهما قيمّ «فاقم وجهك للدين القيِّم من قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله » (٣٠ : ٤٣) «رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة . فيها كتب قيِّمة » (٩٨ : ٣) «وذلك دين القيّمة » (٩٨ : ٥) وأقوم القيمّ في هذا الدين والكتاب قِمة التوحيد القيمة «امر الا تعبدوا إلّا إياه ذلك الدين القيِّم » (١٢ : ٤٠) وكما ينبو من الفطرة التي فطر الناس عليها ؛ «ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون » (٣٠ : ٣٠) .

ثم «له » في الحال الاولى تعني «عبده » و «الكتاب » على البدل ، كما الجملة حال عن الإنزال ، فتعني : انزل «ولم يجعل له عوجاً » : إنزال دون عوج ، كما ومُنَزل دون عوج : الكتاب ، ومَنزِل دون عوج «عبده» حال مثلثة عن ثلاث : إنزالاً ومُنَزلاً ومنزلاً !

و «قيماً »حال مربعة ، هذه،والله،فانه قيمّ وإنزاله قيمّ وكتابه قيمّ وعبده قيم !

ومن العوج في إنزال الكتاب الوحي ان يشتبه بوحي الشيطان او ينسى ، ومن العوج في «عبده» نقصان في مثلث العصمة : تلقياً وإلقاءً وتطبيقاً لوحي الكتاب ، ومن العوج في الكتاب ، تعرضه لتحريف او نسخ ، او عوج له في دلالة او مدلول أما ذا « قرآناً عربياً غير ذي عوج » .

وكما الله قيم ، فانزاله «الكتاب» قيم وكتابه قيم ورسوله قيم بقمة العبودية وقوامتها أمّاذا من لزامات الرسالة بالوحي .

فكل عوج من العوج عن الثلاث منفية ، وكل قوامة وقيام للاربع مثبتة .

ولماذا «لم يجعل» والعبد دون اتصال بالوحي اعوج دون ان يُجعل له عوج ، وهو متصلاً بالوحي ليس له عوج ؟

وهكذا الأمر في الكتاب ، وأما الأنزال فطالما العبد متصلاً بالوحي ليس له عوج ؟

علّ جعل العوج في «عبده» ان ينقص من كماله الرسالي كما في الكتاب من كماله في الوحي ، فلان الوحي والرسالة يقتضيان كمالاً دون عوج ، فلا يتصور لهما عوج إلاّ ان يجعل لهما عوجاً .

وما هو الهدف في ذلك الإرسال مختصراً لا مختصراً ؟ : «لينذر باساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجراً حسناً . ماكثين فيه ابداً »

وترى ما هو البأس الشديد ؟ ومن لدن مَن هو ؟ انه بأسَ شديد من الله عذاباً في الدنيا واشد منه في الاخرى ، وبأس شديد من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حرباً منه ومحارباً هو من لدنه كعلي (عليه السلام) فانه من رسول الله وحربه منه فمن لدنه : الله ، يعم عذابات الله ، ومن لدن رسول الله : يعم لدنه متصلاً : حربه ، ومنفصلاً محاربه الذي هو من لدنه[1] .

---

(١) فضمير الغائب راجع الى الله اصالة ، والى الرسول رسالة ، رجوعاً بدلياً الى كل على =

«من لدنه» تتعلق بالمستقر المحذوف «كائناً» لينذر بأساً كائناً من لدنه، لا لينذر من لدنه لانه من توضيح الواضح!

فنتيجة عدم القوام بهذا القيّم، بأس في الحياة الدنيا ومعيشة ضنك: «من اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة اعمى» «بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى» (٥٩: ١٤) ثم بأس اشد في الأخرى: «والله اشد بأساً واشد تنكيلاً» (٤: ٨٤).

«ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات» فغير المؤمنين التاركين الصالحات يُنذرون بأساً شديدا، والمؤمنون العاملون الصالحات يبشرون أجراً حسناً، فاين هم المؤمنون التاركون الصالحات؟ طبعاً هم عوان بين ذلك، لا الى بأس شديد ولا أجر حسن. لهم بأس قدر ترك الصالحات، ولهم أجر قدر الإيمان والحسنات «ماكثين فيه ابداً».

هؤلاء في بأس شديد واولاء في أجر حسن.

ومن بين المنذرين مَن هم من انحسهم واسوءهم ادباً لرب العالمين:

وينذر الذين قالوا اتخذوا الله ولداً[٤] ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون إلّا كذباً[٥]».

«اتخذ ولداً» ولادة او تشريفاً «ما لهم به من علم» جنس العلم أياً كان «ولالآبائهم» الذين هم على اثارهم مقتدون، مقلدٌ جاهل ومقلَّد جاهل في قوله جاهلة قاحلة «كبرت كلمة تخرج من افواههم» ولا ترتبط

= حدّه، ومن باسهم في الاولى في التأويل ام عموم الدلالة كمصداق جلي وفي بأس الحرب الامام علي (عليه السلام) وهو من لدن رسول الله كما في تفسير العياشي عن البرقي عمن رواه رفعه عن ابي بصير عن ابي جعفر (عليه السلام) لينذر بأساً شديداً من لدنه قال: البأس الشديد علي وهو لدن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قاتل معه عدوه فذلك قوله: «لينذر بأساً شديداً من لدنه».

بعقولهم وأفكارهم فلا تتجاوز الأفواه ، فالكلمات العاقلة العالمة تخرج من نبعة العلم ومصدر العقل ثم تصل الى الفم، فـ « ان يقولون إلا كذباً » ذا بُعدين ، حيث تناحر كلمتهم تلك لا فقط الواقع بل وعقولهم إذ « ما لهم به من علم » !

فهناك صدق مطلق : قول يوافق مثلث العقيدة والعمل والواقع مسنوداً الى دليل بارع ، وكذب مطلق : لا يستند الى علم نفسي ولا علم تقليدي ولا يوافق الواقع ، ومن أكذبه ما يستحيل دليلاً وواقعاً كالقول « اتخذ الله ولداً » فـ « إن يقولون إلاّ كذباً » تحصر قولتهم تلك في كذب على كل ابعاده ، عريقاً في الكذب حيث يستحيل صدقه لاستحالة واقعه والدليل عليه .

وبينهما صدق وكذب نسبيان ، كمن يقول ما لايعتقده ولا يعمل وفقه رغم انه واقع كقولة المنافقين «نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون » فانها صادقة بجنب الواقع وكاذبه في نفسه اذ لا يعتقده .

او يقول ما يعتقده ويخالف الواقع ، وافقه عملياً او خالفه ، وهو يعاكس قول المنافقين ، فاردء دركات الكذب هو المطلق المستحيل ، ثم المطلق الممكن ، ثم ما يخالف العقيدة ثم المخالف للواقع ، ثم ما خالفه عمله .

كما واصدق الصدق هو المطلق الواجب ثم ما بعده نازلاً فنازلاً .

والقائلون اتخذ الله ولداً ، كاذبون في ابعاده كله : [١]لا علم لهم شخصياً [٢]ولا تقليدياً [٣]فلا يعتقدون ما يقولون [٤]ولا يوافق الواقع [٥]ولن يوافقه [٦]ولن يجدوا له ولداً [٧]ولن يجدوا لقولهم برهاناً ، فهم في دركاتهم السبعة الجهنمية من كذبهم فـ «ان يقولون إلاّ كذباً » !

وإنها كلمة خاوية المدلول لا تحوي معنى بأي معنىً ، إذ لا تدل على

واقع معتمد ولا الواقع المطلق ، اذاً فهي «كبرت» في الاكاذيب اذ ليس فيها إلاّ كَذِبٌ ، معناها فظيع ، وفحواها عظيم ، فكبرت الكلمة كلمةً تخرصاً في ذات الله دون تحرّس .

﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم إنْ لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً﴾

لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين» (٢٦ : ٣) «فلا تذهب نفسك عليهم حسرات» (٣٥ : ٨) وبخوع النفس هو قتلها غماً وهماً ، وكان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يتحسر على تركهم الايمان كأنه باخع نفسه ، فنهاه الله تعالى عن ذلك تحنناً عليه وتلطفاً ، وما «لعل» هنا إلاّ موضع ترج لموقف الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من دعوته لو خلي وطبعه والله ينهاه تحنناً وتعطفاً عليه لا انه تعالى يترجّاه و حاشاه ! .

و «هذا الحديث» هو القرآن كما ونبي القرآن حديث «او لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلاّ نذير مبين . اولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض . . فبأي حديث بعده يؤمنون» (٧ : ١٨٥) وكما الله ثالث اثنين حديث : «فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون» (٤٥ : ٦) والقرآن ونبيه من آياته ، احاديث ثلاثة لا تعني حدثاً ولا سيما في الله ، وإنما ما يتحدث عنه ناصعاً مبرهَناً لاخفاء فيه ، إلاّ في القرآن ونبيه فانهما من حديث حادث اضافة ناقصة عن حديث الله غير الحادث، ومن الطريف الظريف ان هذا الحديث القرآن يعم الثلاثة في بُعدين ، ثانيهما انه اهم حديث في القرآن حيث يتحدث عن الله ، ويتحدث عن نفسه وعن رسول الله ، تعريفات ثلاث بمثلث الحديث !

و«آثارهم» هي الأثرات السيئة في الحياتين فهي من مخلّفات «لم يؤمنوا بهذا الحديث» فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ، ولا تبخع على آثارهم أسفاً ! . . أو ان آثارهم خلفهم ، تلاحقهم لتلحقهم قاتلاً نفسك

خلفهم «ان لم يؤمنوا . . » ألا يا صاحب الرسالة السامية ؟ انت تؤدي واجبك ثم وما عليك الا يهتدوا فـ « لا تحزن عليهم ولاتك في ضيق مما يمكرون » (١٦ : ١٢٧) « إنْ عليك إلاّ البلاغ وعلينا الحساب » .

وفي الحق حقيق لحامل رسالة ودعوة ان يبخع نفسه اذا قصّر في رسالته ، والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ما قصر ولن : فلماذا البخوع أسفاً ؟ .

وغير حقيق له ان يبخع لماذا الله ما حملهم على الهدى وهم مصرون على الردى ، فان الله لا يحمل احداً لا على هدى ولا ردى ، فلماذا البخوع اسفاً ؟؟

وغير صحيح ان يبخع لماذا هم مصرون على الضلالة ، وهو تقصير منهم لا منه فلماذا البخوع أسفاً على آثارهم : خلفهم ـ وعلى آثارهم باعمالهم فـ «ليس عليك هداهم» «إن عليك إلاّ البلاغ » ؟

وقد بلغت وما اهتدوا وليس الله ليهدي قوماً يخالفونه الى الردى «فلا تذهب نفسك عليهم حسرات » !

﴿ إنّا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً [٧] وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جزراً ﴾[٨] .

والناس بالنسبة لما على الأرض الزينة منقسمون الى ناس انسان ، ونسناس حيوان : «يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون » (٣٠ : ٧)

وهؤلاء يعلمون «ان الدار الآخرة لهي الحيوان » (٢٩ : ٦٤) «فمن ابصر اليها اعمته ومن ابصر بها بصرته »[١] فـ «ما على الأرض زينة لها » لا

---

(١) من وصف الامام علي (عليه السلام) للدنيا بين الناظرين اليها .

هي غاية للحياة عليها ولا باقية وإنما «متاع قليل ثم الينا يرجعون» !

فلماذا «زينة لها» معاصرة للعائشين عليها دائرة؟ «لنبلوهم ايهم احسن عملاً» ! ابصاراً لها فإخلاداً اليها او ابصاراً بها فزهداً فيها ! «ليبلوكم أيكم احسن عقلاً واورع عن محارم الله واسرعكم في طاعة الله»[1] حيث العاقل ينظر الى هذه الزينة الفانية إبصاراً بها الى ما وراءها ، لا إبصاراً إليها كغاية قصوى ، فهو اذاً فيها وَرِع عن محارم الله سَرِع في طاعة الله ! لا هَلِع ولا هَرِع في زينتها ! ولماذا «أيكم احسن عملاً» ؟ وهم القلة القليلة ، لا «أسوء عملاً» وهم الكثرة الكثيرة ؟ لأن الهدف الرئيسي من البلاء بزينة الحياة الدنيا هو التسابق في حسنات الأعمال مهما قل أصحابها ، دون سيآتها مهما كثر اصحابها .

ومن آيات اندثارها واندحارها «وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً» .

الصعيد هو المرتفع الصاعد حيث تصبح الأرض بما عليها يوم قيامتها كتلة مرتفعة كلها ، «جرزاً» لا نبات فيها[2] ، قاحلة لا ماء فيها ولا كلاء : «فيذرها قاعاً صفصفاً . لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً (٢٠ : ١٠٧).

فالجرز ماخوذ من «ناقة جَروز» إذا كانت كثيرة الأكل لا يكاد لحياها

---

(١) الدر المنثور ٤ : ٢١١ ـ اخرج ابن جرير وابن ابي حاتم وابن مردويه والحاكم في التاريخ عن ابن عمر قال: تلا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هذه الآية : «لنبلوهم ايهم احسن عملاً ـ فقلت : ما معنى ذلك يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)! قال : . .

(٢) في تفسير القمي في رواية ابي الجارود عن ابي جعفر (عليه السلام) في قوله تعالى: «صعيداً جرزاً» قال: لا نبات فيها .

يُسكنان من قضم الأعلاف ونشط الأعشاب ، كـ«سيف جُراز» اذا كان يبرى المفاصل ويقطُّ الضرائب ، فسميت ارض القيامة جرزاً إذ كانت كأنها اكلت نبتها فلم تدع منه نابغة ولا تركت طالعة !.

«لنبلوهم» تلمّح ان افعال الله تعالى مُغّياة لحكم وأغراض ، وهنا «زينة لها» لغرض الإبتلاء ، فالدنيا دار بلاء برخائها وعنائها واكثرها عناء ، والغرض الأسمى من الإبتلاء التسابق في الحسنى ان يتذرعوها الى الله زلفى «أيكم احسن عملاً»؟ فليست السوائل أو التسابق فيها من اغراضها .

وترى ان الله يبلو عباده اختباراً واستعلاماً وهو علام الغيوب، فانه يعلم السّر واخفى ؟ كلا ! وإنما الابتلاء بالخير والشر كدحاً الى ربهم كدحاً ليتكاملوا ، وليعلموا هم انفسهم مَن هم ، فعند الإمتحان يكرم المرء او يُهان !

فالله يعلم مسايرهم ومصائرهم ولكنه يبلوهم لكي يزهد من يزهد ، ويزهو من يزهو ، فيجزي على ما يصدر منهم فعلاً ، بما يحصل منهم في هذه البلوى عملاً ، وهنا يسكت عمن لا يحسنون صنعاً حيث الهدف الاسمى «أيكم احسن عملاً» ؟ فلهذه الزينة نهاية محتومة ، ستعود الأرض عنها جرداء لا ماء فيها ولا كلاء !.

أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ
وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى

ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا
مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ
سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ
لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ
إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ
قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾
هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم
بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾
وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ
يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم
مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ * وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن
كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ

ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن
يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا
مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ
ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ
لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ
رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ
مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ
أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ
فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ
وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ
يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾
وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ
ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟

ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَـٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ
أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَـٰثَةٌ
رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا
بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ
بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً
ظَـٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ
لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ
وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ۖ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى
لِأَقْرَبَ مِنْ هَـٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَـٰثَ
مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ
لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم
مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾

﴿ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً﴾(٩):

ثماني عشرة آية تنزل تعريفاً بقصة اصحاب الكهف ، تتقدمها اية الإستعجاب من عَجَب قصتهم في حُسبان ، فآيات الله كلها عجب وليست فقط قصة اصحاب الكهف وفيها اعجب منها ، ومنها حسب الروايات رأس الحسين (عليه السلام) المجذوذ حيث تكلم وقرأ آيات من الكهف الى «ام حسبت » فقيل : «امرك اعجب »![1] .

ولأن «عجباً » مصدر تلمح الى ان القصة كانت في حسبان من أعجب العَجَب ، وعلّ من عجبها ترك الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الإستثناء بمشيئة الله لما سئل عنها فقال : «اني فاعل ذلك غداً » اطمئناناً بربه انه يوحي اليه بها ، واستعجالاً لجوابهم ، لذلك تتقدم القصة بعد احتباس الوحي ردحاً من الزمن آية التأنيب بهذا العجب «ام حسبت » فـ «ام » عطف على محذوف يناسب المقام كـ «احسبت انك تملك وحي ربك فقلت : «اني فاعل ذلك غداً » دونما استثناء بمشيئته ؟ «ام حسبت . .

---

(١) نور الثقلين ٣ : ٢٤٢ ح ١٥ في الخرايج والجرايح عن المنهال بن عمرو قال: والله أنا رأيت رأس الحسين (عليه السلام) حين حمل وانا بدمشق وبين يدي رجل يقرأ الكهف حتى بلغ قوله « أم حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً» فانطق الله تعالى الرأس بلسان ذرب طلق قال : اعجب من اصحاب الكهف حملي وقتلي وفي ١٦ في كتاب المناقب لابن شهر آشوب وروى ابو مخنف عن الشعبي انه صلب رأس الحسين (عليه السلام) بالصياف في الكوفة فتنحنح الرأس وقرأ سورة الكهف الى قوله : «انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى »، وسمع ايضاً يقرأ « ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً »

عجباً » ؟ فاسرعت في وعد الجواب ام ماذا ؟[١] .

لا هذا ولا ذاك «انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى » . . .

وإن في احتباس الوحي عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لطف خفي ، وآية هي اعظم وأدل على نبوته من إخباره بقصة اصحاب الكهف ام ماذا ؟ فلو لم يكن رسولاً ما اخرهم في طائل من الزمن[٢] فوحي القرآن وآياته اعجب من هذه القصص !

---

(١) المصدر ح ٢٩ في تفسير علي بن ابراهيم القمي حدثني ابي عن ابن ابي عمير عن ابي بصير عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال : كان سبب نزول سورة الكهف ان قريشاً بعثوا ثلاثة أنفار الى نجران : النضر بن الحارث بن كلدة وعقبة بن المعيط والعاص بن وائل السهمي ليتعلموا من اليهود والنصارى مسائل يسألونها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فخرجوا الى نجران الى علماء اليهود فسألوهم فقالوا : اسألوه من ثلاث مسائل فان اجابكم فيها علي ما عندنا فهو صادق ثم سلوه عن مسألة واحدة ، فان ادعى علمها فهو كاذب ـ وهي مسألة وقت الساعة ـ الى ان قال : فرجعوا الى مكة واجتمعوا الى ابي طالب فقالوا يا ابا طالب ان ابن اخيك يزعم ان خبر السماء يأتيه ونحن نسأله عن مسائل فان اجابنا عنها علمنا انه صادق وان لم يخبرنا علمنا انه كاذب فقال ابو طالب : سلوه عما بدا لكم فسألوه عن الثلاث (اصحاب الكهف ـ موسى وخضر ـ ذي القرنين) فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) غداً اخبركم ولم يستثن فاحتبس الوحي عليه اربعين يوماً حتى اغتم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وشك اصحابه الذين كانوا آمنوا به وخرجت قريش واستهزؤ وا وآذوا وحزن ابو طالب فلما كان بعد اربعين يوماً نزل عليه سورة الكهف فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : يا جبريل لقد ابطأت ! فقال : انا لا نقدر ان ننزل إلّا باذن الله تعالى فانزل الله عز وجل : « ام حسبت » يا محمد » ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً » ثم قص قصتهم فقال « اذا اوى الفتية . . » .

(٢) اختلفت الروايات في انه احتبس يومين او ٣ ـ ٤ ـ ١٢ ـ ١٥ ـ ٢٥ ـ او ٤٠ والاخير هو الاقرب كما يأتي عن تفسير القمي عن الامام الصادق (عليه السلام) .

وتسلية لخاطره الاقدس تنزل عليه سورة الضحى « . . ما ودّعك ربك وما قلى . . » وإنما احتباس الوحي كنفس الوحي وجهة من التربية الربانية .

فلقد كان الرسول زمن الاحتباس في حالة مزرية مضرعة مريبة ، إذ بدر الوحي الحبيب من الحبيب مسلياً خاطر الحبيب ومربيّاً له «أم حسبت . . ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلّا ان يشاء الله وأذكر ربك اذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشداً » وهذا في أُخريات القصة لكيلا يفاجأ في بدايتها بنص التنديد ، اللهم إلّا تلميحاً مليحاً مريحاً : « ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً » ؟

لا تحسب انها عجب وفي آياتنا ما هي اعجب ، فانت بقرآنك ورسالتك في قمة العجب[1] ولذلك تفتتح السورة بما افتتحت تقييماً للكتاب ونزوله ومنزّله « قيماً » من منزّله القيّوم فحمداً له كل الحمد[2] ! .

ترى وَمَن هم اصحاب الكهف والرقيم ، هل هم أصحاب الكهف وآخرون اصحاب الرقيم ، وقد اهمل عن ذكر الآخرين ؟ وهذا خلاف البلاغة في أدناها فضلاً عن اعلاها ! فهم جماعة واحدة تعرف بالكهف والرقيم .

ثم الكهف معروف فما هو الرقيم ؟ إنه المرقوم وعلّه على باب

---

(١) الدر المنثور ٤ : ٣١٢ ـ اخرج ابن ابي حاتم عن ابن عباس في آية العجب : يقول إني آتيتك من العلم والسنة والكتاب افضل من شأن اصحاب الكهف والرقيم وبنفس من مجاهد كانوا بقولهم عجب آياتنا ليسوا باعجب آياتنا .

(٢) لم يكن ذلك الحسبان من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بل ممن سألوه فهو من باب اياك أعني واسمعي يا جاره ، فقد كان الرسول يعيش أعجب آيات ربه ومنها نفسه المقدسة بقرآنه وسنته ! .

الكهف[١] تعريفاً بحالهم ، ويؤيده قرن الكهف بالرقيم ، رقيماً للكهف بأصحابه فهما واحد كأصحابها جماعة واحدة ، لا اسم القرية التي خرجوا منها[٢] فانهم تركوا صحبتها الى الكهف فليسوا من اصحابها ! اللهم إلاّ اشارة الى الحالتين المختلفتين ، ولكن لا تعرف لحد الآن بلدة الرقيم ! او قد تجمعهما الرقيم ! رقيماً على باب الكهف رُقم فيه مبدأهم ومأواهم !

وأما ان الرقيم هو كلبهم ، فذلك هتك لساحتهم انهم اصحاب كلب ، او الكلب صاحبهم ، ثم لا يعرف كلبٌ رقيم ، أبَعْدَما اهمل عن اسمائهم هنا يبرز كلبهم باسمه وهم صحبوه ؟!

﴿ اذا اوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيِّىء لنا من امرنا رشداً[١٠] فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً[١١] ثم بعثناهم لنعلم ايُّ الحزبين احصى لما لبثوا امداً[١٢] ﴾ .

هذه الثلاث بين الثمانية عشرة في قصتهم اجمال عن تفصيل ، يضم ما فعلوه وقالوه : «إذا أوى الفتية . .» وما فعله الله أوّلاً «فضربنا . .»

---

(١) نور الثقلين ٣ : ٢٤٤ ح ٢١ العياش عن محمد عن احمد بن علي عن ابي عبد الله (عليه السلام) في الآية قال : هم قوم فروا وكتب ملك ذلك الزمان باسمائهم واسماء آبائهم وعشائرهم في صحف من رصاص وفي الدر المنثور ٤ : ٢١١ عن ابن عباس قال : الرقيم الكتاب وعن ابي صالح قال : الرقيم لوح مكتوب وعن سعيد بن جبير قال : الرقيم لوح من حجارة كتبوا فيه قصة اصحاب الكهف وامرهم ثم وضع على باب الكهف وعن السدي قال : الرقيم حين رقمت اسماؤهم في الصخرة كتب الملك فيها اسماءهم وكتب انهم هلكوا في زمان كذا وكذا في ملك ريبوس في سور المدينة على الباب قول هذا قول جميع اهل المعاني والعربية ثم كما يأتي احتمال آخر للرقيم انهم ثلاثة من اصحاب الكهف رقموا خالصات اعمالهم ! .

(٢) الدر المنثور عن ابن عباس قال : الرقيم واد دون فلسطين قريب من ايله .

واخيراً «ثم بعثناهم . . » طياً لها باختصار دون احتصار : «ام حسبت . . إذا اوى . . »[١] استعراضاً لخطوطها الرئيسية كبراعة استهلال ومن ثم التفصيل .

«اذا اوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيّىء لنا من أمرنا رشداً »[٢] .

---

(١) « الى الكهف » دون ومن الرقيم من الشاهد انه ليس البلدة التي خرجوا منها ثم ولم يأت ذكرها في تفصيل القصة وعلى اية حال فالروايات مختلفة في انهم جماعة واحدة ام جماعتان وظاهر القرآن الوحدة .

ثم مختلف الروايات في « الرقيم » اهو اسم البلد الذي خرجوا منه او الوادي الذي فيه الكهف او جبله او اسم كلبهم ، او هو لوح من حجر او رصاص او نحاس او ذهب رقم فيه اسماءهم واسماء ابائهم وقصتهم ووضع على باب الكهف او داخله او معلقاً على باب المدينة او في بعض خزائن الملوك ، او انه لوحان ، اثنى عشر وجهاً في الرقيم وما في المتن هو الانسب والله اعلم .

(٢) في قصة اصحاب الكهف روايات متضاربة بعضها خلاف نص القرآن او ظاهره ، وبعضها لا توافق القرآن ولا تخالفه وثالثة توافق نص القرآن أو ظاهره ومن الثالث الا في البعض من مواضيعها ومن اسلمها ما رواه القمي في تفسيره حدثنا ابي عن ابن ابي عمير عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال : كان سبب نزول سورة الكهف ـ الى قوله في القصة ـ : سألوا رسول الله عن الثلاث المسائل فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : غداً أخبركم ولم يستثن فاحتبس الوحي عنه اربعين يوماً حتى اغتم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وشك اصحابه الذين كانوا آمنوا به وفرحت قريش واستهزؤ وا وآذوا وحزن ابو طالب فلما كان بعد اربعين يوماً نزل عليه سورة الكهف فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : يا جبرئيل لقد ابطأت ؟ فقال: انا لا نقدر ان ننزل الا باذن الله فانزل الله تعالى: « ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً » ثم قص قصتهم فقال : اذ آوى الفتية الى الكهف . .

قال : فقال الصادق (عليه السلام) : ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا في زمن ملك =

= جبار عات وكان يدعو اهل مملكته الى عبادة الاصنام فمن لم يجبه قتله وكان هؤلاء قوماً مؤمنين يعبدون الله عز وجل ووكل الملك بباب المدينة ولم يدع احداً يخرج حتى يسجد للاصنام فخرجوا هؤلاء بعلة الصيد وذلك انهم مروا براع في طريقهم فدعوه الى امرهم فلم يجبهم وكان مع الراعي كلب فأجابهم الكلب وخرج معهم .

قال (عليه السلام): فخرج اصحاب الكهف من المدينة بعلة الصيد هرباً من دين الملك فلما امسوا دخلوا الى ذلك الكهف والكلب معهم ، فالقى الله عليهم النعاس كما قال الله : « فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً » فناموا حتى اهلك الله ذلك الملك واهل المدينة وذهب ذلك الزمان وجاء زمان آخر وقوم آخرون ، ثم انتبهوا فقال بعضهم لبعض : كم نمنا ها هنا ؟ فنظروا الى الشمس قد ارتفعت فقالوا : نمنا يوماً او بعض يوم ثم قالوا لواحد منهم خذ هذه الورق وادخل المدينة تنكراً لا يعرفونك فاشتر لنا طعاماً فانهم ان علموا بنا وعرفونا قتلونا او ردونا في دينهم ، فجاء ذلك الرجل فرأى مدينته بخلاف التي عهدها ورأى قوماً بخلاف اولئك لم يعرفهم ولم يعرفوا لغته ولم يعرف لغتهم فقالوا له : من انت ؟ ومن اين جئت ؟ فاخبرهم فخرج ملك تلك المدينة مع اصحابه والرجل معهم حتى وقفوا على باب الكهف واقبلوا يتطلعون فيه فقال بعضهم هؤلاء ثلاثة رابعهم كلبهم وقال بعضهم خمسة سادسهم كلبهم وقال بعضهم سبعة وثامنهم كلبهم ، وحجبهم الله بحجاب من الرعب فلم يكن يقدم بالدخول عليهم غير صاحبهم فانه لما دخل عليهم وجدهم خائفين ان يكونوا اصحاب دقيانوس شعروا بهم فأخبرهم صاحبهم انهم كانوا نائمين هذا الزمن الطويل وانهم آية للناس فبكوا وسألوا الله ان يعيدهم الى مضاجعهم نائمين كما كانوا .

ثم قال الملك : ينبغي ان نبني ها هنا مسجداً نزوره فان هؤلاء قوم مؤمنون فلهم في كل سنة تقلبان ينامون ستة اشهر على جنوبهم اليمنى وستة اشهر على جنوبهم اليسرى والكلب معهم باسط ذراعيه بفناء الكهف وذلك قوله تعالى : « نحن نقص عليك نبأهم بالحق » الى آخر الآيات .

وهذه الرواية وهي اسلم روايات القصة قد تخالف آياتها في مواضيع .

منها ان المختلفين في عدتهم هم الذين اعثرهم الله عليهم ! وهم برؤيتهم على اية حال عارفون عدتهم ، و « سيقولون ثلاثة . . » تحول الاختلاف في عدتهم عنهم الى الآتي ! . =

تطلبوا من الله رحمة لدنية في البداية ورشداً في النهاية ، وكأن «رحمة» او منها «فضربنا على آذانهم . . » : تخلصاً من جبّارهم وهم أحياء دونما حاجة الى شراب وغذاء ! وكأن «رشداً» او منه «ثم بعثناهم . . » رشداً لهم ولمن عثروا عليهم !

«اوى الفتية الى الكهف» كما امرهم الله «وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلّا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويُهيِّء لكم من أمركم مِرفقاً» وطبعاً بإلهام دون وحي ، والأوي تلمح بفرارهم في اعتزالهم عما سوى الله وايمانهم بالله «فقالوا ربنا : . . » التماساً مما وعدهم وقد حقق لهم ، ولم تكن تلك الرحمة وذلك الرشد بالإمكان وهم بين الطغات المستكبرين.

هنا «من لدنك» تدل على مدى هيمانهم لرحمة بعد ما لاقوا من ضغط بغيض ونقمة ، رحمة لدنية عن نقمة شيطانية ، ثم تهيئة فيها من امرهم الإمر رشداً : لهم ولمن سواهم ، ومن رحمته «زدناهم هدى[١٢] . وربطنا على قلوبهم[١٤]» ومن الرشد من امرهم هدى من اهتدى بذكراهم واقتدى بهداهم !

﴿فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً﴾[١١]

هنالك مثلث من زوايا الحياة وراء اليقظة التامة ؛[١] نعسة يسمع فيها الأذن ضرباً على البصر وهو نوم نسبي [٢]ونومة لا يسمع فيها الأذن ، والقلب حيّ ضرباً على الأذن ، حيث ينام بعد البصر ، وهو نوم مطلق . و[٣] موتة عن الحياة الدنيا الى حياة برزخية ضرباً على القلب ، والحياة في مثلثها هذه باقية على درجاتها ، وهنالك موتة مطلقة «اذا نفخ في الصور

= ومنها نومتهم الثانية، وهم لم يموتوا ولا تحمل نومتهم حكمة والقرآن يحيل اطلاع الرسول عليهم وهم نائمون «لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً . . » !.

ومنها تقلبهم في كل سنة مرتين ، وماذا يفيدهم ذلك التقلب البعيد ، وان كان لا تضاد آية التقلب، الا انها لا تلائمها، ثم هي بعيدة في الواقع ! .

فصعق من في السماوات ومن في الأرض » ومن ورائها حياة مطلقة « ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون » ! .

«فضربنا على آذانهم » هي النومة المطلقة ولكن لا كالعادة المستمرة وإنما «سنين عدداً » !

وترى ماذا تعني «عدداً » و«سنين » وهو جمع ، لا محالة عدد ؟ قد تعني استقلالاً لما استكثر من سنيِّهم » « ثلاثمائة سنة وازدادوا تسعاً» فهنالك رَقدات وموتات ام ماذا من خوارق العادات اكثر من هذا العدد .

فالسنين العدد هنا كدراهم معدودة في يوسف (٢٠) ونفياً عن عجب القصة ؛ «ام حسبت . . » ام وزيادة هنا هي ان سنيِّهم معدودة معلومة كعددهم ! .

إن الضرب التام على الأذن يسبقه نوم البصر ويقارنه نوم القلب دون موته ، وقد يعبر عنه بتغشية النعاس التي هي حدث صغير من الأحداث : «إذ يُغشِّيكم النعاس أمنة منه . . » (٨ : ١١) واليقظات الثلاث في الإنسان : بصراً وأذناً فقلباً لمّا تُغَشَّى بالنعاس فهنالك يتم النوم ويطّم ، وقد يستمر باستمرار سببه عادياً كما في سائر النوم ، أم خارقاً للعادة كما في ذلك النوم ، حيث ضرب فيه على آذانهم سنين عدداً حين يضرب على آذان الآخرين ساعات ، فلم يكن موتاً ولا كنوم الآخرين وانما نومة خارقة العادة (١) .

---

(١) وقد يعنيه «اماتهم» فيما يرويه الطبرسي في الاحتجاج عن ابي عبد الله (عليه السلام) حديث طويل يقول فيه : وقد رجع الى الدنيا ممن مات خلق كثير منهم اصحاب الكهف اماتهم الله ثلاثمائة عام ثم بعثهم في زمان قوم انكروا البعث ليقطع حجتهم وليريهم قدرته وليعلموا ان البعث حق (نور الثقلين ٣ : ٢٥٢ ح ٢٩) .

فالضرب على آذانهم سنين إبطال لمفعولياتها في سنين دون صمم ، ولكنما الضرب على القلب يبطل حياته فهنالك الموت وان كان الى امد كما في عزير والمختارين من قوم موسى أمن ذا ، فهذا احسن تعبير واشمله لرقدتهم في سنين ، في حين « تحسبهم ايقاظاً وهم رقود » كأن لم يضرب على ابصارهم وهم مضربون عن الإبصار !

فانما « ضربنا على آذانهم » فاصبحوا كمن ضُرِب سماخه فهو موقوذ مأموم ومشدوه مغمور[١] .

﴿ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين احصى لما لبثوا امداً﴾[١٢] .

«بعثناهم » عن نومهم فالبعث ضروب شتى وهو منها : «هو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرمتم بالنهار ثم يبعثكم فيه » (٦ : ٦٠)

«لنعلم » أبعدَ جهل ؟ والله بكل شيء عليم » ! ام تحققاً لمعلومه ؟ وغير فصيح ولا صحيح ان يعبر عنه بـ«نعلم » ! وهما اذا كان من العِلم ، ام هو من العَلم لنجعل مبعثهم علامة : « اي الحزبين احصى . . » كما في امثالها العشرة الأخرى في سائر القرآن [٢] ؟ .

وهذا هو الصحيح الفصيح .

---

(١) هذه الخمسة تعني على الترتيب خرق الاذن ـ ضربٌ يشرف الى الموت ـ مشجوج ـ المشدوخ الرأس، المغمى عليه، ننقل هذه الجملة الجميلة عن السيد الشريف الرضى من كتابه مجازات القرآن ص ٢٠٨ .

(٢)وهو من علَم يعلَم علْماً يعني جعل علامة (لسان العرب)، ومن الشاهد عليه اضافة الى الآيات المحكمات في الخيطة العلمية الإلهية ان « نعلم يعلم » في مواردها الاحدى عشر تدخل اما على مفرد «لنعلم الصابرين منكم» او جملة كمفرد كما هنا ، وهو بكسر العين يدخل على مفعولين .

وترى من هما الحزبان ؟ اهما حزب الايمان اصحاب الكهف وحزب الكفر المختلفان في امد لبثهم إحصاءً ؟ ولم يسبق ذكر عن حزب الكفر ، ولا انهم بقوا الى بعثهم ، ولا انهم عرفوا كهفهم حتى يحصوا لبثهم !

ام هما من اصحاب الكهف انفسهم حيث افترقوا فيما احصوا من لبثهم : « وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم . . » .

و «أحصى » فعلاً من الإحصاء ، فايهما احصى وأيّ ما احصى ، فالمحصي «قالوا ربكم اعلم » عالمين انهم لبثوا ردحاً بعيداً من الزمن يعلمه الله ، وغير المحصي «قالوا لبثنا يوماً او بعض يوم » ثم الاولون كملوا إحصاءهم حيث بعثوا احدهم بورقهم فتبين لهم كم لبثوا ؟

ثم و «احصى » افعل تفضيل فهما أحصيا والاولون احصى من الآخرين ، ولكن الآخرين لم يحصوا اللّهم إلّا ظاهراً من نومتهم بآية الشمس غاربة فيوم ام زائلة فبعض يوم !(١) .

وجهان اوهما اوجه ولثانيهما وجه بعيد او علّهما معنيان ان الآخرين احصوا وان كان إحصائهم لا يحسب بشيء ، والإحصاء الصحيح العِلم انهم لبثوا أمداً بعيداً لا نعلمه ، ثم الاصح الاعلم «ربكم اعلم بما لبثتم » إحصاء أو لا إحصاء غلط ، ثم إحصاء صحيح ، ومن ثم إحصاء اصح هو من الله .

﴿نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدىً[١٣] وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه الهاً لقد قلنا اذاً شططاً[١٤] ﴾ .

---

(١) قال ابو علي الفارسي « احصى » ليس من باب افعل التفضيل لان هذا البناء من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس .

الى مشهد التفصيل من قصتهم شرحاً لما اجمل ، اترى هنا تفصيلاً عن كلما حصل من غث وسمين؟ وهذه حكاية تاريخية وليست قصة ! وإنما «نقص» قصاً «نبأهم» فالنبأ خبر ذو فائدة عظيمة ، والله يقص أنباء ما قد مضى من غيرها ، إصطفاءً للمفيد منها نبراساً ينير الدرب على العالمين.

هنالك في التأريخ مزيج مما يفيد : «أنباءً» وما لا يفيد أو يقل ، ومن المفيد ما هو حق وما هو باطل[١] والقرآن يقص منها انباء الحق «نحن نقص عليك نبأهم بالحق» قصاً بالحق عما هو حق مصاحباً لذكرى الحق[٢] حقٌ صُراح لا يشوبه باطل في أي حقل !

«إنهم فتية . .» : مربع من التعريف برجال القصة : «فتية ـ آمنوا ـ زدناهم ـ وربطنا» كل ذلك يربطها برباط القيام في كلمة التوحيد : «ربنا رب السماوات . . لن ندعو من دونه إلهاً» ثم تزييف الشرك في ربوبيته «لقد قلنا إذاً شططاً» !

﴿انهم فتية﴾ : الفتى هو الطري من الشباب وقد يطلق على كل طريٍّ شاباً ام غير شاب ، وكما يروى ان اصحاب الكهف كانوا كهولاً[٣] ولفتوتهم في طراوة حريتهم ورجولتهم سموا فتية، وإلاّ لماذا «فتية» لا أناس

---

(١) فقد يختلق امر فيه تقوية لجانب الحق ولكن الغاية لا تبرر الوسيلة .

(٢) بالحق هنا حال من القص ومن النباء وظرف للقص بباء المصاحبة .

(٣) نور الثقلين (٣ : ٣٤٥ ح ٢٥) في روضة الكافي علي بن ابراهيم (رض) قال : قال : ابو عبد الله (عليه السلام) لرجل : ما الفتى عندكم ؟ فقال : الشاب ، فقال : لا الفتى المؤمن ، ان اصحاب الكهف كانوا شيوخاً فسماهم الله عز وجل فتية بايمانهم . وفي الدر المنثور اخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اصحاب الكهف اعوان المهدي (عليه السلام) وفي البرهان عن ابن الفارس قال الصادق (عليه السلام) وسبعة من الكهف يعدهم من اصحاب المهدي (عليه السلام) .

ام رجـال ؟ ثم ولا اثـر هنـا عن مشـاغلهم ومنـاصبهم[١] . إلا أنهم فتيـة الايمان والقيام .

« آمنوا بربهم » في قلوبهم بصرامة وصراحة .

﴿ ٣وزدناهم هـدىً ﴾ كـما هي سنـة الله : « ويـزيـد الله الـذين اهتـدوا هدىً » .

﴿ ٤وربطنا عـلى قلوبهم ﴾ ربـاطـاً يحجـزهم عن الشتـات ، تثبيتـاً لأقدامهم في هذا القيـام والإقدام « وليـربط على قلوبكم ويثبت بـه الاقدام » (٨ : ١١) مـزيداً لـلإيمان : « إن كـادت لتبدي بـه لولا ان ربـطنا عـلى قلبهـا لتكون من المؤمنين » (٢٨ : ١٠) .

فالربط هو الشد بالرباط كربط الأسير : شده بالحبل والقِدِّ ، فـ «ربطنا » هنا يعني شددنا على قلوبهم كما تُشد الأوعية بالأوكية فتنضم على مكنونها ، ويؤمَن التبدُّد على ما استودِع فيها ، شددنا عليها لكيلا تنحل معاقد اصـطبارهـا وتهفو عـزائم جلدها ، ولـماذا « ربطنـا على » وهي متعـدية بنفسـهـا ؟ لأن ربط القلوب وهو رفـع التمزق والتقلب في معتـرك الاحـوال ، لا يكفي استقـامـة نـاصعـة ، فليـربط عـلى قلوبهم سكينـة من ربهم بعـد ربطها ، ولكي يقوموا في معركتهم الصاخبـة ضد الـطاغوت ومتـطلباتـه ، لا فحسب ان يظلوا على عقيدة التوحيد قاعدين فيها دون قائمين . .

فكما سألوا الله «آتنا من لدنك رحمة » تعني رحمة خاصة بعد رحمتي الهدى وزيادتها ، فالله ربط على قلوبهم بهذه الرحمة اللدنّية ولكي يقوموا :

---

(١) في بعض الروايات ان الفتيـة كانـوا من اولاد الملوك ، وفي اخرى من اولاد الاشـراف وفي ثـالثة : من اولاد العلماء وفي رابعـة انهم كـانـوا حـاميـين يعملون في بعض حـمامـات المـدينة وفي خـامسـة انهم كـانـوا من وزراء الملك يستشيـرهم في امـوره وفي سـادسـة انهم سبعة سابعهم كان راعي غنم لحق بهم هو وكلبه في الطريق .

﴿إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً لقد قلنا اذاً شططاً﴾(١٤).

أقياماً في قولة جوفاء ؟ ولا تحتاج هكذا قولة الى ربط على قلوبهم والى قيام والله منها براءٌ ! بل قياماً في العمق في قولة صادقة عن قلب مربوط بالايمان في توحيد الله لحد يُحيل الإشراك بالله : «لن ندعو من دونه إلهاً» ولا في لفظة قول «لقد قلنا إذاً شططاً» : مفرطاً في البعد عن الحق(١) أفبعد الايمان ومزيده وبعد ان ربط الله على قلوبنا نفرط في ذلك البُعد السحيق من اللا ايمان ؟ كلاّ ولن . . .

ولأن قول «ربنا رب السماوات . .» ومعه قمة الايمان لا يحتاج الى قيام ، فليكن قولاً جاهراً بين جماهير الناكرين ، في ظرف تذوب فيه القلوب وتتفتت فيه الأكباد وترتاع له النفوس وتقشعر الجلود اذاً فهو قيام في بعدي الايمان إعلاناً بعد إسرار بكل صمود واصرار ، يحيل الارتجاع الى الشرك : «لن ندعو من دونه . .» قاطعين آمال المشركين ، منقطعين عن كل عمل إلاّ لله وعن كل أمل إلاّ في الله ! وقد تلمح «لن» ان هناك كانت عليهم ضغوط تحملهم على الإشراك بربهم ! .

ولكن ذلك توحيد قائم متجاهرٌ باهرٌ لا يقصمه اي جابر ولا يفصمه اي مكابر ، وما يروى في إسرار إيمانهم بتقية في ظاهر الشرك مؤول(٢) او

---

(١) في تفسير القمي في رواية ابي الجارود عن ابي جعفر (عليه السلام) في قوله تعالى: «لقد قلنا اذا شططاً» يعني جوراً على الله ان قلنا له شريك .

(٢) نور الثقلين ٣: ٢٤٢ ح ١٧ في اصول الكافي علي بن ابراهيم عن ابيه عن ابن ابي عمير عن هشام بن سالم عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال: ان مثل ابي طالب مثل اصحاب الكهف اسروا الايمان واظهروا الشرك فآتاهم الله اجرهم مرتين.
اقول علّه ينظر الى الحالة قبل قيامهم واظهارهم، وقوله تعالى «اذ قاموا . .» يلمح الى =

مطروح إذ لا توافق الكتاب ، ام وتخالفه .

﴿هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة . لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن اظلم ممن افترى على الله كذباً﴾[١٥]

«هؤلآء» المناكيد الأوغاد «قومنا» الذين نعاشرهم «اتخذوا من دونه» دون رب السماوات والأرض «آلهةً» : طواغيت وسواهم من ملائكة او جن او انسان «لولا يأتون عليهم بسلطان بين» ؟ قضية القاعدة العقلية ان كل دعوى بحاجة ضرورية الى برهان عليها وسلطان يقنع العقول غير المدخولة أياً كان ، وكلما ازداد المدعي محتداً ومكانة يزداد السلطان عليه بياناً وبرهاناً ، فدعوى الألوهية بحاجة الى «سلطان بين» وليس عندهم اي سلطان على آلهتهم فضلاً عن «بين» وكفاهم كذباً وظلماً على الحق «فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً» ؟

إن قيامهم في مقالة التثبيت للتوحيد والتنديد الشديد بكل جبار عنيد ، كل ذلك كان جهاراً وبين الجماهير قبل انعزالهم عنهم ، فقرروا بينهم قرارهم لما بعد إنعزالهم :

= حالتهم قبل قيامهم وبعده وهم فيها كانوا موحدين، وقد يدل عليه ما رواه العياشي عن عبيد الله بن يحيى عن ابي عبد الله (عليه السلام) انه ذكر اصحاب الكهف فقال: لو كلفكم قومكم ما كلّفهم قومهم ؟ فقيل له : وما كلفهم قومهم ؟ فقال: كلفوهم الشرك بالله العظيم فاظهروا لهم الشرك واسروا الايمان حتى جاءهم الفرج ـ وقد يعني من فرجهم قيامهم بتوحيدهم جهاداً.

وفي بعض الروايات انهم اظهروا المخالفة وعلم بها الملك قبل الخروج، رغم البعض الآخر انه لم يعلم الا بعد خروجهم ، وفي ثالث انهم تواطئوا على الخروج فخرجوا وفي رابع انهم خرجوا على غير تعارف وعلى غير ميعاد ثم تعارفوا وانفقوا خارج البلد، وفي خامس ان راعي غنم لحق بهم وهو سابعهم وفي بعضها انه لم يتبعهم وتبعهم كلبه وسار معهم .

﴿وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلاّ الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيء لكم من أمركم مِرفَقاً﴾ ١٦ .

هنالك اعتزال عنهم وما يعبدون حيث لا تنفع دعوتهم إلاّ ملاحقتهم والضغط عليهم ، فاعتزال الإختفاء احتفاظاً على انفسهم ثم أوياً الى الكهف «ينشر لكم ربكم من رحمته» رحمته اللّدنّية التي التمسوها منه ، وهل رحمة مطوية تُنشر ومكنونة تَظهر ، والرب لا يكنُّ ويطوي رحمته عمن يأهل ، وإنما إسباغها ظاهرةً منشورة لا مستورة ، إذاً فنشرها هو ايتاءها كما تطلّبوها «آتنا من لدنك رحمة» ثم «ويهيّء لكم من أمركم مِرفَقاً» : ما يُرتفق به ويُعتمد عليه فيكون لظهوركم عماداً ولأعضادكم سناداً .

أجل وان الكهف الضيق الخشن المظلم لهؤلاء الفتية هو منتشر الرحمة ومرتفق النعمة ، إذ يأوون اليه ويلجأون بايمانهم ، ولكنما البلد وهم بين أهليهم في بحبوحةٍ من عيشة الحياة الدنيا ، هو لهم نقمة ومصيبة إذ ليس لهم فيه راحة الرّوح والرضوان وفسحة الايمان ! فاذا الكهف الضيق البعيد عن الحياة لهم فيه فسحة وحيوية تتسع خيوطها وتمتد ظلالها ويشملهم بالرفق واللين والرخاء ، حيث الحدود الضيقة تنزاح والجدران الصلدة ترق والوحشة الموغلة تشف .

ذلك الكهف الحصين أملهم كما يوسف الصديق يفر من البلاط الى السجن : «رب السجن احب اليَّ مما يدعونني اليه وإلاّ تصرف عني كيدهن أصب اليهن واكن من الجاهلين» .

هنا في قصة الآوين الى الكهف روايات ، تقول طائفة منها انهم كانوا ثلاثة هم اصحاب الرقيم ، وهي لا تلائم القرآن إلاّ ان يكونوا هم من اصحاب الكهف وقد رقموا خالصات أعمالهم نجاتا من الحجر المؤصد عليهم من كهفهم ، ثم لحقهم الآخرون بعدما نجوا ، فكلهم أصحاب

الكهف والأولون يزيدهم انهم اصحاب الرقيم ، وقد يعمهم الرقيم بعد اختصاصه في وجوه مضت امّاذا ؟[1]

وفعلاً نشر لهم ربهم في فجوة الكهف من رحمته اللدنيّة وهيّأ لهم من أمرهم مِرفقاً ، حيث آمنهم في كهفهم وضرب على آذانهم بكل تلطّف وتعطّف ، ثم بعثهم ليعرفوا رحمته ويلمسوا مِرفَقه ، وليعلم آخرون «ان وعد الله حق» رحمة ومرفق يتخطاهم الى اعماق الزمان والمكان ، طيّاً لبعديهما ، وهدياً بقصتهم في إذاعات كتابات السمآء والقرآن العظيم .

لا يهمنا اين كهفهم وأيان ؟ وقد نتلمح ما لمحنا اياه القرآن :

﴿وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهدِ الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً﴾[17] .

تعريفان اثنان بكهفهم ثانيهما «وهم في فجوة منه» : فسحة من كهفهم ، وفسحة من طلوع الشمس وغروبها، دون ان تؤذيهم بنورها ونارها ، فانما تفيدهم بضوئها ، فجوة وفسحة دون تضايق لا بكهفهم ولا شمسهم ، رحمة ومرفقا من أمرهم !

واوّلهما «إذا طلعت تزاور . . واذا غربت تقرضهم» : وهنا نتلمح

---

(١) نور الثقلين ٣ : ٢٤٦ ح ٢٨ في كتاب كمال الدين وتمام النعمة باسناده الى محمد بن اسماعيل القرشي عمن حدثه عن اسماعيل بن اعبل عن ابيه عن ابي رافع عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حديث طويل قال فيه بعد ان ذكر عيسى ثم يحيى بن زكريا ثم العزيز ثم دانيال ثم مكيخا ابن دانيال ـ زملوك زمانهم فعند ذلك ملك سابور بن هرمز اثنين وسبعين سنة وهو اوّل من عقد التاج ولبسه وولى امر الله عز وجل يومئذ وهو الشواء بن مكيخا وملك بعد ارد شيرأخو شابور سنتين وفي زمانه بعث الله الفتية اصحاب الكهف والرقيم وولي امر الله في الارض يومئذٍ دستجابن لشوابن مكيخا .

موقعهم من الكهف وموقع الكهف نفسه .

والتزاور اصله الميل من الزَور : الصدر ـ لا الزيارة ، فترى الشمس تميل عن كهفهم كما يميل المتزاور عن الشيء بصدره ووجهه ؟ يبين بذلك عن موضع الكهف المشار اليه من جهات المشرق والمغرب ان الشمس لا يلحقه ثوبها عند شروقها ، ولا ينفض عليه عند غروبها حيث تجوزهم عادلة بمطرح شعاعها عنهم ، او انها تعطيهم القليل من شعاعها عند مرّها بهم ثم تسترجعه عند انصرافها عنهم ، تشبيهاً بقرض المال الذي يعطيه المعطي ليسترده ، ويقدمه ليرتجعه .

فلم يكن الكهف ـ اذاً ـ شرقياً ذات اليمين فتُشرق في العمق، ولا غربياً ذات الشمال فتغرب عن العمق ، وانما طلوع تزاور ذات اليمين ميلاً عنه ، وغروب قرض لهم ذات الشمال ، اذاً فليكن له باب نصف شرقية واخرى نصف غربية ، الشرقي الشمالي ، والغربي الجنوبي ، ولكي ينطبق على الجغرافية المستفادة من الآية . فلا تحرمهم الشمس ولا تحرقهم ، وانما تشرقهم ، دون حدة المقابلة لا شرقية ولا غربية . وهذا ينطبق على الكهف الواقع قرب عمان الأردن[1] .

---

(١) هو على ما في الميزان ١٥ : ٢٩٧ كهف رحب على مسافة ثمانية كيلومترات من عمان الاردن قرب قرية رجيب، في جبل محفوراً على الصخرة في السفح الجنوبي منه واطرافه من الجانبين الشرقي والغربي مفتوحة يقع عليه شعاع الشمس منها وباب الكهف يقابل جهة الجنوب وفي داخله صفة صغيرة قرابة ثلاثة امتار فى مترين ونصف متر على جانب من سطحه المعادل لثلاثة في ثلاثة تقريباًوفي الخارعدة قبور على هيئة النواويس البيزنطية كأنها ثمانية او سبعة، وعلى جدرانه نقوش وخطوط باليوناني القديم والشمردي منمحية لا تقرء وصورة كلب مصبوغة بالحمرة وزخارف وتزويقات اخرى.

وفوق الغار آثار صومعة بيزنطية تدل النقود والآثار الاخرى المكتشفة فيها على كونها مبنية في زمان الملك جوستينوس الاول ٤١٨ ـ ٤٢٧ وآثار اخرى تدل على ان الصومعة بدلت =

ام كان شرقياً وغربياً حسب البابين ، ولكنه لطوله وهم في فجوة منه تشرق فيه الشمس ذات اليمين ولا تصلهم ، وتغرب عنهم الشمس قرضاً وقد مستهم بخفيف ضوءها ولطيفه ، فينطبق على كهف آخر[1] .

= ثانياً مسجداً بعد استيلاء المسلمين على الأرض ، مشتملاً على المحراب والمأذنة والميضاة، وفي الساحة المقابلة لباب الكهف آثار مسجد آخر بناه المسلمون في صدر الاسلام ثم عمروه وشيدوه مرة بعد اخرى، وهو مبني على انقاض كنيسة بيزنطية كما ان المسجد الذي فوق الكهف كذلك.

وكان هذا الكهف بالرغم من الاهتمام بشأنه كما تدل آثاره متروكاً منسياً متهدماً حت اهتمت دائرة الآثار الاردنية اخيراً[1] بحفره وتنقيبه فاكتشفته فظهر بعد خفائه قروناً عدة، وهنالك امارات وشواهد اثرية على كونه هو كهف اصحاب الكهف: .

يقول في اكتشاف الكهف انه الكهف الذي ورد ذكره في الكتاب العزيز ويذكر انطباق الامارات المذكورة فيه وسائر العلائم التي وجدت هناك على هذا الكهف دون كهف افوس والذي في دمشق او البتراء او اسكاندنا فيه واستغرب فيه ان الطاغية الذي هرب منه اصحاب الكهف فدخلوا الكهف هو «طراجان الملك ٩٨ ـ ١١٧م لا دقيانوس الملك ٢٤٩ ـ ٢٥١ الذي ذكره المسيحيون وبعض المسلمين ولا دقيانوس الملك ٢٨٥ ـ ٣٠٥ الذي ذكره بعض آخر من المسلمين في رواياتهم واستدل عليه بان الملك الصالح الذي بعث الله اصحاب الكهف في زمانه هو «ثئودوسيوس» الملك ٤٠٨ ـ ٤٥٠ باجماع مؤرخي المسيحيين والمسلمين واذا طرحنا زمان الفترة الذي ذكره القرآن لنوم اصحاب الكهف وهي ٣٠٩ سنين من متوسط كلم هذا الملك الصالح وهو ٤٢١ بقي ١١٢ سنة وصادف زمان حكم طراجان الملك وقد اصدر طراجان في هذه السنة مرسوماً يقضي ان كل عيسوي يرفض عبادة الإلهة يحاكم كخائن للدولة ويعرض للموت .

(١) وهنالك كهوف اخرى مثل كهف بجبل قاسيون بالقرب من الصالحية بدمشق الشام ينسب الى اصحاب الكهف وانا زرته وعله في الدرجة الثانية من محتملات الكهف، وثالث =

---

(١) سنة ١٩٦٣ م المطابقة (١٣٤٢)والف في ذلك متصدية الاثرى الفاضل « رفيق وفا الدجاني» كتاباً سماه اكتشاف كهف اهل الكهف نشره سنة ١٩٦٤ ـ ١٣٤٣ .

وايا كان كهفهم فموضوع البحث هم انفسهم اذ كانوا من آيات الله في قيامهم ولبثهم في كهفهم وتزاور الشمس عن كهفهم اذا طلعت وقرضهم اذا غربت وتقليبهم ذات اليمين وذات الشمال : « ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً » .

وتُرى من ذا تعني «ترى » ؟ أهو الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يطلع عليهم عياناً كما تلمح «لو»: في «لو اطلعت عليهم»! ام غيره؟ فاحرى ألاّ يطلع فيرى ! ام هو بيان الحال إن كان هناك من يرى لرأى الشمس . . او «ترى» خطاب لمن يرى ، تلميحاً ان هناك من سوف يكشف الكهف فيرى ، او ان الرسول رآه ولم يُطلع عليهم ولعله احرى ، اضافة الى من يرى ، مهما لن يروا « ايقاظاً وهم رقود » بعدما اعثر عليهم فيما مضى ، فان رؤية الشمس تزاور تكفيها رؤية الكهف ، وهي بسيطة

= بالبتراء من بلاد فلسطين ينسب الى اصحاب الكهف ورابعهم هو كهف إفسوس مدينة خربة اثرية واقعة في تركيا على مسافة ٧٢ كيلومتراً من بلدة ازمير والكهف على مسافة كيلو متر واحد من إفوس قرب قرية «اياصولوك» بسفح جبل «ينا يرداغ» وهو كهف وسيع فيه ـ على ما يقال ـ مئات من القبور مبنية من الطوب وهو في سفح الجبل وبابه متجه نحو الجهة الشمالية الشرقية وليس عنده اثر من مسجد او صومعة او كنيسة ، وهو الاعرف عند النصارى وورد ذكره في عدة روايات إسلامية، وخامس اكتشف ـ على ما قيل ـ في شبه جزيرة اسكاندنا فيه من الاوروبة الشمالية عثروا على سبع جثث غير بالية على هيئة الرومانيين يظن انهم اصحاب الكهف.

وربما يذكر كهوف اخرى منسوبة الى اصحاب الكهف كما يذكر ان بالقرب من بلده نخجوان من بلاد قفقاز كهفاً يعتقد اهل تلك النواحي انه كهف اصحاب الكهف وكان الناس يقصدونه ويزورونه، والكهوف غير الرومانية من هذه الست نقطع انها ليست لاصحاب الكهف لان القصة رومانية ولم تبلغ سلطتهم في ايام مجدهم نواحي اوروبة شمالية وقفقاز .

للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهي غير رؤيتهم المستحالة بـ « لو » فانهم قضوا نحبهم .

﴿وتحسبهم ايقاظاً وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فِراراً ولَمُلئت منهم رُعباً﴾[١٨] .

«وتحسبهم ايقاظاً» حيث العيون مفتحة لا غامضة ، مهما كانت حالتهم غامضة ، « وهم رقود » حيث « ضربنا على اذانهم » «ونقلبهم»طول مكوثهم المديد « ذات اليمين » من شمائلهم « وذات الشمال » من ايمانهم ، تقلباً دائباً جنباً الى جنبه كيلا تأكلهم الأرض بطول المكوث، كيقظة اوتوماتيكية ، و « كلبهم » طول هذه المدة « باسط ذراعيه بالوصيد » : فناء الكهف وبابه ، أحيّاً يرصدهم ؟ أم راقداً كأمثالهم ؟ لا أثر عن رقدته في آياتها ، فليكن يقظاناً يرقبهم وهو آية في هذه الآيات[١] ! .

حالتهم المنقطعة النظير بين موت وحياة ويقظة ورقدة تولّي المُطّلع عليهم فراراً وتملأه رعباً .

وترى ذلك الحسبان مستمر الى زمن الرسول (صلى الله عليه وآله

---

(١) نور الثقلين ٣: ٢٥١ ح ٣٦ ـ القمي حدثني ابي عن الحسين بن خالد عن ابي الحسن الرضا (عليه السلام) انه قال: لا يدخل الجنة من البهائم الا ثلاثة: حمارة بلعم وكلب اصحاب الكهف والذئب وكان سبب الذئب انه بعث ملك ظالم رجلاً شرطياً ليحشر قوماً من المؤمنين ويعذبهم وكان للشرطي ابن يحبه فجاء ذئب فاكل ابنه فحزن الشرطي عليه فادخل الله ذلك الذئب الجنة لما احزن الشرطي .

وسلم)ولحد الآن حيث«تحسبهم ايقاظاً وهم رقود»[١]فهم حتى الآن وحتى متى ! لا ندري ! نائمون ؟ ولماذا تلك النومة الطويلة بعد القومةعن الأولى ولا خبر عن هكذا نوَّم ليستدل بهم علي «أن الساعة آتية لا ريب فيها » ! أم انه حكاية لحال ماضية ؟ قد تلمح لها «لو اطلعت عليهم » حيث تُحيل ذلك الإطلاع ، ولو كانوا في حالتهم الى زمنه كان (صلى الله عليه وآله وسلم) احرى من يطَّلع عليهم ، وإلّا فما هي الحكمة في بقاءهم نائمين ولن يطلع عليهم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) المطَّلع على كل مطّلع هو مطلع لرسالته كسائر مطالعها ! والهدف من هذه الآية الإلهية الاعثار عليها «وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها » ولا عثور عليهم بعدهم لحد الآن ، فلا حكمة في نومتهم حتى الآن ومنذ اعثر عليهم ![٢] .. ثم الآية «لو اطلعت . . » تتحدث عن حالتهم قبل بعثهم فتنقطع اذاً ببعثهم ، واما انهم ارجعوا الى نفس الحالة ام ماتوا فلا دلالة هنا على اي منهما ، إلّا استدلالاً على موتهم

---

(١) في رواية القمي عن الامام الصادق (عليه السلام) الماضية : « فاخبرهم صاحبهم انهم كانوا نائمين هذا الزمن السطويل وانهم آية للناس فبكوا وسألوا الله ان يعيدهم الى مضاجعهم نائمين كما كانوا . .

(٢) في الدر المنثور عن ابن عباس قال: غزونا مع معاوية غزوة المضيق نحو الروم فمررنا بالكهف الذي فيه اصحاب الكهف الذي ذكر الله في القرآن فقال معاوية: لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس : ليس ذلك لك قد منع الله ذلك عمن هو خير منك فقال «لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً و لملئت منهم رعباً» فقال معاوية: لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث رجالاً فقال: اذهبوا فادخلوا الكهف، فانظروا فذهبوا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحاً فأخرجتهم فبلغ ذلك ابن عباس فانشأ يحدث عنهم . . .

اقول : لو كانت الرواية منسوبة الى المعصوم لما كنا نصدقها حيث لا توافق القرآن او تخالفه، فضلاً عن ابن عباس !.

بما استدللنا ، والكهوف المكتشفة لحد الآن دليل واقعي على انهم ليسوا بنائمين[١] .

وقد يعني «لو اطلعت» غير الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فانه لا يولي فراراً من آية إلهية ولا يملأ منها رعباً[٢] إم إنها تُحيل الإطلاع عليهم لأنهم أموات وليسوا نياماً ، ثم تولّي الفرار والرعب على فرض الإطلاع لسواه دونه !

﴿وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا

---

(١) في كتاب سعد السعود لابن طاووس نقلاً عن تفسير ابي اسحاق ابراهيم بن محمد القزويني باسناده الى انس بن مالك قال: اهدي لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بساط من قرية يقال لها بهندف فقعد عليه علي وابو بكر وعمر وعثمان والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي: يا علي! قل يا ريح احمل بنا فقال علي (عليه السلام) : يا ريح احمل بنا فحمل بهم حتى اتوا اصحاب الكهف فسلم ابو بكر وعمر فلم يردوا السلام ثم قام علي (عليه السلام) فسلم فردوا عليه السلام فقال ابو بكر : يا علي ما بالهم ردوا عليك ولم يردوا علينا ؟ فقال لهم علي (عليه السلام) فقالوا : انا لا نرد بعد الموت الا على نبي او وصي نبي ثم قال علي (عليه السلام : يا ريح احملنا فحملنا ثم قال : ضعينا فوضعتنا فركز برجله الأرض فتوضأ علي (عليه السلام) وتوضأنا ثم قال : يا ريح احملينا فحملتنا فوافينا المدينة والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في صلاة الغداة وهو يقرأ « ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً » فلما قضى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الصلاة قال : يا علي اخبروني عن مسيركم ام تحبون ان اخبركم ؟ قالوا : بل تخبرنا يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال انس بن مالك : فقص القصة كأن كان معنا . (هامش نور الثقلين ٣ : ٢٤٨ ـ ٢٢٤٩) .

(٢) في تفسير العياشي عن محمد بن سنان البطيخي عن ابي جعفر الباقر (عليه السلام) في الآية قال: إن ذلك لم يعن به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انما عني به المؤمنون بعضهم لبعض لكن حالهم التي هم عليها .

يوماً او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيّها أزكى طعاماً فليتأتكم برزق منه وليتلطف ولا يُشعرون بكم أحداً ﴾[١٩] .

«وكذلك» الذي فعلنا من آيات خوارق للعادات في الضرب على آذانهم سنين عدداً وتقلبيهم فيها ذات اليمين وذات الشمال ، وتزاور الشمس عنهم ، وقرضها اياهم : «كذلك بعثناهم» آية اخرى «ليتساءلوا بينهم» عن مكثهم وبعثهم كغاية أولى لأنفسهم ، ومن ثم لمن سواهم : «وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق وان الساعة آتية لا ريب فيها . . » !

تساؤلاً بينهم ينبِّههم بإجابة المقال والحال ان للحق دولة وللباطل جولة ، أنهم يفركون أعينهم من هذه النومة الطائلة الثقيلة فيسأل سائلهم «كم لبثتم» ؟ ولأنه لا يدري كم لبثوا ، فيأتي الجواب «لبثنا يوماً او بعض يوم» ترددا لهم كلهم ، أو اختلافاً بينهم في «يوم او بعض يوم» إجابة دون تعمق وتأنق ، تلوح من ظاهر النوم : ثقيلاً بعض يوم ، ام اثقل فيوم او ان «يوماً» بتخيل انهم استيقظوا في مثل الوقت الذي ناموا فيه صباحاً او مساءً فـ«يوماً» او اخطأوا المثل فظنوا المساء صباحاً او الصباح مساء وقد ناموا خلافه فـ « بعض يوم » و النوم يقتضي هكذا تردُّد في امده وحدِّه ، او انهم ناموا غدوة وبعثوا آخر النهار فظنوا انهم لبثوا يوماً ، فلما رأوا الشمس باقية قالوا « او بعض يوم » ولذلك تقدم « يوماً » على « بعض يوم » ام ماذا ؟

«قالوا» جماعة آخرون وعلّ السائل منهم فطَرَفان ، ام ليس منهم فثلاثة «ربكم اعلم بما لبثتم» » فلسنا نحن له بعالمين ، إذ نتلمّس خارقة في نومتنا لم نلمسها في سائرها حيث الشعور طويلة كما الاظفار ، والوجوه متغيرة ، ما لا يحصل في أية نومة ، فلا يوم ولا بعض يوم ! وليس «اعلم»

هنا فقط تأدباً فإنه ليس قولاً ورأياً ثانياً يجعل قائليه حزباً ثانياً ، ولا انه إحصاء ثان « لنعلم اي الحزبين احصى » وإلاّ لقالوا « ربنا اعلم بما لبثنا » لا « ربكم » ! .

إنما «اعلم » لأن لنا بعض العلم بأمد لبثنا اعتباراً بمظاهرنا ، ثم لا نعلم امدنا إحصاء تاماً بل «ربنا اعلم بما لبثتم فابعثوا . . » .

ومن لطيف الأمر في هذه الحوار انها تلمح انهم لم يكونوا اقل من سبعة : «قال قائل منهم كم لبثتم » فواحد «قالوا لبثنا يوماً او بعض يوم » أقلهم ثلاثة فانها اقل الجمع «قالوا ربكم اعلم بما لبثتم » كذلك اضافة الى جمعي «كم وتم » حيث يؤكدان جمع الأوّل كما ان «قالوا » دليل الجمع الثاني !

واذا حصرت الأقوال في عدتهم في : ثلاثة ـ خمسة ـ سبعة ، فالاولان مرفوضان والثالث متعين ، ولا سيما بما يأتي من رجم الغيب لهما دونه[1]

وهذا هو شأن المؤمن : «ربنا اعلم » فيما لا يعلم ، ام يعلم ولا يستيقن ، وكيف يعلم ما يعلمه الله من أمره الذي لا يعلم ؟ يحاول بما عنده من وسائل ليعلم ومنها هنا : «فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة . . » يتبين لكم من نومكم «يوماً او بعض يوم » ام دهراً طويلاً قضي على

---

(١) هنا احتمالات ست ـ ١ ـ «قال قائل» واحد « قالوا لبثنا . . » ثلاثة « قالوا ربنا اعلم » ثلاثة والمجموع سبعة ـ ٢ ـ «قالوا» في كل اثنان ، احدهما في الثانية هو القائل الاوّل فالمجموع اربعة ، ام ليس هو هو فخمسة ، او « قالوا» في احدهما اثنان وفي الآخر ثلاثة ، واحد من الثاني هو الاول فخمسة ام لا فستة ، فالاربعة والستة خلاف الاقوال الثلاثة في الآية (٣٢) والخمسة تخالف ظاهر الجمع انه ثلاثة فما فوق ، فالمتعين هو السبعة حيث الاول «قائل منهم» ليس في «قالوا» الثانية وهو لا ينافي في «اي الحزبين» فانه ليس حزباً ولا داخلاً في اي الحزبين تأمل .

السلطات الطاغوتية في المدينة ، فان كانت السلطة باقية فـ«ليتطلف ولا يشعرن بكم احداً»: والظاهر انها باقية باغية ! وإن لا، **فلا حائطة ولا تقية !**

ترى وماذا يحملهم ان يبعثوا احدهم بورقهم ليأتهم برزق من المدينة وهم يحذرون ان ينكشف امرهم ؟ فهلاّ صبروا على جوع حفاظاً على أنفسهم جميعاً ! وهم يعلمون «انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم او يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذاً ابداً» وإنها للخسارة الكبرى !

علّهم وصلوا من الجوع لحد لا تصبّر عليه إلاّ الموت صبراً ، فهم إذاً بين موت معمّد جماعي قاطع ، وبين تعريض واحد منهم لخطر يُحتمل ، وهو طبعاً ممن يتستر في امرهم ويستّرهم دون إشارة اليهم مهما بلغ أمره ، حيث التلطّف هو التخفي الكامل ، ومن ثم لو عرفوه فلا يتجاوز نفسه اليهم : «ولا يشعرن بكم احداً» .

راى صائب ثاقب حصيلة شورى بين هؤلاء الأكارم القائلين : «ربكم اعلم بما لبثتم» فيه كل حائطة على المبعوث بورقهم وعليهم ، تتبين من «فلينظر ايها أزكى طعاماً» أيّ المدينة ازكى . . حيث يحمل سيراً رفيقاً حثيثاً في المدينة يتعرف فيه اليها والى اهليها ليطمئن إليهاهل هي كما كانت فحذراً، ام تغيرت الى الايمان فأماناً ، ومن ثم ليحصل على أزكى طعام فيها اذا ظلت في إشراكها بالله ، فليس لموحد ان يتطعم من مشركين طعاماً يحلّلونه خلاف شرعة الله ، واما عند الضرورة «فلينظر ايها ازكى طعاماً» تقليلاً لرجاسة الطعام الشركية كتقليل الطعام لبلغة الحياة : فالضرورات تبيح المحظورات وتقدر بقدرها !

ومن جهة اخرى فالأزكى طعاماً من المدينة هو الأزكى اخلاقاً فلا يتجسس عن خبايا الناس، ولا يتحسس لصالح الطاغوت مهما كان مستضعفاً في حكم الشرك ، فهذه ابعاد ثلاثة من المصالح في « فلينظر ايها ازكى طعاماً . . »! .

و «ازكى طعاماً» هنا تشمل زكاة الحل وزكاة الطهارة والطيبة قدر الامكان فما لا يُدرك كلُّه لا يُترك كله و «من اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فإن الله غفور رحيم (٥ : ٣) ومنه في «فليأتكم برزق منه» راجع الى الورق والى الطعام ، رزق من الورق دون زيادة عليه وان كان النقص منه ، ورزقٍ من الطعام كبلغة الحياة دون زيادة عليها ولا اقل منها .

ومن ثم تتبين هذه الحائطة من «وليتلطف» تكلُّفاً لإخفاء امره ، ورفقاً ولياً في المعاملة تجنباً عن المشاجرة التي هي من اسباب التفتيش عنه فعنهم وواويلاه ! «ولا يشعرن بكم احداً» إن شعروا به ام ماذا ؟ فليكن صَلِباً صلد ألا يمد الى احد شعرة واشعاراً فشعوراً مهما افرغت عليه الضغوط ولحد الموت ، حفاظاً على ايمانه وعلى دماء ونفوس الآخرين :

﴿انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم او يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذاً ابداً﴾[٢٠] .

الظهور على هو التطلع علماً وواقعاً ، فليس العلم بهم دون الوصول اليهم ظهوراً عليهم ، ولا الوصول اليهم دون علمٍ بهم ظهوراً عليهم ، إنما هو الوصول المطلع كما «الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء» تعنيه ، فلا علم الطفل دون بلوغ الحلم بعورات النساء يكفي فرض الحجاب عنهم ، ولا الوصول الى عوراتهن دون علم انها مواضع الشهوات يكفي ، وانما الظهور على العورات علماً بها وامكانية الوقاع !

إن اشعر هذا المبعوث بكم ، تخللوه الى العلم بكم إطلاعاً عليكم وهم بعاد ، ثم التطُّلع عليكم حتى تصبحوا في قبضتهم فيقع المحظور بين أن «يرجموكم» قتلا فضيحاً منفوراً مطروداً ، ولكي يشتركوا فيه كلهم إذا كانوا كلهم مشركين ، ام واشد تنكيلاً «او يعيدوكم في ملتهم» حملاً على الإشراك وان في ظاهر الحال حيث العقيدة لا تقبل الإكراه .

هنا يتقدم الرجم لأنه ظاهر الحال العاجلة من السلطة المشركة التي كانت في طلبهم وهم على ما هم من تصلّب العقيدة وتصلّدها، ومن ثم لو نجوا عن الرجم فإعادة الى ملتهم وهي اشد من الرجم وأنكى !.

ترى واذا اتقوهم في ظاهر الحال مسايرة عملية مع الحفاظ على ايمانهم أليسوا اذاً مفلحين ؟ولكنما الدخول في جوّ التقية دونما إكراه ضلال ، حيث يقضي على عمل الايمان ، ومن ثم القضاء يتسرب للقضاء على نفس الايمان ، حيث التعوّد المسيِّر على ترك واجبات الايمان وفعل محرماته ، مما يجرف تدريجياً الى ترك الايمان وليسوا هم بطبيعة الحال ممن يكتفي منكم بظاهر ادعاء العودة في ملتهم بعد ما قمتم قومتكم في رفضها ، إلّا ان يراقبوكم رقابة تامة في القيام بطقوس الشرك وترك التوحيد بكل مظاهره .

فـ«إنهم ان يظهروا عليكم . . ولن تفلحوا اذاً ابداً»أن«يعيدوكم في ملتهم » وكذلك ان «يرجموكم » حيث الظهور عليكم المخلّف وراءه رجمكم إلقاءً لأنفسكم بأيديكم الى التهلكة ! فلو ماتوا جياعاً خير لهم من ان يذهبوا ضياعاً : رجماً انتهارياً ام عوداً في ملة الشرك اختيارياً حيث الامتناع بالاختيار لا ينافي الاختيار !

وليس طلب البلغة والبُقية للحياة مما يسمح لالقاء النفس الى التهلكة رجماً ام عوداً في ملة الشرك ، اللّهم الا بحائطة قاطعة ان « لا يشعرن بكم أحداً »، ولو شعروا فلا نتحمل إلّا رجماً !

واعادتهم في ملتهم دليل على أنهم كانوا على ملتهم ثم استبصروا وكما نتلمحه من«إذ قاموا فقالوا ربنا الله لن نشرك به أحداً»أو أنهم كانوا لردح من الزمن يسايرونهم في ظاهر الشرك تقية نقية اضطرارية ، والعودة الى هذه الحالة اختيارياً عود في ملة الشرك وان كان ظاهرياً وهذا أظهر من العودة قضية كونها كالبدأة ولا عودة اضطرارياً الى عقيدة .

فعلى المؤمن الفرار من جو الضلال والتقية ، ثم ليس له الرجوع الى ذلك الجو إلّا لمرجح اهّم ، او الإقدام على ما يحتمل الرجوع اضطرارياً لواجب أهم رعاية للحائطة ، فلا تقية « إلّا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان » (١٦ : ١٠٦) وهنا يذهب الايمان ويذوب وليست تقية اكراه حيث التسبب الى الإنحصار في مجتمع الكفر والإنحسار عن خالص التوحيد كان نتيجة الاختيار ، وأرض الله واسعة تفرض على المؤمن الفرار بايمانه ، فكيف الرجوع الى جو اللّا ايمان : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً . إلّا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً . فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم ، (٤ : ٩٩).

هكذا نشهد مشهد فتية الايمان اذ يتناجون فيما بينهم حذرين غير عارفين بكرور الأيام ومرور الاعوام ، فقد دارت عجلة الزمان فتعاقبت اجيال واختلفت أميال ، فمدينتهم التي هاجروها تغيرت عوالمها ومعالمها ، ودالت دولات المتسلطين عليها وقصة الفتية تناقلتها الاخلاف عن الاسلاف على تعارض الاقاويل حولهم .

ومن ثم الآن اهل المدينة مؤمنون ، شديدوا الحفاوة بالفتية المؤمنين ، وبعدما رأوا واحداً منهم بصورة وسيرة اخرى وبورق آخر مرت عليه الزمن :

﴿ وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها اذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنياناً ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً ﴾(٢١)

الإعثار هو الإطّلاع مضمّناً مصادفة الشيء من دون طلب له ولا

إحساس به وأصله ان الساعي في طريقه اذا صك قدمه او نكب اصبعه شيءٌ ففي الاغلب انه يقف عليه متأملاً له فكانه استفاد علمه دون ان تتقدم معرفته به ، وكذلك أعثرهم الله عليهم .

« وكذلك » الذي حصل من آيات أصحاب الكهف : « ذلك من آيات الله » تتلوها آية اخرى هي ان « أعثرنا » أهل المدينة « عليهم » لأمرين اثنين للذين عثروا ، بعد امر هام لاصحاب الكهف « ليتساءلوا » امرٌ اوّل « ليعلموا أن وعد الله حق » وثانٍ : ليعلموا « أن الساعة آتية . . »

وهل « ليعلموا » اصحاب الكهف ؟ وهم كانوا على علم بحق الوعد لهم وان الساعة آيتة ! اللهم إلاّ عين اليقين بما رأوا من وعد الله الحق في أمرهم الرشد والمرفق ، وعين اليقين بما رأوا من بعثهم بعد نومتهم التي هي كانت كموتة !

كذلك و « ليعلموا » من اعثروا عليهم نفس العلم مهما اختلفت الدرجات ، وليعلم من يسمعها ، فـ « ليعلموا » يشملها وسائر من يعلم قصتهم على مر الزمن .

ترى انه أعثر عليهم وهم أحياء ؟ فلماذا « يتنازعون بينهم أمرهم » ولهم أن يسألوا أصحاب الكهف أمرهم ! وكيف « قالوا ابنوا عليهم بنياناً » وهم بعدُ أحياء !

ام أعثر عليهم بعدما ماتوا فقد سدل الستار على مشهدهم لعرض مشهد آخر وبينهما فجوة متروكة فيها موتهم ؟ فللتنازع في أمرهم هنا موقع ، ولبناء بنيان عليهم هنا معنى !

أم بين ذلك عوانٌ ، أعثر على أحدهم المبعوث الى المدينة حياً وهو طبيعة الحال المعلومة من القصة ، ومن ثم أعثر على الباقين ميتين و « الذين

غلبوا على أمرهم » انما غلبوا بمبعوثهم على أمرهم من طول شعوره وأظفاره ومن قديم ملابسه وقديم ورقه ولهجته ومواجهته دون ان يشعر هو بشيء من ذلك اللّهم إلاّ حالته الظاهرة التي لا تخفى على ذي حجى ! ،

ام اعثر عليهم وهم أحياء ، وفور العثور أماتهم الله ، فلم يبق لغَلَب على أمرهم مجال اللّهم إلاّ من مبعوثهم لجماعة خصوص اختصوا بالغَلَب به على أمرهم ؟

حقاً لا يستفاد من آيات القصة أنهم اعثروا عليهم بعد موتهم ! وليس في هكذا إعثار عِلمٌ « ان الساعة آتية لا ريب فيها » إلا أن يروهم أحياءً عن نومتهم ، ثم اماتتهم عن حياتهم في رقدتهم .

ولا نعلم بموتهم فور العثور عليهم دون إمهال إلاّ من خلال « إذ يتنازعون بينهم أمرهم » و « ابنوا عليهم بنياناً »!

وذلك إعثار مثمار أن يشهدوا مشهد أصحاب الكهف أحياءً وأمواتاً ، فـ « يعلموا أن وعد الله حق » فيما حقق لهم وفي اتيان الساعة ، ويعلموا « أن الساعة آتية لا ريب فيها ».

وأما أن يشهدوهم أمواتاً فلا مَعْلَمة فيها ، اللّهم إلاّ إعثارهم على مبعوثهم فقط حيّاً ، وهذا لا يلائم تنازع أمرهم بينهم وبناء بنيان عليهم أم هو بعيد !(١).

---

(١) في بعض روايات القصة انهم لما هربوا واطلع الملك على امرهم افتقدهم ولم يحصل منهم على اثر، وفي بعض انه وجدهم نياماً في كهفهم فأمر ان يُبنى على باب الكهف بنيان ليحتبسوا فيموتوا جياعاً عطشى فبقوا على حالهم حتى اذا اراد الله ان ينبههم بعث راعي غنم فخرب البنيان ليتخذ حظيرة لغنمه وعند ذلك بعثهم الله أيقاظاً وكان منّ امرهم ما قصه الله، وفي بعض انه لما ظهر امرهم اتاهم الملك ومعه الناس فدخل عليهم الكهف فكلمهم فبينا هو يكلمهم ويكلمونه إذ ودعوه وسلموا عليه وقضوا نحبهم وفي بعض انهم =

ترى وما هي مادة التنازع في أمر أصحاب الكهف بين هؤلاء الذين أعثروا عليهم ؟ هل هي أمر مكوثهم الخارق للعادة ؟ فطائفة منهم تغامضوا عن كونها آية للبعث وان الساعة آتية لا ريب فيها فقالوا«ابنوا عليهم بنياناً ربهم أعلم بهم» بنياناً يخفي أمرهم ، فنحن لا ندري من أمرهم شيئاً فلنجعله في زمرة المجاهيل المغافيل «قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً» ليكونوا عبرة للزائرين ومعبداً للساجدين ، دليلاً على التوحيد وان الساعة آتية لا ريب فيها» وهم الموحدون الذين عرفوا امرهم ، لا السلطة الزمنية اذ لا تختص بهذه الغلبة دون الشعب ، والسلطات الزمنية في الأغلبية الساحقة مهدمة المساجد لا معمرتها ، ثم ومن يجرء على المنازعة مع السلطة مع تقديم الرأي ضد السلطة ، فانما هم الغالبون على أمر اصحاب الكهف قضية قوة الايمان !

ومادة اخرى بين الذين غلبوا على أمرهم ، وتنازعوا فيها رغم الوحدة في آية نومهم ، هي أمد لبثهم أمّاذا من أمرهم ومن ثم التنازع في عدتهم ، وطبعاً لمن لم يغلب على أمرهم ومن أظهره عدتهم :

﴿ سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم الا مراءً ظاهراً ولا تستفت فيهم منهم احداً ﴾(٢٢).

فيما مضى عرفنا من حوار اصحاب الكهف في «كم لبثتم» انهم لم يكونوا باقل من سبعة ، وهنا نتأكد أنهم سبعة ، فان «رجماً بالغيب» ترجم القولين دون السبعة ، ثم لا رجم على « «ويقولون سبعة» فلوكان مثلهما،

= ماتوا او ناموا قبل ان يدخل عليهم الملك وسدّ باب الكهف وغاب عن ابصارهم فلم يهتدوا للدخول فبنوا هناك مسجداً يصلون فيه ـ أقول ولا نقول إلّا ما يوافق القرآن وقد نتحمل ما لا يخالفه .

لردف بهما في « رجماً بالغيب » ام لو كان المرجوم أحد الاولين فقط لاختص هو بالرجم دون الآخر ، وهذه من بلاغة الكلام القمة ولباقته ان يذكر القول الحق بين الاقاويل دونما تصريح به لكي يحث على التفكير ، ويبتعد عن التنكير النكير ، حيث الإصطدام بين القائلين والاحتدام بين الاقوال لا يخلي اي مجال لقول صُراح ، اللّهم إلاّ تلميحة هي ابلغ من تصريحة .

والرجم بالغيب أصله الرمي بالحجارة الى مرمى مجهول لا يدري الرامي أيصيب هدفه ام يخطأ ، وقد لا يكون له هدف ، ثم استعير لكل قذف بالظن والحسبان ، والقول بغير علم ، ومن عادة العرب ان تسمي القائل من دون علم راجماً وقاذفاً ، كما تسمي السابّ الشاتم رامياً راجماً ، ويقال : هذا الأمر غيب مرجَّم ، اي : يرميه الناس بظنونهم ويقدرونه بحسبانهم .

فالراجم بالغيب كالراجم الذي لا يعلم مواقع أحجاره المرمية اين وقعت ، فتارة يمنة واخرى يسرة ، وهنا « رجماً بالغيب » يرجم « ثلاثة وخمسة » على ما في القولين من سوء التعبير « رابعهم كلبهم . . سادسهم كلبهم » كأن كلبهم منهم ، فالاربعة او الستة كلهم كلاب ، ام كلهم أو ادِم ، دونما عطف لكلبهم عليهم ، يدل على المغايرة ، كما يدل على ردفه بهم ، ولكنما القول الثالث « ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم » فيه رعاية الادب بواو العطف ، فردف الكلب بهم دون عطف يجعل جملة الكلب صفة لهم او حالاً منهم فـ « رابعهم كلبهم وسادسهم » وصفان لـ « ثلاثة وخمسة » او حالان ، وفيه ازراء بساحة فتية الايمان ومس من كرامتهم ، والعطف يخرجها عن وصفهم او حالهم حيث يفيد الردف بين متغايرين متوافقين ، تغايراً في الكيان وتوافقاً في المكان ، فكلبهم منهم حيث ردفهم يرصدهم ، وليس منهم فهم فتيةٌ آمنوا بربهم وهو كلبهم ! فحيث وقعت الواو انقطعت العدة وثبت انهم سبعة وثامنهم كلبهم بالقطع

والثبات ! حيث العطف يجعل المعطوف عليه مستقلاً عنه ، محوراً اصيلاً للكلام ، وترك العطف يجعلهما في نطاق واحد !

وكأن الاقوال حول عدد أصحاب الكهف منحصرة في هذه الثلاث ام هي أشهرها ، في غابر الزمن وحاضر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد عثر على عدة من الكهوف والغيران وعلى جدرانها تماثيل رجال ثلاثة او خمسة او سبعة ومعهم كلب .

وُصف القولان الاولان بـ « رجماً بالغيب » والاخير اضافة الى العطف العطوف بـ « قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم إلاّ قليل » تدليلاً على ان قائله من هذا القليل ، وكيف عرف القليل هذا الغيب إلاّ بوحيه وها هو وحيه يلمح لمحة مليحة بعدتهم - فان « قل ربي أعلم بعدتهم » تجهيل لجماعة وهم القائلون « ثلاثة .. خمسة » وتبجيل لآخرين عالمين « ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم » وإنهاءً لعلمه الى رب العالمين : « ربي اعلم » .

كما و « ما يعلمهم إلاّ قليل » تبجليل لهذا القليل ثانياً ، والرسول افضل هذا القليل كما ويلمح اليه « قل ربي اعلم بعدتهم » فلم يقل الله اعلم ، انما « ربي » بما علمني ورباني !

ومن ثم آخرون يتبعونه ، ونحن من هذا القليل ، وكما بعض الأصحاب الاقدمين يعد نفسه منهم[1] ونفي العلم بـ « ما » دون « لا » في ما يعلمهم الا قليل . نفي للحال فاستثناء للقليل في الحال : ان القليل يعلمونهم الحال . فضلاً عن الاستقبال ! فاحرى من يعلمه هذا القليل هو الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث اوحي اليه « ويقولون سبعة

---

(١) منهم ابن عباس كما اخرج عنه عبد الرزاق والفريابي وابن سعدون ابن جرير وابن المنذر وابي حاتم من طرق واخرج مثله عن الطبراني في الاوسط بسند صحيح عنه ومنهم ابو مسعود كما أخرج عنه ابن ابي حاتم (الدر المنثور ٤ : ٢١٧) .

وثامنهم كلبهم ».

ثم وعلم القليل قد يشمل عدتهم واسماءهم ، كما يروى عن علي (عليه السلام) اسماءهم[١] والله أعلم بعدتهم وأسماءهم ، وهذا القليل يعلمهم بما علمهم ربهم ، وكما علمنا هنا عدتهم .

واذا القائلون عن عدتهم بين راجم بالغيب وبين صادق « فلا تمارفيهم إلا مراء ظاهراً ولا تستفت فيهم منهم أحداً » . . فلما ذا المراء الباطن وأنت من هذا القليل العالمين بهم بما علمك ربك ، ولماذا تستفيهم ، والراجم منهم بالغيب لا يستفتي والصادق يستفتيه اذ لا يعلمهم وانت تعلمهم !

والمراء الظاهر هو الخالي عن العمق والإستبطان ، وأصل المراء من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها للحلب ، وتسمى الجدال مراءً لما فيها من إصرار المماري بالبحث ليفرغ خصمه كل ما عنده من الكلام فينتهي عنه .

فترك المراء معهم فيهم تجهيل لنفسه ، والمراء الباطن المستبطن استعلامٌ ممن يجهل ، او وممن يعلم وهو (صلى الله عليه وآله وسلم) يعلم فلماذا يستعلم ؟ والمراء الظاهر مماراة ومدارات احتساباً لما أوحى إليه ربه فحسبه ربه تعليماً له ومراءً معهم ! .

ثم المراء غير ممدوح في باطنه دون ظاهره ، وان كان في حق والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) زعيم ببيوتاً في الجنة لمن ترك المراء وان كان محقاً[٢] فـ « اياكم والمراء والخصومة فانهما يمرضان القلوب على الإخوان

---

(١) في تفسير روح المعاني ج ١٥ : ٢٤٦ وروي عن علي كرم الله وجهه ان اسمائهم : يمليخا ومكشلينيا ومثلينيا وهؤلاء اصحاب يمين الملك ، ومرنوش ودبرنوش وشاذنوش وهؤلاء اصحاب يساره وكان يستشير الستة والسابع الراعي واسم كلبهم قطمير وذكر العلامة السيوطي في حواشي البيضاوي ان الطبراني روى ذلك عن ابن عباس في معجمه الاوسط باسناد صحيح .

(٢) نور الثقلين ٣ : ٢٥٣ ٤٤٦ في كتاب التوحيد باسناده الى اسماعيل بن ابي زياد عن =

وينبت عليهما النفاق[١] و «لا تمارين حليماً ولا سفيهاً فان الحليم يغلبك والسفيه يؤذيك[٢] .

والتماري حول عدد الفتية لا طائل وراءه فسواء أكانوا ثلاثة او خمسة او سبعة اما زاد او نقص ، فما يعلم عدتهم الا الله والقليل الذين حضروا محضر الكهف في زَمَنه ، والذين عرفهم الله ، فلماذا التماري اذاً إلا مراءً ظاهراً ، والعبرة في أمرهم حاصلة بالقليل والكثير ، والقرآن يلمح بعدتهم دون تصريح ، تنبيهاً بعدم العناية بعددهم وانما المعني بهِ عُـدَدُهم، صيانة للطاقة العقلية ان تبدد في ما لا يفيد ، وتوجيهاً لها إلى ما يفيد ، وألّا يمارىٰ راجم الغيب إلا مراءً ظاهراً دون تعميق ولا تعقيب ، فهذا حدث تاريخي طواه الزمن وهو من الغيب الموكول الى علم الله او مَن علّمه الله ، فلماذا التماري فيه او الاستفتاء !؟ .

فالمراء محظور وان كان في حق ، اللهم إلّا مراءً ظاهراً يقف على حق

= جعفر بن محمد عن آبائه (عليهم السلام) قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): انا زعيم ببيت في اعلى الجنة وبيت في وسط الجنة وبيت في رياض الجنة لمن ترك المراء وان كان محقاً وفيه عن اصول الكافي باسناده قال: قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثلاث من لقي الله عز وجل بهن دخل الجنة من اي باب شاء: من حسن خلقه وخشي الله في المغيب والمحضر وترك المراء وان كان محقاً وفي كتاب الخصال عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال: من يضمن اربعة باربعة ابيات في الجنة . . وترك المراء وان كان محقاً.

(١) المصدر ح ٤١ في اصول الكافي بسند عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال قال امير المؤمنين (عليه السلام): . . .

(٢) اصول الكافي باسناده الى عمار بن مروان قال قال ابو عبد الله (عليه السلام): . . . وفي كتاب الخصال عن جعفر بن محمد عن ابيه (عليهما السلام)قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): اربع خصال تميت القلب: الذنب على الذنب وكثرة مناقشة النساء يعني محادثتهن ومماراة الاحمق تقول ويقول ولا يرجع الى خيرا بدأ الحديث.

ويقطع دابر الباطل بمرونة وليونة ، بمطالبة الدليل ، فاذا لا دليل فلا مدلول ، حيث المدعي لشيء بحاجة الى دليل دون النافي سناداً الى عدم الدليل .

كما الرجم بالغيب محظور في قياس وسواه ، فآية الرجم ترجم القياس في الاحكام واحرى من القياس كل ظنة في غير الاحكام ، وكما الآيات الحاصرة كل اتباع بعلم او أثارة من علم ، الحاذرة كل اتباع بغير علم إلاّ اذا كان مسنوداً إلى علم .

﴿ ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا[٢٣] إلاّ ان يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشداً ﴾[٢٤] .

موضوع النهي هنا « إني فاعل ذلك غداً » استقلالاً للمشية فيما يعده الإنسان ويريده في مثلث من التأكيد : « اني ـ فاعل ـ غداً » تحديد اً لزمن الفعل وتأكيداً ذا بعدين في أصله ، فـ « إن » توكده و « فاعلٌ » الدالة على الثبات تثبته ، واما ان يقول « سأفعل غداً » ام « سافعل » او « افعل » على مختلف مراتب التحتم في هذه الثلاث نازلة ، فالنهي لا يشمله ، اللهم إلا ان « لا تقولن » تنهى موكداً عن هذه الصيغة الموكدة ، فيبقى النهي دون تأكيد في هذه الثلاث متدرج النزول فـ « لا تقولن ـ ام ـ لا تقل . . . إلا ان يشاء الله » .

فلا يعمه (صلى الله عليه وآله وسلم) لا تصريحة النهي المؤكد إذ لم يقل « إني فاعل ذلك غداً » ولا نهيه دون تأكيد في الثلاث الاخرى اذ لم يقل : سأفعل او افعل ، وانما تلميحة في خامسة الاضلاع « تعالوا غداً » وحسنات الأبرار سيآت المقربين !

فـ « لا تقولن . . . » مهما شملت رسول الهدي ، ليس إلا نهياً في تصريحته ألاّ يفعل ، لا انه فعل وهنا ينهى .

« لا تقولن . . إلاّ ان يشاء الله . . » : ربطاً لمشيئتك بمشيئة الله ، وانت أياً كنت وفي اي موقف لا تملك أنفاذ مشيئتك المعلومة عندك إلا بسناد مشيئة من الله الغائبة عنك فـ « لا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلاّ ان يشاء الله » ! .

في أفعالك الاختيارية لست مفوَّضاً تستقل في ارداتك دونما رادع او مؤيد من الله ، ولا مجبوراً يستقل ربك في ارادتك فأنت كصورة الفاعل والله هو الفاعل ! فـ « لا جبر ولا تفويض بل امر بين امرين » فـ « لا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً » ام حالاً اماذا ، « إلا ان يشاء الله » .

انت في حاضر مشيئتك وقوتك وارادتك غائب عن حول الله وقوته ، لا تدري اهو مؤيدك فيها ام رادعك عنها فـ « لا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً » !

انت لا تستقل بنفسك إغماضاً عن ربك ولا تستقل نفسك فيما تريد كأنك لا حول لك ولا قوة اتكالاً « فاشلاً على ربك كأن الفاعل هو ربك دونك أنت ، وانما أنت في حولك وقدرتك عوان بين ذلك ، تكرس طاقاتك كلها فيما تعنيه وهو مرضي لربك توكلاً لا اتكالاً . فلا تحس بالتبطر والغرور وانت مفلح ناجح ، ولا تستشعر القنوط وانت فاشل مخفق ، فانما عليك تجنيد ما عندك من طاقات وامكانيات فيما يرضي ربك وفي حالك ومقالك وأفعالك « إن شاء الله » فـ « لا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غداً إلا ان يشاء الله » ! .

ليستشعر قلبك معنى « إن شاء الله » وليلفظ لسانك قول « إن شاء الله » ولتتسم افعالك بسمة « إن شاء الله » فـ « ما تشاءون إلا ان يشاء الله » !

لا يملك المخلوق أياً كان لنفسه نفعاً ولا ضراً باستقلال إلا ما شاء الله

وحتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) « قل لا املك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء » (٧: ١٨٨) فضلاً عن أن يملك لغيره أو يملك من الله « فلا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله » !

« ان شاء الله » هي من كلمات رسل الله كما في يوسف « فلما دخلوا على يوسف آوى اليه ابويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين » (١٢: ٩٩) وموسى : « قال ستجدني ان شاء الله صابراً ولا أعصي لك امراً » (١٨: ٦٩) ويعقوب « وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين » (٣٨: ٢٧) واسماعيل : « قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين » (٣٧: ١٠٢) .

لا فحسب رسل الله وعباده الصالحون بل وكذلك الله تعليماً لعباده واعلاماً ان يستمروا في قول: إن شاء الله : « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين . . » (٤٨: ٢٧) .

ونحن نسمع كلمة ان شاء الله من الله نفسه فيما هو مقطوع من فعل او ترك من الله : « واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك عطاءً غير مجذوذ » (١١: ١٠٨) فرغم أن عطاء الجنة غير مجذوذ عن اهلها يستثني خلودهم بمشيئته تشريفاً لها واعلاماً أنها غير محصورة بشيء ولا محسورة عن شيء ـ كما وان الآلهة من دون الله لا يخاف منها قطعاً ومع الوصف : « ولا أخاف ما تشركون به إلا ان يشاء ربي شيئاً » (٦: ٨٠) ولا يشاء الرب ولن ان يخاف من دونه شيء ! وكما العود في ملة الشرك لمن لا يشاءها ولا سيما نبي الله ، انه من المستحيل ان يشاء الله ولكن : « وما يكون لنا ان نعود فيها إلا ان يشاء ربنا وسع ربنا كل شيء علماً على الله توكلنا . . » (٧: ٨٩) .

ترى ـ بعد ذلك كله ـ كيف يترك أوّل العابدين قولة « إن شاء الله » وهو يعد السائلين جوابهم عن الله ، وليس جوابهم إلاّ وحياً من الله

والرسول لا يملك وحي الله كما لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ؟!

انها لا تعني الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فيمن تعنيه نصاً ، وانما هي تأنيب على التاركين لها ، وتأديب لهم ألّا يتركوها[1] فهي لهم تصريحة وللرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) تلميحة .

ام واذا تعنيه فيمن تعنيه فهناك بون بينه (صلى الله عليه وآله وسلم) وبين من سواه في وعد الفعل وان جمع بينهم في « لا تقولن » نهياً على الأبدال ، حيث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو اول العابدين لا يشاء إلّا أن يشاء الله ، وكمايخاطب اهل بيت الرسالة المحمدية وهم انسان الدهر في«الإنسان ـ الدهر» : «وما تشاؤ ون إلا إن شاء الله ان الله كان عليماً حكيماً » (٧٦: ٣٠) اذاً فهو هو نفسه مشيئة الله ، لا تجد فيه إلّا « أن يشاء الله » في عقله وصدره وقلبه وسره وخفيه وأخفاه ، في حلة وترحاله ، في فعله وأقواله .

فمهما يترك لفظة « إن شاء الله » فيما يعد السائلين دون اي تأكيد خلاف « اني فاعل » اجابة بوحي الله ، فلا يعدهم إلّا بمشيئة الله « إني فاعل ذلك غداً » كرسول من الله ، لا كمن يعرف الجواب دون وحي الله ، او يملك وحي الله ،وانما رسول من الله ،ما يشاء إلا ان يشاء الله .

فقد شاء فوعدهم أن يأتوه تلميحاً لوعد الاجابة ، ولكنه عليه كسنة رسالية وتعليماً لهذه السنة قولة « ان شاء الله » وان في لمحة ودون

---

(١) نور الثقلين ٣: ٢٥٥ ح ٥٥ في تفسير العياشي عن ابي جعفر (عليه السلام) ذكر ان آدم لما اسكنه الله الجنة فقال له: يا آدم لا تقرب هذه الشجرة فقال: نعم ولم يستثن فامر الله نبيَّه فقال « ولا تقولن . . الا » ولو بعد سنة» أقول فلم يكن ترك الاستثناء اذاً من الرسول نفسه وهو وجهٌ كما وفي تركه ايضاً وجه ذكرناه .

تأكيد ولم يتركها إلا هذه المرة طول حياته المنيرة ، فليحتبس عنه الوحي اربعين يوماً لماذا ترك « إن شاء الله » ولكي يعرف السائلون من خلال ذلك الإحتباس انه حتماً رسول الله[1] .

انه لم يكن تاركاً لواجب رسالي يستوجب باحتباس وحيه ودعاً او قلى : « والضحى والليل اذا سجى . ما ودعك ربك وما قلي . . » بل هو من الطاف ربه الخفية مهما كان في ظاهرة ودع او قلىً ، اللهم إلاّ ان يتركه متناسياً وموكداً في وعده ولم يوكد ولن !

إذاً فاحتباس وحيه كان رمية ربانية الى هدفين ، اهمهما تثبيت وحيه ورسالته ، أن لو كان من عنده لما احتبس عن الجواب ، ثم وعلى هامشه « ولا تقولن . . » فقط للقولة المتروكة لا سواها من حول وقوة وايمان وعقيدة فانه (صلى الله عليه وآله وسلم) كله « ان شاء الله » مهما يترك لمرة واحدة قولها الذي يخلف تثبيتاً . لوحيه باحتباسه ردحاً من الزمن ! .

ذلك الإحتباس في ظاهره ليلٌ اذا سجى وفي باطنه ضحى ، فكما الضحى رحمة كذلك الليل إذا سجى ، فليل احتباس الوحي كضحى الوحي فرقد ان متتابعان يتناصران في هامة الرسالة المحمدية السامية .

ثم « ولا تقولن » تشمل ما مضى من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وما يقبل ، كما ويشمل غير الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين سألوه عن أمر اصحاب الكهف

---

(١) نور الثقلين ٣ : ٢٥٤ ح ٥٣ في من لا يحضره الفقيه روى حماد بن عيسى عن عبد الله بن ميمون عن ابي عبد الله (عليه السلام) . . ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اتاه اناس من اليهود فسألوه عن اشياء فقال لهم : تعالوا غداً احدثكم ولم يستثن فاحتبس جبرئيل (عليه السلام) عنه اربعين يوماً ثم اتاه فقال: «ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غداً الا ان يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت» .

وذي القرنين والروح : تعالوا غداً احدثكم ولم يستثن، فنص النهي في الآية في مثلث التأكيد لا يشمله اذ لم يقل اني فاعل، وانما «تعالوا غداً» تلميحاً كأنه يجيبهم غداً دونما تصريح ولا تأكيد الا زمناً : « غداً » :

ثم قول إن شاء الله لا يردد القائل فيما يشاء ولا يفصم ارادته وانما تردد في مشيئة الله على حتمه في مشيئته .

فمن حلف وقال ان شاء الله ليس له الرجوع[1] إلّا ان يقول إن

---

(١) خلاف ما اخرجه البيهقي في الاسماء والصفات عن ابن عمر قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : من حلف فقال ان شاء الله فان شاء مضى وان شاء رجع غير حانث (الدر المنثور ٤ : ٢١٨) اقول: ليس غير حانث الا اذا تردد في مشيئة نفسه كان يقول: ان شئت، فللمحلوف عليه حتمية نسبية له ولا يفصمه الا ارادة الله ان اراد خلافه ! فالرواية مختلقة عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) والصحيح ما اخرجه البخاري ومسلم والنسائي والبيهقي في الاسماء والصفات عن ابي هريرة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : قال سليمان بن داود (عليهما السلام) لاطوفن الليلة على تسعين امرأة تلد كل امرأة منهن غلاماً يقاتل في سبيل الله فقال له الملك قل ان شاء الله فلم يقل فطاف فلم تلد منهن الا امرأة واحدة نصف انسان قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لم يحنث وكان درج / لحاجته ـ
أقول وهو صحيح الا «فقال له الملك . . قل يقل » حيث ينافي الايمان فضلاً عن العصمة، ثم لم يحنث لانه حلف على فعله وهو الطواف على تسعين امرأة لا على فعل الله «تلد كل امرأة » فلا حنث فيما ليس من فعله ولا حلف عليه !
ومثله ما في نور الثقلين ٣ : ٢٥٤ ح ٥٢ عن اصول الكافي احمد بن محمد عن علي بن الحسين عن علي بن اسباط عن الحسن بن زرارة قال: سألت ابا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عز وجل «واذكر ربك اذا نسيت» فقال: اذا حلفت على يمين ونسيت ان تستثني فاستثن اذا ذكرت .

شئت ، ولا فرق بين موصوله ومفصوله[١] .

و « ان شاء الله » يعم باطن العقيدة والايمان والنية وظاهر القول والكتابة أماذا ، فالكتابة قول كتبي يكتب فيها ان شاء الله[٢] كما النية قول منوي ينوى معها « إن شاء الله » !

« إلا ان يشاء الله » استثناء عن نفي القول لشيء « اني فاعل ذلك غداً » فتقول لشيء إني فاعل ذلك غداً أم اي وقت كان إن شاء الله والشيء المفعول يعم المقال والفعال وتبديل الحال ، ولتكن لائقاً لمشيئة الله تشريعاً حتى يربط بمشيئته تكويناً ، و « إلا أن يشاء الله » يخص التكوين ، حيث المشيئة التشريعية واجبة الإحراز قبل الإرادة والفعل ، فلا تقبل اي تردد ، وإنما التردد في التكوينية .

فالقول لمحرم ام ومشتبه إني فاعل ذلك إن شاء الله مس من كرامة الله ، وان كانت المحرمات غير خارجة عن مشيئة الله كما تناسب ساحته دونما اجبار ، وانما تلحق مشيئته تعالى مشيئة المختار ! فان « ان شاء الله »

---

(١) خلاف ما اخرجه سعيد بن منصور عن ابن عمر قال: كل استثناء موصول فلا حنث على صاحبه واذا كان غير موصول فهو حانث (الدر المنثور ٤ : ٢١٨) .

(٢) نور الثقلين ٣ : ٢٥٣ ح ٤٧ في اصول الكافي علي بن ابراهيم عن ابيه عن ابن ابي عمير عن مرازم بن حكيم قال: أمره ابو عبد الله (عليه السلام) بكتاب في حاجة فكتب ثم عرض عليه ولم يكن فيه استثناء فقال (عليه السلام): كيف رجوتم ان يتم هذا وليس فيه استثناء انظروا كل موضع لا يكون فيه استثناء فاستثنوا فيه .

وفي تهذيب الاحكام باسناده الى علي بن حديد عن مرازم قال دخل ابو عبد الله (عليه السلام) يوماً الى منزل معتب وهو يريد العمرة فتناول لوحاً فيه تسمية ارزاق العيال وما يخرج لهم فاذا فيه لفلان وفلان وفلان وليس فيه استثناء فقال: من كتب هذا الكتاب ولم يستثن فيه كيف ظن انه يتم؟ ثم دعى بالدواة فقال: الحق فيه انشاء الله فالحق في كل اسم انشاء الله .

ترج لمشيئة التأييد من الله وليس إلا فيما يرضاه الله .

واذا نسيت الإستثناء بمشيئة الله فاذكره إذا ذكرت مهما طال الزمن ولما تفعل : « واذكر ربك إذا نسيت » وان كان بينك وبينه ايام او اشهر او سنون[١] !

وهل القول « إن شاء الله » يطم عامة الأقوال لاي فعل يعزمه فيتم فيها اياً كان ؟ فان قيل لك أتأكل وأنت جوعان وعلى خوان الطعام : تقول انشاء الله ؟ ولا شيء غائباً عنك خارجاً عن حولك وقوتك هنا تحوله الى حول الله وقوته ؟. . اجل فانك لا تضمن حياتك حتى الأكل ، ولا صحتك وفقدان اي رادع يردعك ! فـ « ان شاء الله » آت في كل ما لم يحصل بعد او لم يتم وأنت فاعله ، إن قولاً فقولاً وان فعلاً فعقداً في الضمير « واذكر ربك اذا نسيت » !

ليس هنا حذف كما اطالوا طائلات ، وانما باء الملابسة على « إن . . » فتأويلا للمصدر : « إلا بمشيئة الله ، فـ « لا تقولن لشيء أياً كان وايان اني فاعل ذلك غداً الا مصاحباً بمشيئة الله ان افعله او لا افعله فالفعل والترك لمن يعزم على فعل او ترك بحاجة الى إذن تكويني وتوفيق من الله »[٢] .

---

(١) نور الثقلين ٣ : ٥٥ ٢ ح ٥٥ في تفسير العياشي عن ابي حمزة عن ابي جعفر (عليه السلام) ذكر ان آدم لما اسكنه الله الجنة فقال له يا آدم لا تقرب هذه الشجرة فقال : نعم ولم يستثن فامر الله بنبيه فقال: «ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غداً الا ان يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت» ولو بعد سنة .

(٢) المصدر ٢٥٤ ح ٤٩ عن الكافي عن ابي جعفر (عليه السلام) في قول الله عز وجل «ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً» قال : فقال : ان الله عز وجل لما قال لآدم : ادخل الجنة قال له : يا آدم لا تقرب هذه الشجرة. قال : واراه اياها فقال آدم لربه : كيف اقربها وقد نهيتني عنها انا وزوجتي ؟ قال: فقال لهما : لا تقرباها يعني لا تأكلا =

ثم وملابسة القول هذا ليست بواقع المشيئة فانها مجهولة للفاعل وإنما يقول « إن شاء الله » فـ « لا تقولن . . إلاّ بقول مشيئة الله ترجياً : « إن شاء الله » !

وقد يعني « إلاّ ان يشاء الله » منقطع الإستثناء : أن القول « إني فاعل ذلك غداً » ممنوع على أية حال فإن فيه تأكيد الإستقلال ، ولا يجبره الإستثناء ، أترجياً وترددا بعد تحتم ! إذاً فقل ماشئت غير متحتم ، واقرنه بـ « إن شاء الله » تأييداً انه غير محتوم وترجياً لمشيئة الله .

وقد يحتمل اتصال الإستثناء بوجه آخر أن القول « اني فاعل ذلك غداً » ممنوع كمنع الدخول في ملة الشرك إلا ان يشاء الله « وما كان لنا أن نعود فيها إلاّ أن يشاء الله » (٧ : ٨٩) حيث العودة هذه ولا سيما لنبي مستحيلة إلاذن من الله !.

وقد يعني الإستثناء كل ذلك حيث يلائمها اللفظ والمعنى وهو اجمل واكمل !

وترى « واذكر ربك اذا نسيت » يخص فقط تركه نسياناً ، فان كان ذاكراً ربه وترك الاستثناء فلا جيران بعدئذٍ ؟ بلى حيث الأمر السماح كتوبة خاص بـ « اذا نسيت » ! وكلا حيث النسيان يعم النسيان المعمَّد وسواه ، تناسياً ونسيان ، بل ولا عصيان إلا تعمّد (عن) نسيان وإذ لا عمد فلا عصيان : «ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي فلم نجد له عزماً » (٢٠ : ١١٥) « وعصى آدم

= منها فقال آدم وزوجته : نعم يا ربنا لم نقربها ولم نأكل منها ولم يستثنيا في قولهما نعم فوكلهما الله في ذلك الى انفسهما والى ذكرهما، قال وقد قال الله عز وجل لنبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) في الكتاب «ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غداً إلاّ أن يشاء الله» ان لا افعله فتسبق مشيئة الله في ان لا افعله، فلا اقدر على ان افعله، فلذلك قال الله عز وجل «واذكر ربك اذا نسيت» اي استثنى مشيئة الله في فعلك .

ربه فغوى » (١٢٠ : ١٢١) ! ثم وباب التوبة مفتوحة بمصراعيها في كل عصيان فضلاً عن ترك الإستثناء فانه أياً كان ليس محرماً فيه عصيان !

« واذكر . . وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشداً » .

وكما أنّ « إن شاء الله » ترج للرحمة من الله ، فـ « عسى . . لأقرب » ترج ثان إلتماساً للإرتفاع على هذا المرتقى ، وضرورة المحاولة للإستواء عليه في كافة الأحوال .

انه ليس يهمني ـ فقط ـ رجاء الاجابة عن اسئلتكم هذه وان كان فيها رشد ، بل و « عسى ان يهدين ربي لأقرب من هذا رشداً » اجل « وقل رب زدني علماً » (٢٠ : ١١٤) فليس حاضر علم الوحي واقفاً على حده ليوقفني على حدّه ، فانني التماساً من ربي وترجياً لزائد رحمته غائص في خضم عنايته ، رحمات بعضها فوق بعض !.

ومها لمحت « لا تقولن . . واذكر . . وقل عسى » ان المخاطب فيها هو الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ولكن « اني فاعل ذلك غداً » لم يكن من قوله بل هو « آتوني غدا » فان تشمله « لا تقولن » فهو على البدل ، وبالنسبة للمستقبل .

ثم و « اذا نسيت » نسيان لذكرالرب وليس إلا بسلطان الشيطان و « إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين » (١٥ : ٤٢) وهو اوّل العابدين والمخلصين « فبعزتك لاغوينهم اجمعين . إلا عبادك منهم المخلصين » (٣٨ : ٨٣) اللهم إلّا ان يكون نسياناً لاستثناء غير لازم كما في قوله « آتوني غداً » فراجح هنا قول « إن شاء الله » والله يعلمه لكي يتأدب به فإنه ربه ومؤدبه ، فلم يك ناسياً لربه إن تركه ، ام إن نسيه فنسيانه من الله لكي يعرّفه موقفه أنه في معرض النسيان لولا تثبيت من الله .

ثم ترى انها نص على عدد لبثهم هو ثلاثمائة وتسع سنين ؟ وصيغته الصحيحة هي هذه دون المذكورة في الآية !

او تعني لهم مجموعاً من اللثين فالأصل ثلاثمائة والتسع الزائد عليها يلحقها حيث ازدادوها تطلباً من الله بعد بعثهم عن نومتهم الأولى ؟ ولا طائل تحت هذه الزيادة المزعومة حيث القصد من بعثهم الأولى عن نومتهم الأول حاصل « ثم بعثناهم لنعلم . . وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا . . » وقد حصلت هذه الثلاث فماذا بعدُ ! ولماذا بعدُ « تسعاً » ؟! .

أو أن التسع المزداد انما تعني توفيق حساب الاعداد ، أن الثلاثمائة هي الشمسية فتتحول إلى اضافة التسع حسب القمرية [1] ؟ وهذا لا يصح في اي حساب ! فان كانت الثلاثمائة شمسية فاضافة التسع القمرية لا تحولها الى (٣٠٩) قمرية ، وان كانت قمرية فاضافة التسع قمرية وشمسيةً لا تحولها الى (٣٠٩) شمسية ولا قمرية[2] وان كانت مجملة فاضافة احدهما لا تزيدها إلا اجمالاً ! ثم من ذا الذي ازداد الثلاثمائة تسعاً إلا الله في هذاالحساب

---

(١) نور الثقلين ٣ : ٢٥٦ ح ٦٢ عن مجمع البيان وروي ان يهودياً سئل علي بن ابي طالب (عليه السلام) عن مدة لبثهم فاخبر بما في القرآن فقال: انا نجد في كتابنا ثلاثمائة فقال (عليه السلام) ذاك بسني الشمس وهذا بسني القمر.
اقول وهذا حديث مختلق كما بيناه في المتن وفي احتجاج الطبرسي عن ابي عبد الله (عليه السلام) وقد رجع الى الدنيا ممن مات خلق كثير منهم اصحاب الكهف اماتهم الله ثلاثمائة عام وتسعة وبعثهم في زمان قوم انكروا البعث ليقطع حجتهم ويريه قدرته وليعلموا ان البعث حق اقول: بين الروايتين تناقض في تسعاً ثم هنا الموت وفي القرآن النوم فهما مختلقان مطروحان ! .

(٢) وهي حسب الشمسية ٢٩١ سنة إلاّ (١٥) يوماً وبزيادة التسع (٣٠٠) سنة إلاّ (٩٥) يوماً! .

التحويل ، ومن ثم فليس القرآن كتاب حساب يحول عدداً الى آخر ، ولو كان لكان التعبير هنا ، « ثلاثمائة سنين هي بالقمرية (٣٠٩) دون « إزدادوا تسعاً » ثم القرآن لا يذكر السنين إلا قمرية كما هي الاصل في احكامه الشرعية ، فاياً كانت تلك السنين تتحول في مستعمل القرآن الى القمرية ! ثم هذه الثلاث قد تنافي « قل الله اعلم بما لبثوا . . . » افبعد التصريح هكذا بعددهم تجهّل غير الله وتخص علمه بالله ؟! .

او ان الثلاثمائة وتسعاً هما من مقالات المتنازعين امرهم بينهم ؟! ولا شيء منهما مما يقوله الله[1] ؟ وذلك عطف بعيد أن تعطف « ولبثوا . . » بـ « وسيقولون . . . » وبينهما الفصل بجملات في الآية وآيتين بعدها وهو خلاف الفصيح ! ولكنه ليس فصلاً بينهما باجنبي حتى يخالف الفصيح ، و «قل الله أعلم . . » تكفي قرينة على ذلك العطف مهما كان بعيداً بفصله عن أصله !

أو أن الثلاثمائة هي قول الله « وازدادوا تسعاً » نقل الزيادة عليه تأنيباً يؤيده « قل الله أعلم بما لبثوا . . » فكما أن عدتهم ذكرت في تلميحة ،

---

(١) الدر المنثور ٤ : ٢١٨ ـ اخرج ابن ابي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال: ان الرجل ليفسر الآية يرى انها كذلك فيهوى ابعد ما بين السماء والأرض ثم تلا «ولبثوا في كهفهم» الآية ثم قال: كم لبث لقوم؟قالوا: ثلاثمائة وتسع سنين ، قال : لو كانوا لبثوا كذلك لم يقل الله : قل الله اعلم بما لبثوا ولكنه حكى مقالة القوم فقال سيقولون ثلاثة الى قوله رجماً بالغيب واخبر انهم لا يعلمون قال سيقولون ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً.

واخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم عن قتادة قال: في حرف ابن مسعود: وقالوا لبثوا في كهفهم الآية يعني انما قاله الناس ألا ترى انه قال: قل الله اعلم بما لبثوا ـ اقول «وقالوا» تفسيرٌ بيان العطف وليست من الآية واخرج ابن ابي حاتم عن قتادة في الآية قال: هذا قول اهل الكتاب فرد الله عليهم: قل ار اعلم بما لبثوا .

كذلك سنيّهم العدة ؟ وهذا أوفق أدبياً ومعنوياً ! ثم إنهما من أقوال المتنازعين بلمحة أن الأول مصدَّق دون الثاني ، ولولا صدقه دونه لكان التعبير « ويقولون ثلاثمائة ويقولون بزيادة تسع . . » !

« قل الله اعلم بما لبثوا » ممن ازدادوا تسعاً ، ام وقالوا ثلاثمائة فان « له غيب السماوات والأرض » وعدة لبثهم من الغيب لا يعلمها إلا هو ، « أبصر به » في عجاب « وأسمع » فلا يبصر أحد ما يبصره ولا يسمع ما يسمعه « ما لهم من دونه من ولي » يلي أمرهم تعليماً لغيب ، تكويناً او تشريعاً فله الولاية المطلقة لا سواه ، وله الحكم مطلقاً لا سواه « ولا يشرك في حكمه أحداً » اللهم إلا حكماً شرعياً وليس باشراك وإنما برسالة وسواها من تبليغ رسالة اماهيه .

وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ
وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ
يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ
عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ
أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾
وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ
فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا

وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ
بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾
أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ
فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن
سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۚ نِعْمَ
الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

صرف للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عن القيل والقال والاصغاء الى أصحاب المقال في آرائهم واقتراحاتهم الناكبة عن الصراط ، والإلتحاد إلى الرب وكلماته ، وأن يصبر نفسه مع الذين يدعونه ، ماشياً على صراط الحق ، متمسكاً بصراح الحق فتعم الثواب ونعم المرتفق !

﴿ واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحداً ﴾[٢٧].

اصل التلاوة هي المتابعة « والشمس وضحاها . والقمر إذا تلاها » فلا شأن لك ولا واجب عليك إلا متابعة كتاب ربك قراءة وتفهماً وتفهيماً

وابلاغاً وتطبيقاً ، « واتل ما أوحي اليك . . » لا ما اوحاه عقلك امّن سواك ، وانما « من كتاب ربك » القرآن العظيم ، دون ان تبخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفاً ، أو أن تستعجل وحي ربك فتعدهم الجواب ناسياً « إن شاء الله » ودون الإلتحاد الى اي وحي او استفتاء او استيحاء ، وإنما « ما اوحي إليك من كتاب ربك » فحسبك ربك وكتاب ربك إذ « لا مبدل لكلماته » : ربك ولا كتابه « ولن تجد من دونه » : ربك ولا كتابة « ملتحداً » .

فهما وصفان متلاحمان لـ « ربك» ولـ « كتاب ربك » : « ولا مبدل لكلماته » والقرآن أفضل كلماته ، « ولن تجد من دونه ملتحداً » وملتحده الموحى اليك هو قرآنه كما هو تعالى ملتحدك في كلما تحتاجه ، ملتحد تكويناً وملتحد تشريعاً لا مبدل لهما !

فكلماته التشريعية التدوينية ككل لا مبدل لها من غيره تعالى نسخاً إلا تحريفاً في غير القرآن : « يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » وكلماته الأخيرة القرآن ، لا مبدل لها اطلاقاً إذ تمت « وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم » (٦: ١١٥) لا مبدلاً من غير الله تحريفاً وتجديفاً ، مهما كان لغير القرآن تحريف وتجذيف ، ولا مبدلاً إلهياً نسخاً وتبديلاً كشرعة تنسخ وتتبدل ، فالقرآن كما كان وكما هو الآن قائم مر الدهور والأعوام الى يوم القيام لا نسخ فيه ولا تحريف يعتريه دون سواه من كلمات الله وكتاباته .

و « ملتحداً » : متمايلاً يجير إليه ، أولاً هو الله لاي ملتحد وعلى أية حال اجارة وجواراً : « قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً، إلا بلاغاً من الله ورسالاته . . » (٧٢: ٢٢)ومن ثم لن اجد ملتحداً

من وحيه إلا كلماته الأخيرة القرآن المبين ، فهنالك الله وهنا كتاب الله ثم لا سواه ولا سواه .

هنا « لا مبدل لكلماته » في استغراق نفي التبديل يجعل من القرآن كتاباً لا نسخ له ولا تحريف ، إذاً فهو كتاب الزمن وخاتمة الوحي لا كتاب بعده ما طلعت شمس وغربت !

ومن ثم « ولن تجد من دونه ملتحداً » تحيل ملتحداً من دون القرآن كما تحيله من دون الله ، ضرباً الى أعماق الزمن ما بقي الدهر ، فمهما غاب شخص الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لا تغب رسالته القرآنية وإذا الرسول وهو اوّل العابدين « لن تجد . . » فغيره أحرى ان « لن يجد » فـ « لن تجد » وإن كان خطاباً لشخص الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ولكنه بإحالة « لن » واوّل العابدين في « تجد » يطوي كل زمان ومكان وكل إنس وجان حتى القيامة الكبرى . فتحيل أي ملتحد طول الزمان وعرض المكان سوى القرآن كما آله القرآن ! .

﴿ ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً ﴾[٣٥] .

ولماذا « ثلاثمائة » دون اضافة وبتمييز جمع « سنين » خلاف القاعدة المطردة من اضافتهما الى مفرد ؟

الأن « سنين » نزلت بعد « ثلاثمائة » حين سئل الرسول : اياماً اوشهوراً او سنين ؟[١] ونزولها دون سنين إهمال في اجمال تبعد عنه ساحة القرآن البيان !

---

(١) الدر المنثور ٤ : ٢١٨ اخرج ابن ابي شيبة وابن جرير وابن المنذر، وابن ابي حاتم عن الضحاك قال: نزلت هذه الآية « ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة . . » قيل يا رسول الله (صلى ـ

ام إنها بدل عنها فلا إضافة الى مفرد خلاف التميز ، فثلاثمائة هي سنين مُضمَّنةً معنى التمييز ؟ وهذا خلاف المألوف مما يلحق العدد فانه ـ دوماً ـ التمييز !

أم إنها قاعدة راجحة او مخيرة فيما إذا كان مضاف العدد المركب جمعاً ، فالتمييز أيضاً لجمعه ، أو مفرد للمضاف اليه « مائة » والقرآن أفضل أصل لاقتباس القواعد فلا يقاس بسائر القياس المستفاد من سائر الأدب العربي شعرا او نثراً ؟ فليؤخذ أدب القرآن لفظيا كما هو معنوياً نبراساً لكل قاعدة وفائدة .

﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداء والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطاً ﴾(٣٨).

نفس مطمئنة يروضها ربها بالتقوى إيناساً بربها ووحيه ، وصبراً مع الذين يدعونه يريدون وجهه ، ويرفضها عن الطغوى بطاعة من أغفل قلبه عن ذكره واتبع **هواه وكان** أمره فرطاً .

هنا أمر بصبر نفسه المقدسة معهم ونهي ان يعدو عيناه عنهم ونهي ثان ان يطيع غفلان القلوب ، يتبنى صرح هذه الرسالة السامية عل بساط الفقراء الى الله ، دون الاثرياء الاغبياء الاغنياء في حسبانهم عن الله ، مهما طالت وعودهم وابرق وقودهم: « لو جلست في صدر المجلس وتغيبت عن هؤلاء وأرواح جبابهم حادثناك واخذنا عنك»(١) وكما كان يقول اضرابهم للانبياء قبله من نوح مفتتح الرسالات : « قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون . قال وما

= الله عليه وآله وسلم) اياماً أم شهوراً ام سنين ؟ فانزل الله : سنين وازدادوا تسعاً .

(١) الدر المنثور ٤ : ٢١٩ ـ اخرج ابن مردويه وابو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب

علمي بما كانوا يعملون . إن حسابهم إلاّ على ربي لو تشعرون . وما أنا بطارد المؤمنين » (٢٦ : ١١٤) وإلى غيره من رسل الله !

يطلب من الرسول هكذا فيرفض كما أمر الله قائلاً : « الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمتي معكم المحيا والممات »[1] ولقد كان يجامل فقراء المؤمنين ويكرمهم طول حياته المنيرة على ميزانية تقواهم .

وهل ان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حدثته نفسه فيما طلبوا إليه رغبة في ايمانهم كما يدعون ؟ هذا بعيد عن ساحته وغريب عن اخلاقه

= الايمان عن سلمان الفارسي قال: جاءت المؤلفة قلوبهم الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وعنده عيينة بن بدر والاقرع بن حابس فقالوا يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : وجلست في صدر المجلس وتغيبت عن هؤلاء وارواح جبابهم - يعنون سلمان وابا ذر وفقراء المسلمين وكانت عليهم جباب الصوف - جالسناك او حادثناك واخذنا عنك فأنزل الله : ورتل ما اوحي . . الى قوله: اعتدنا للظالمين ناراً احاط بهم سرادقها .

(١) المصدر اخرج ابو الشيخ عن سلمان قال قام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يلتمسهم حتى اصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله فقال : . . واخرج عبد بن حميد عن سلمان قال : نزلت هذه الأية في رجل دخل على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومعي شن خوص فوضع مرفقه في صدري فقال : تنح حتى القاني على البساط ثم قال : يا محمد ! انّا ليمنعنا كثير من امرك هذا واضرباءه ان ترى لي قدماً وسواداً فلو نحيتهم اذا دخلنا عليك فاذا خرجنا اذنت لهم اذا شئت، فلما خرج أنزل الله «واصبر نفسك . . الى - فرطاً » واخرج ابن ابي حاتم وابن عساكر من طريق عمر بن ذر عن ابيه ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) انتهى الى نفر من اصحابه منهم عبد الله بن رواحة يذكرهم بالله فلما رآه عبد الله سكت فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ذكر اصحابك، فقال: يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)! انت احق! فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): اما انكم الملأ الذين امرني الله ان اصبر نفسي معهم ثم تلا «واصبر نفسك . . ».

وسماحته « وانك لعلي خلق عظيم » (٦٨ : ٤) وكيف يطرد المؤمنين رغبة في ايمان المستكبرين ، ثم وأين ايمان من ايمان لوصدقوا وآمنوا ! سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم !.

إنما يأمره ربه بما يأمر وينهاه عما ينهى تثبيتاً للمؤمنين وتنديداً بالمستكبرين ، وتبعيداً لهم عن اقتراحهم عليه من طرد المؤمنين ، لا أنه طرد ثم نهي ! فـ « يا ايها النبي حسبكِ الله ومن اتبعك من المؤمنين » (٨ : ٦٤) « . . واخفض . ناحك للمؤمنين » (١٥ : ٨٨) . . ، لمن اتبعك من المؤمنين » (٢٦ : ١٥) وهو « يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم . . » (٩: ٦١) ! « حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » (٩: ١٢٨) !.

فانه لا تقوم الدعوات الرسالية إلا على من يعتنقونها ايقاناً وايماناً مهما كانوا فقراء دون من يعتورونها متاجرين بها يمشون معها ما تمشيهم في شهواتهم فاذا محصوا بالبلاء قل الديانون !

« واصبر نفسك » وكيف « نفسك » مفعولاً والصبر لازم حيث يتعدى بواسطة ؟ ان الصبر وهو الحبس متعدٍ الى مفعول محبوس به ، مهما يتعود تعديته بمحبوس فيه او عليه او معه أم ماذا ؟ فاصبر نفسك في الحياة الدنيا على مشاقها وحرماناتها « مع الذين يدعون ربهم بالغداوة والعشي » صبراً في الله ولله والى الله !.

كل إمساك واحتباس في ضيق صبر ، منه ممدوح ومنه غير ممدوح ، والصبر مع المؤمنين احتباس للنفس عن الشهوات وتحرير لكافة الطاقات النفسية في التقدم معهم إلى قمة الايمان بمواصلة المجاهدات وتحمل الحرمانات !.

وما هي النفس المحمدية المأمورة بالصبر معهم ؟ إنها كله (صلى الله عليه وآله وسلم) من روحه وجسمه ، بعقله وصدره وقلبه ، في حله

وترحاله ، وعلى كل حاله ، فكما يصبر في الله في أوامره ونواهيه وفي قوله الثقيل كذلك مع الذين يدعونه بالغداوة والعشي يريدون وجهه ، يحملهم ويتحملهم بهديهم ويذود عنهم ، يجاريهم ويداريهم ولا يفضّل عليهم ولا يسوي بهم !

اجل « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداوة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين » (٦ : ٥٢) .

ولماذا تطردهم وهم مؤمنون؟أرغبة في ايمان من يتأنفون عنهم، والإنذار لا يفيدهم « وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون » (٦ : ٥١) ! .

ترى وماذا تعني « بالغداوة والعشي » حيث يدعون بهما ربهما ؟ الأنهما وقت الصلاة بداية الفرض في العهد المكي طرفي النهار كما في مكيات اخرى « واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار » (٤٠ : ٥٥) ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداوة والعشي . . » (٦ : ٥٢) ؟ ولا بدفي سمة الايمان دوامتها والفرض في المدينة خمس وعلى طول الخط ، فليقل : مع المصلين لتشمل الفرض مكياً ومدنياً ! وآية العشي والإبكار لا تخص المكي ، بل والمدني أيضاً « واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشي والابكار » (٣ : ٤١) وكما الكهف عدّها مدنية او البعض من آيها وعلها منها !

ام لأن الغداة هي الوقت الذي يتنقل فيه الإنسان من نومه الى يقظته ، والعشي تنقلاً من يقظته الى نومه ، وهما يذكّران الحياة بعد الموت ثم الموت بعد الحياة، وهما ركنا اوقات الليل والنهار .فذكرهما أهم الذكر !

اذا فهما يعنيان أهم الأوقات من الليل والنهار ، فالغداة صباح والعشي عصر الى ليل ، وكما هما في الجنة والنار ركنان في رحمة وعذاب : « ولهم رزقهم

فيها بكرة وعشياً » (١٩ : ٦٢) « النار يعرضون عليها غدواً وعشياً » (٤٠ : ٤٦) فهما اهم اوقات الذكر وسواه وفيما مضى كما هنا : « فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشياً » (١٩ : ١١) لا فحسب الإنسان فالجبال ايضاً : « إنا سخرنا الجبال معه يسجن بالعشي والإشراق » (٣٨ : ١٨) .

ثم وفي ردف العشي بالإشراق والغدو بالعشي ـ على كونهما ركني الاوقات ـ عطف الى ما بينهما من أوقات الليل والنهار ، إلا فيما يخصهما بقرينة كرزق البرزخ وعذابه ، فالغداة والعشي في ذكر الرب ودعوته تعني الغداة الى العشي والعشي الى الغداة كما يقال « انا دارس صباح مساء » او « ضارب اعداء الله ظهر بطن » .

فدعوة الرب هي حالهم ومقالهم ، حلهم وترحالهم ، غداتهم وعشيهم بما فيها الفرائض الخمس[1] كاركان الدعوات وتلحقها سائرها ، كما الغداة والعشي من أركان الاوقات وتلحقها سائرها .

« يدعون ربهم يريدون وجهه . . » وماذا يعني « وجهه » ؟ هنا وجه الرب كما في عديد سواه[2] وهناك وجه الله كما في عديد سواه[3] وبينهما فرق

---

(١) الدر المنثور ٤ : ٢٢٠ ـ اخرج البيهقي في شعب الايمان عن ابراهيم ومجاهد في الآية قالا : الصلوات الخمس وفي نور الثقلين ٣ : ٢٥٨ عن تفسير العياشي عن زرارة وحمران وعن ابي جعفر وابي عبد الله (عليهما السلام) في قوله «واصبر . . بالغداة والعشي» قال : انما عنى بها الصلاة » .

(٢) كما في ١٣ : ٢٢ : والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم واقامهم الصلاة ـ و٥٥ : ٢٧ : ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ـ و٩٢ : ٢٠ : الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ـ و٦ : ٥٢ : يريدون وجهه ـ فالمجموع خمسة موارد .

(٣) كما في ٢ : ١١٥ : فاينما تولوا فثم وجه الله ـ و ٢ : ٢٧٢ : وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله ـ و٣٠ : ٣٨ : ذلك خير للذين يريدون وجه الله و ٢٨ : ٨٨ :) الله لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه .

كما بين وجه الله وسواه .

والوجه من كل شيء ما يواجَه شيئاً او يواجه بشيء ،فيختلف حسب اختلاف الاشياء والمواجهات ، فلايقاس وجه الرب الإله بسائر الوجه ، كما لا تقاس اقامة الوجه إليه وتسليمه لديه بسائر الوجه .

فوجه الرب هو الوجهة التربوية التي يواجه الله بها خليقته يوم الدنيا والآخرة ، ويواجهونه بها في الدنيا والآخرة ، فبوجه الله من الوجهة التشريعية يدعون ربهم بالغداة والعشي ، وبهذه الدعوة يريدون الوجهة التربوية ليوم الدنيا تقرباً إليه وتكرماً لديه ، وحظوة مما عنده من حياة ايمانية ، فالمؤمن دنياه آخرة ! وليوم الآخرة الوجهة التربوية ثواباً عند الرب وزلفى ، واجهات خمس هي كلها وجه الرب[1] حيث يريدونه بدعوتهم ربهم بالغداة والعشي ! كما « وجاء ربك والملك صفاًصفاً » (٨٩: ٢٢) يعني الوجهة التربوية الاخروية التي تخصها دون الدنيا ، والدنيوية تخصها دون الاخرى ! فليس وجه الرب وجهاً عضوياً لذاته المقدسة ، فلا أحد يقول به ، ولا من المشبهة المجسمة ، الذين يثبتون لله سبحانه أبعاضاً مؤلفة واعضاء مُصَرَّفة ، ومن ثم لوجه الله معنى غير ما يعنيه وجه الرب على اشتراكهما في وجه .

فلانك كأول العابين وكرسول لا تعني من الحياة جاهاً ولا متاعاً ولا عرضاً من الحياة الدنيا ، وانما وجه ربك ، فاصبر نفسك مع الذين يريدون وجهه ، تناسباً فتناسقاً وتناصراً في هذه السبيل .

﴿ ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا . . » !

العينان لهما عدوٌ ومد ، وعينا أهل الله لا تمدان الى غير الله واهله ، وما

---

(١) فللرب وجه يوم الدنيا : شرعته ـ التقرب اليه بها ـ الحظوة بهما يوم الدنيا ـ ووجه يوم الآخرة ـ قرباه الحظوة الثواب .

سوى الله كله الحياة الدنيا : « لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين » (١٥ : ٨٨) « . . . منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى » (٢٠ : ١٣١) .

وانما هما ناضرتان ناظرتان الى الرب والذين يدعونه يريدون وجهه ، منحصرتان بهم منحسرتان عمن سواهم .

وهل « عيناك » هما الظاهرتان الباصرتان ؟ ومدهما اليهم دون رعاية ورقابة ومرحمة ليس مد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ! ام هما عينا عقله وقلبه ، فبعقل الوحي يعقلهم عما لا يحمد ، وبعين القلب يحبهم ام ماذا ؟ ولا يكفيان مداً ، والباصرتان الظاهرتان تعدوانهم الى سواهم ! ام هما عينا القلب بما معه ، والقالب بما معه ، ان يكرس نفسه بطاقاتها وامكانياتها نظرة ناضرة اليهم ، مراقبة عليهم ؟ وهو جمع جميل والله على ما نقول وكيل ! .

﴿ . . . ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطاً ﴾(٢٨) .

وهل ان اغفاله سبحانه قلباً يعني وجدانه غافلاً فهو في الحق غافل عاطل ، كما يقال « لله دركم يا بني سليم ! والله لقد قاتلناكم فما اجبناكم وهاجيناكم فما افحمناكم وسألناكم فما ابخلناكم » اي : لم نجدكم جبانين عند النزال ولا أعياء عند المقال ولا ابخال عند السؤال[1] .

وذلك احتشاماً عن ان يُغفل الله قلباً وهو مذكر لا مُغفِل ؟ ولكنما الصحيح والفصيح للتدليل على هذا المعنى لفظه الخاص كـ (وجدنا قلبه غافلاً)

---

(١) مجازات القرآن وتلخيص البيان للسيد الشريف الرضي ينقله عن عمرو بن معد يكرب لبني سليم ص ٢١٢ .

كـ « إنا وجدناه صابراً نعم العبد انه اواب » (٣٨: ٤٨) دون أصبرناه .

ثم الإغفال لا يختص المسيِّر ، ان يُغفل الله قلباً دونما اختيار منه وتقصير ، بل انه غفلة معمَّدة ثم إقفال ومن ثم إغفال فامتناعاً للذكر بتعمد واختيار : « فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم » « . . ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم . ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين . أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم واولئك هم الغافلون » (١٦: ١٠٨) .

فالمتغافلون الغافلون الدائبون في غفلتهم وغفوتهم «وهم في غفلتهم معرضون » (٢١: ١) اولئك هم الغافلون الذين غفلوا عامدين فاغفل الله قلوبهم عن ذكره طبعاً عليها وختماً .

ثم ترى إن اغفاله لقلوبهم هو تركه لهداها أن « يذرهم في طغيانهم يعمهون » (٧: ١٨٦) وفي غيهم وعيهم يترددون ، فـ « اغفلنا قلبه » : تركناه غفلاً من السمات والكتابات الايمانية ، « اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه » وهم خلو القلوب منها ، وكما يقال : اغفل البعير : تركه بلا سمة يعرف بها على عادة العرب في إقامة السمات مقام العلامات ، اللهم إلا الطبع والختم « بل طبع الله عليها بكفرهم فهم لا يؤمنون » ؟ ومجرد الترك وإن كان ينتج بقاء الغفلة ولكنه ليس إغفالاً ، فانه ايجاد للغفلة بعد الذكر ، ام غفلة على غفلة ! ـ

ام إنه مزيد في غفلة معمدة معاندة أن تستمر فتزيد جزاءً وفاقاً في الدنيا وفي الآخرة عذاب اليم : ان الله اقفل قلوبهم عن الذكرى فاغفلها استمراراً فيها فمزيداً عليها « واتبع هواه»بعد الإغفال كما قبله وأكثر دونما تفكير في هداه « وكان أمره فرطاً » قبل الإقفال والإغفال ، حيث الغفلة المعمَّدة دركات بعضها فوق بعض ، فإغفالها على حسبها دركات بعضها فوق بعض ، آخذة من ترك التوفيق ،فختم وطبع فدفع الى مزيد من الغفلة وهو الدرك الاسفل

من الإغفال .

وقد يعني « اغفلنا » هنا كل هذه مترتبة : ان وجدنا قلبه غافلاً عن عمده فلما استمرفي غفلته تركناه على غفلته وحتى شرح بالكفر صدراً فطبعنا على قلبه حتى لا يسطع الرجوع عن غفلته ، اذ كان له قبل طبعه الرجوع الى ربه ثم يمدهم في طغيانهم يعمهون « وكان امره فرطاً » قبل أن أغفلنا قلبه واتبع هواه من قبل ومن بعد في تزايد دركاته ، وما اجمله جمعاً بين معان مترتبة يقتضيها أدب اللفظ وواقع المعنى ! .

اتباع الهوى على غفلة معمَّدة وامر فُرُط مضيع يتبعه جزاءً له إقفال القلب فإغفاله فاتباع مفرط للهوى وامر فرط في اتباع الهوى ! « استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله » (٥٨ : ١٩) « ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم انفسهم » (٥٩ : ١٩) ! .

لا تطع ـ وان كانت رجاء لاهتداءهم ـ من غفلوا عن أنهم عبيد وهو ربهم فأغفلنا قلبه عن ذكرنا فلم يطامنوا من نخوتهم ولا خففوا من غلوائهم ، ولم يستشعرواجلال الله الذي تتساوى في ظله العباد إلا من التقى أو هو اتقى ! .

ذلك القلب المقلوب ، المليء من الشهوات والطنطنات ، في أمر إمر من فرطات ، انه ليس قلب إنسان ، بل هو مربض الحيوان ومزبل الشيطان ! « ولا تطع . . . » .

« وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً »[٢٩] .

آية محكمة تحكم عرى الاختيار وتجثث جذور الاجبار « فمن شاء . .

ومن شاء » فمشية الايمان والهدى تجلب زياده الهدى من الله واستمراريتها : « والذين اهتدوا زادهم هدى » كما مشية اللاايمان والردى تجلب غفلة دائبة او زيادتها باغفال من الله .

« وقل الحق من ربكم » حيث يربيكم دلالة فتوفيقاً للهدى فمن شاء وتقبَّل الحق يثبته عليه ويزيد ، ومن لم يشاء وأعرض عن الحق يختم على قلبه ويغفله ، فانه ظالم في نكران الحق ، يظلم نفسه ويظلم الحق وأهله ـ.

ليس الحق ملكاً لاحدٍ ولا مخولاً فيه لأحد حتى يجامل فيه فيماري ويداري « وقل الحق من ربكم » ! فالحق ـ اذاً ـ لا يعتز ولا ينتصر بمن لا يبغونه إلا عوجاً ، وانما يعزّ وينصر من يبغونه خالصاً بلا تجوير ولا تحوير ، والذي يترفع عن الذين يبغونه ناصحاً ناصعاً لا يرجى منه اي خير ولا لنفسه فضلا عن قبيل الايمان ! .

انه لا حقَّ لائقاً غير زائغ ولا خليطاً بغير حق إلا من ربكم ، والخطأ جائر كائن لغيره أياً كان إلا من عصمه ربه بوحيه ، فلا تطلبوا مني دَخِلا في حقه ولا بخلا وانحصاراً في مواجهة حقه ـ وهذا ختام الكلام ومن ثم .

« إنا اعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها . . » .

السرادق هو الفسطاط وسرادق النار هو زبانيتها المحيطة والمشتملة على أهلها . فلا ينجو منها ناج ولا يطلق منها عان حيث « وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً » (١٧ : ٨) حبساً يحصرهم وطَولاً يقصرهم فـ « إنها عليهم مؤصدة . في عمدٍ ممدَّدة » (١٠٤ : ٩) فسطاط من نار هي حصير مؤصدة : مغلقة مطبقة ـ.

هذا وكما أحاطت بهم سرادقات نيران الشهوات وحصرتهم في دنيا الحياة فهي هي تتمثل سرادق في الحياة الاخرى .

« وان يستغيثوا » على إياسهم من مُغيث ، ولكنما الحالة تلك المزرية المضطربة قد تدعوهم أن يستغيثوا « يغاثوا بماء كالمهل » : دردي الزيت المغلي « يشوي الوجوه » بمواجهته قبل شربه ، وهل يشربونه . وهو كالمهل ؟ اجل[1]! لأن الإغاثة ليست فقط عرضاً للماء وان لم يشربوا بل هي إشراب لهم ، ولان سرادق النار يضطرهم لشرب ايا كان « إن شجرة الزقوم طعام الاثيم . كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم » (٤٤ : ٤٦) « وسقوا ماءً حميماً فقطع أمعائهم » (٤٧ : ١٥) « ويسقي من ماء صديد » (١٤ : ١٦) !.

« بئس الشراب » ماءه كالمهل « وساءت » النار « مرتفعاً » متكئاً يُعتمد عليه بالمِرفق ، كما المرفقة هي المخدة، وكما « مأواهم جهنم وبئس المهاد »

هذا مرتفق النار ثم أهل الجنة « متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقاً » وأين مرتفق من مرتفق ؟!

شراب كالمهل « كعكر الزيت فاذا قرب إليه سقطت فروة

---

(١) نور الثقلين ٣: ٢٦٠ ح ٧٩ في تفسير العياشي عن عبد الله بن سنان عن ابي عبد الله (عليه السلام) في قول الله «يوم تبدل الارض غير الارض» قال : تبدل خبزة نقية يأكل الناس منها حتى يفرغ من الحساب فقال له قائل: انهم يومئذٍ في شغل عن الاكل والشرب ؟ فقال (عليه السلام) له : ان ابن آدم خلق اجوف لا بد له من الطعام والشراب ، اهم اشد شغلاً ام هم في النار فقد استغاثوا « وان تستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل».

وفيه عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عن ابيه عن جده (عليه السلام) قال قال امير المؤمنين (عليه السلام ان اهل النار لما غلى الزقوم والضريع في بطونهم كغلي الحميم سألوا الشراب فأتوا بشراب غساق وصديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ وحميم يغلى به جهنم منذ خلقت كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً .

وجهه[١] مشوياً ، حرقاً من حرارته وحرقاً من ثخونته ، او فضة مذابة وهي أحر وأحرى ان تشوي الوجوه[٢] ! .

﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً[٣٠]أولئك لهم جنات تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقاً ﴾[٣١] .

« أحسن عملاً » لا فقط ايماناً ، وإنما عمل الايمان ، حيث ينبثق العمل من الإيمان ، لا ايماناً دون عمل ، ولا عملاً دون إيمان ، وإحسان العمل هو أن يعمل الصالحات : التي تصلح انبثاقاً من الايمان ، وتصلح لساحة الربوبية قولاً بعمل ، وقولاً وعملاً بنية ، وقولاً وعملاً ونيته بإصابة السنة !

لا ضياع هناك في حساب الله لا ايماناً : « وما كان الله ليضيع ايمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم » (٣ : ١٤٣) ولا عملاً « إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً » ولا إحساناً اياً كان في عمل ام ايمان « إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع اجر المحسنين » (١٢ : ٩٠) .

---

(١) الدر المنثور ٤ :٢٢٠ـ اخرج احمد وعبد بن حميد والترمذي وابو يعلى وابن جرير وابن ابي حاتم وابن حبان والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن ابي سعيد الخدري عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في قوله « بماء كالمهل » قال : كعكر الزيت وفي تفسير القمي قال ابو عبد الله (عليه السلام) المهل الذي يبقى في اصل الزيت المغلي .

(٢) فلعل التشبيه بعكر الزيت لانه المشهود لهم دون الفضة المذابة ، ووجه التشبيه هو الثخونة بحرارة وان كانت اكثر من الدردي بكثير ، بل ومن الفضة المذابة ايضاً .
وفي الدر المنثور ٤ : ٢٢١ ـ اخرج جماعة عن ابن مسعود انه سئل عن المهل فدعا بذهب وفضة فاذابه فلما ذاب قال : هذا اشبه شيء بالمهل الذي هو شراب اهل النار .

لا تجد في سائر القرآن ايماناً صالحاً إلّا قرناً بعمل صالح ، كلما ازداد الايمان زاد عملاً صالحاً ، وكلما ازداد صالح العمل ازداد ايماناً ، جناحان متناصران في تحليق الإنسان أجواءً صافية ضافية تصلح لطائره كدحاً الى ربه فملاقيه !

« اولئك لهم جنات » بساتين تجنّ أشجارُها ارضها، تجري من تحتهم الأنهار » تحت الأرضية ام سطح الأرضية ، فهما تحت الأشجار التي جنتهما بارضها « يحلّون فيها » حلية الرجولة للرجال ، وحلية الأنوثة للنساء « من اساور »[1] جمع سِوار : حلية المعصم ، ام : دستواره الفارسية « من ذهب » فمهما كانت هي محرّمة يوم الدنيا للرجال ولكنها حِلية محلّلة يوم الأخرى ، إلّا المحرمات الذاتية التي تخرج العبد عن طور العبودية وتمس من كرامة الربوبية « ويلبسون ثيابا خضراً من سندس » : مارق من ديباج و « استبرق » : ما غلظ منه وقد حلت لهم بعدما حرمت[2] « متكئين فيها على الأرآئك » : السرائر الاريكة[3] « نعم الثواب وحسنت مرتفقاً » خلاف ما

(١) الدر المنثور ٤ : ١١) ـ اخرج ابن مردويه عن سعد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : لو ان رجلاً من اهل الجنة اطلع فبدت أساوره لطمس ضوءه ضوء الشمس كما يطمس ضوء النجوم اقول يعني شمس الآخرة ونجومها فلا يرد عليه انها مكورة او مطموسة وفيه اخرج الطبراني في الاوسط والبيهقي في البعث عن ابي هريرة ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : لو ان ادنى اهل الجنة حلية عدلت حليته بحلية اهل الدنيا جميعاً لكان ما يحليه الله به في الآخرة افضل من حلية اهل الدنيا جميعاً .

(٢) المصدر اخرج النسائي والحاكم عن عقبة بن عامر ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يمنع اهل الحلية والحرير ويقول : ان كنتم تحبون حلية الجنة وحريرها فلا تلبسوهما في الدنيا وفيه اخرج الطيالسي والبخاري في تاريخه والنسائي والبزار وابن مردويه والبيهقي في البعث عن ابن عمر وقال قال رجل يا رسول الله اخبرنا عن ثياب اهل الجنة اخلقاً تخلق ام نسجاً تنسج ؟ قال : بل يشقق عنها ثمر الجنة .

(٣) المصدر اخرج البيهقي في البعث عن ابن عباس قال : لا تكون اريكة حتى يكون

للظالمين في النار « بئس الشراب وساءت مرتفقاً » واين مرتفق من مرتفق!

في مرتفق الجنة تنعُّم حلوّ قرير ، وفي مرتفق النار تهكُّم مرير ، : لأولاء نار معتدة مؤصدة في عمد ممددة، ولهؤلاء حلية من أساور وثياب خضر من سندس وإستبرق ، أولاء يستغيثون من ظمإٍ النار وحريقه فيغاثون بما يزيدهم ظمأً وحريقاً « بماءٍ كالمهل يشوي الوجوه» فكيف بالحُلوق والبطون ، وهؤلاء لهم بهجة المنظر واعتدال النسيم ولهم فيها ما يشتهون نزلاً من غفور رحيم !

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

= السرير في الحجلة فان كان سرير بغير حجلة لم يكن اريكة وان كانت حجلة بغير سرير لم تكن اريكة فاذا اجتمعا كانت اريكة وفيه عن الحسن قال : لم نكن ندري ما الارائك حتى لقينا رجلاً من اهل اليمن ، فاخبران الاريكة عندهم الحجلة اذا كان فيها سرير واخرجه مثله عن قتادة وعكرمة .

* وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا
رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا
بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا
وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ
ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا
وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ
مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً
وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾
قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن
تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ
رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ
قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ

مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ
وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾
أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾
وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا
وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ
أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ
وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ
ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ
فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ
ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾

﴿ واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخلٍ وجعلنا بينهما زرعاً ﴾[٣٢] كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً وفجرنا خلالهما نهراً ﴾[٣٣]:

« واضرب لهم » لقبيل الايمان والكفر ، أهل الجنة والنار « مثلاً » يمثل حالتهم وجوارهم وجوارهم ، مبدأهم ومنتهاهم ، كنموذجين في مسرح الحياة لطغوى النفس وتقواها ، نفس فقيرة مفتقرة الى الله ، ونفس ثرية مستغنية عن الله ، هذه تذهله الثروة وتبطره النعمة فينسى نفسه وينسى الله ، وتلك مؤمنة معتزة بايمانه ذاكرة لربه راضية بقضاءه ، ماضيةٌ في قضاءه ، حيث يذكر الله ويذكر نفسه انه عبد مفتقر الى الله !

والقرآن يقص القصص الحق من حاق التأريخ وحقه قصّاً صالحاً عما سبق ، وتذكيراً بها صالحاً فيما يلحق ، دونما اختلاف لقصص لا أثر عنها في التأريخ ، ام تاريخية لا تأثير لها تربوياً في إبناء التأريخ .

وها هي قصة الجنتين ، لهما ميزات اربع تجعل لهما جمالاً راقياً وثمراً رابياً :

﴿ جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب ﴾ كأنها جمع يلمح بمختلف الأعناب ، فلولا هذه اللمحة لكانت « من عنب » جنساً ، لا جمعاً : « أعناب » ـ

﴿ وحففناهما بنخلٍ ﴾ حفاظاً على الأعناب ، وتجميلاً للجنتين ، وردفاً لما يثمر كثمرها ، غذاءً وإداماً وشراباً ، وعلّ النخل كأعناب تعني مختلف النخل حيث تأتي مفردة : « كأنهم أعجاز نخل منقعر » وجمعاً : « والنخل

باسقات لها طلع نضيد ، اذاً ففيهما ألوان النخل والأعناب ، حافة ومحفوفاً بها -

٣ - ﴿ وجعلنا بينهما زرعاً ﴾ يزيدها ثمراً وجمالاً فوق جمال وثمر ، وعلّه مختلف الثمر كمختلف النخل والأعناب ، فان يكن واحداً جيء بصيغته ، حنطةٍ او شعير أماذا؟ .

٤ - ﴿وفجرنا خلالهما نَهراً ﴾ خلالاً بينهما يفصلهما عن بعض ، وخلالاً في كل منهما سواقي تجري من تحتهما ، كما تجري من تحت الجنة أنهارٌ !

جنتان مثمرتان من مختلف الكروم ، محفوفتان بسياج من مختلف النخيل ، بينهما زروع ، ونهر متفجر ، ويا له من منظر بهيج وحيوية دافقة وجمال رائع ومال جامع ! :

﴿ كلتا الجنتين آتت اكلها ﴾ من أعناب ونخل وزرع عدلاً.

﴿ولم تظلم منه شيئاً﴾ لم تنقص من أكله شيئاً ، حيث الظلم هو الإنتقاص أياً كان ومن أيٍّ كان ، جماداً او نباتاً أو حيواناً او انساناً ، مهما اختلفت إرادةً وشعوراً ام دونهما ، اختياراً او اضطراراً ، ام بينهما كما النحل حيث تنحل بيتاً وعسلاً غريزياً دون اختيار تام او اضطرار !

ولكنما الجنة دون النحل إثماراً وتركاً ، والظلم في الأصل من الافعال الاختيارية القبيحة ، ولا تُقبح الجنة في انتقاص الثمر أم تركه ، وانما حسن التعبير عن هذا المعنى اللّا اختياري ولا القبيح بالظلم حيث كان ثمر الجنة البستان كالمستحق لمالكها ، الساعي لها ، المتعب فيها ، فاذا أخذ حقه منها على كماله وتمامه حسن القول : أنها « لم تظلم منه شيئاً » حيث لم تمنع منه مستحقه ، فتكون كالظالم اذا انتقصت من ثمرها ، ولأن الظلم أصله الإنتقاص اختيارياً ام دونه قبيحاً ام سواه حسب اختلاف الفواعل شعوراً وسواه في درجاته ، تكليفاً وسواه في درجاته ، فهو اذاً حقيقة ام استعارة لطيفة جميلة !

﴿ وفجرنا خلالها نهراً ﴾ ما يزدادها بهاءً وثمراً وارتياعاً ! .

ومما يزيده جمالاً مقابلة اللاّ ظلم من الجنة بالظلم من صاحب الجنة حيث ازدهى ولم يشكر وبطر فاستكبر، وقد امتلى نفسه بالجنتين وازدهـا النظر اليهما ، احساساً بالزَّهوْ ، وتنفشاً كالديك ، واختيالاً كالطاووس ، تعالياً على صاحبه وهو يجاوره ويحاوره : « أنا اكثر منك مالاً واعز نفراً » أمّاذا من كلام فاض أجوف أخوف .

﴿ وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالاً واعز نفراً ﴾(٣٤).

« وكان له » : لما جعلناه له من جنتين ـ لصاحب الجنتين ـ لأُكُل الجنتين ـ او للنَهر « ثمرٌ » وكلها معنية ـ وعلّ تنوين التنكير هنا تلويح لكثرة الثمر عِدةَ وعُدَة ومُدَّة أماذا من ثمر ـ وقد تلمح «كان» بسابق الثمر زمناً متداوماً ، ام وعلى أقل تقدير بوجود الثمر حينه كما « آتت أكلها . . » .

« فقال لصاحبه » الذي يصاحبه مِلكاً او شغلاً اماذا من صحبة وتعارف « وهو يحاوره » حول شؤون الحياة « أنا أكثر منك مالاً » حيث « له ثمر » «وأعز نفراً » من ولد وخدم وأعوان مناصرين لان لي مالاً وثمراً !

وفي الحق لقد ألهاه التكاثر في حواره هذه ، وتفخيماً لجانبه وتذليلاً لصاحبه ، وتغافلاً عن ربه ، ظلماً مثلثاً يرجع الى نفسه فنكراناً للنشأة الاخرى ! :

﴿ ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً(٣٥) وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً ﴾(٣٦).

« ودخل جنته » وكيف دخل ؟ وكيف هي جنته وهي جنة الله حيث أعطاها إياه : « جعلنا لأحدهما جنتين » ؟

انه دخل على رعونة وكبرياء ، وطنطنة وخيلاء ، متحسِّباً أنها منه وله دون الله ، وكما قاله أخوه قارون :« إنما اوتيته على علم عندي »(٢٨:٧٨) وتلك الجنة أم أي مال ومنال لايٍّ كان وأيان هي من الله ابتلاءً ، امتحاناً او امتهاناً ، فكم من كادح كثيراً لا يفيده إلاّ قليلاً ، وكم من كادح قليلاً او مرتاح يستفيد كثيراً!.

فهي ـ اذاً ـ جنته اذ جعله الله مستخلفاً له فيها ردحاً باختيار ، وهي جنة الله لأنها من الله فلا قوة إلاّ بالله .

« دخل جنته وهو ظالم لنفسه » انتقاصاً لها تناسياً عن فطرته وفكرته وعقليته تجاه ربه وهو معترف به : « لئن رددت إلى ربي » تأبيداً لجنته وهي بائدة فانية بعد ردح قل أو كثر « قال ما أظن ان تبيد هذه أبداً » وماذا يعني هذا الأحمَق النكد البَطِر من أبد جنته ؟ هل البقاء دون فناء ! بقوته ام قوة الله ؟ والدنيا بحذافيرها دار فناء ! ام البقاء ما هو باق ، وماذا الذي يضمن له ذلك البقاء ، وكم من ثراء أثرى أصبحت فناءً ! ام ماذا، مما يشهد على أية حال أنه « ظالم لنفسه » في قولته الخواء البتراء !.

ومن خلفيات هذا الأبد نكران الساعة : « وما أظن الساعة قائمة » ترى وما هي الرباط بين الأبد لهذه الجنة ونكران دار الأبد ، ان هي إلاّ جِنة الثراء من ثمره وجَنته، فـ « هو ظالم لنفسه» في جنونه المعمَّد المختار ، تساعاً عن عقله .

وجِنّة ثالثة من جَنته « ولئن رددت إلى ربي » كاحتمال اخير على بعده فما يضرني اذاً حيث « لأجدنّ خيراً منها منقلباً » تخيلاً بخيلائه وكِبريائه أنه يملك جنة الساعة باحرى من جنة هذه الساعة ! وما هي الرباط بين الجنتين حيث يجعلهما في ظنه لزام بعض ؟

هذه ظِنّة الجاهلين من أثرياء وفقراء ان من اوتي الحياة الدنيا فهو في

الآخرة احرى ممن لم يؤتها ، ويكأن الله يجازي ذوي الأنفة والكبرياء والثراء بما طغوا وبغوا ، يجازيهم في الأخرى ثواباً بدل العقاب ، فما اظلمه اذاً من إله « وما ربك بظلام للعبيد » ! .

يظنها الأثرياء بجنة الغرور والكبرياء ، والفقراء لظنهم أن الثراء ثواب من الله وعطاء ، اذاً فلتكن الطغوى بديل التقوى يُستحق بها ثواب الآخرة بعد الاولى ! .

« لأجدن خيراً منها منقلباً » وكيف وبماذا ؟ ألأنكم تملكون الأخرى كما ملكتم الاولى « فلله الآخرة والاولى » « وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا والآخرة خير عند ربك وأبقى » (٢٨ : ٦٠)

أم لأن الله يخافكم فيفضلكم فيها كما فضّلكم ـ بحسبانكم ـ في الدنيا ـ وهو يُخاف منه ولا يَخاف !

ام لانه يُخلِف وعده جهلاً ام ظلماً او عجزاً أم ماذا ؟ وما ذلك إلاّ جهالة وجِنة ممن أترَفته الحياة الدنيا ، تنفّخاً منها وتنفّجاً فيها ! .

هذه مقالة وحالة صاحب الجنة هنا ، وأما صاحبه الفقير الذي لا مال له ولا نفر ولا جنة عنده ولا ثمر ، ولكنه غني بالله ، فقير المال غني الحال ، إنه يواجه صاحبه الفقير الحال ، غني المال ، كواعظ منبّه ، تنديداً به في حواره ، وتهديداً له في بداره:

﴿ قال له صاحبه[1] وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم

---

(١) قوله تعالى « قال له صاحبه ـ ومن قبل ـ فقال لصاحبه ، حيث يعبر عن كل من الموحد والمشرك انه صاحب للآخر يدلنا على ان لفظة الصحبة والصحابة ليست لتدل على الصحبة الايمانية او الشركية ، والا لاصبح هنا المؤمن مشركاً والمشرك مؤمناً ، فاستدلال اخواننا بآية الغار « اذ يقول لصاحبه لا تحزن » ان ابا كر لكونه صاحب الرسول في الغار وليس غيره في نص القرآن فهو الصحابي المؤمن الوحيد لرسول الله =

من نطفة ثم سواك رجلاً[٣٧] لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي أحداً[٣٨]﴾.

هل انت كافرٌ بمثلث : « خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً » ؟ وانت مقرٌ انه ربك « ولئن رددت إلى ربي » !.

الصاحب المؤمن الفقير لا يَهاب في حواره صاحبه الكافر النكير ، فلا يبالي مالاً ولا نفراً ، ولا يداري ثراءً ولا بطراً ، ولا يماري إلّا مراءً ظاهراً وجدالاً بالتي هي أحسن بصامد الايمان وخالص اليقين والإطمئنان ، بتنديد شديد وتبديد حديد هدم صرح كفره ، تزييفاً لموقفه الكافر وتثبيتاً لموقفه المؤمن : « لكنّا هو الله ربي » لا سواه من آلهة مختلفة مختلقة ، هو ربي في حلي وترحالي ، في كافة احوالي ، تتمثل ربوبيته الوحيدة فيَّ على أية حال ، دون أن اوحّده في لفظة القول « ولئن رددت الى ربي » ثم اشرك به في الفعل : « ما أظن أن تبيد هذه . . وما أظن الساعة قائمة . ولئن رددت . . لأجدن خيراً » كأنه رب لربه يملكه ، دون ان يملكه ربه . . لكنا . .

لكنا لا اشرك به احداً » في اي مقال او حال ، في ماض او مستقبل او حال !

اترى «لكنّا» هي لكننا مخففة يعني بها قبيله الايمان ؟ وقد يصح لفظياً ومعنوياً ثم يبعده « ربي » ! ام هي مدغمة « لكن انا » وهو أقرب ، إعراضاً عن الإنية والأنانية المشركة لمحاوره الكافر وتعريفاً بكيانه كمؤمن ، فـ « هو

= إنه مخدوش بآيتي الكهف ، فالثابت من الصحبة ليس إلّا صحبته في الغار وأما الصحبة الايمانية فلا تثبتها كما قد لا تنفيها اللهم إلّا قوله تعالى « فأنزل الله سكينته عليه » حيث اختص سكينته بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) دونه وهو بحاجة حين يحزن الى السكينة وقد « أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين » (٩ : ٢٦) و (٤٨ : ٢٦) ! راجع تفسير سورة الفتح من الفرقان ج : ٢٦.

الله ربي » بيانٌ واف لكيانه « أنا » واين « انا » من كافر و « انا » من مؤمن ؟ !

الكافر يجعل « انا » ، محوراً رئيسياً وحتى لربه وكما قال « لاجدن خيراً منهامنقلباً »كانه يملك ربه ، والمؤمن يجعل « انا » ، لا شيء إلّا ما ربّاه ربه « لكن انا » : « هو الله ربي ولا اشرك بربي احداً » !

هنالك ثالوث من « انا » انحسه دعوى الألوهية من غير الله « أنا ربكم الاعلى » ثم دعوى الوحدة الحقيقة مع الله « انا هو وهو انا » ثم انا المحور والله الحائر حول هذا المحور ، ثالوث الانحراف والانجراف الى الإنية والأنانية ـ

وصالحه « أنا هو الله ربي » حيث « لا قوة إلا بالله » هو الاصل الاصيل ولا خبر عني « انا » إلا ما هباني ربي ، فانا صفر الوجود وهو صرف الوجود ، انا مبتدءٌ هو مُبدِئه وخبره ومبتدئه ومنتهاه « لكنا هو الله ربي » وما احلاه توحيداً[1] .

أترى أن صاحبه كان مشركاً ناكراً للمعاد لمكان الظِنَّة الكافرة ذات أبعاد ـ ١ ـ « ما أظن ان تبيد هذه ابداً » تأبيداً للحياة الدنيا ـ ٢ ـ « وما أظن الساعة قائمة » ترديداً في الحياة الآخرة ـ ٣ ـ وتنديداً بوعد الله للمؤمنين ووعيده لغير المؤمنين : « ولئن رددت الى ربي . . » ! .

أم إنه لم يكن مشركاً وثنياً يعبد أصناماً ، حيث المشركون ينكرون المعاد

---

(١) الدر المنثور ٤ : ٢٢٢ ـ اخرج ابن ابي حاتم عن اسماء بنت عميس قال علمني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كلمات اقولهن عند الكرب « الله الله ربي لا اشرك به شيئاً » .

وهو متردد « ما أظن . . ولئن رددت » ولهم ارباب متعددون وهو يقول : « ربي » . . وهم بعاد عن « ما شاء الله لا قوة الاّ بالله » إلاّ ان يؤمنوا ، وقد رجاه صاحبه ان يقوله !

فهو اذاً أشرك بربه بزهوة الثراء والخيلاء كما هو للأغنياء الاغبياء ذوي الانفة والكبرياء ، « ولم اشرك بربي أحداً » في تمنّيه بعد الحسبان تنديد بنفسه ان حسب قوته وجنته تكفيان بقاء بادرار واستمرار لثمره من دون الله ، وهذه حالة شركية تتمثل لكل من جَنَّتُهُ الثراء وإن كان من الموحدين في قوله الخواء . « وما يؤمن أكثرهم بالله إلاّ وهم مشركون .

﴿ ولولا اذا دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلاّ بالله . . ﴾[٣٩]

« لولا . . قلت : ما شاء الله كائن لا ما شئته أنا « لا قوة إلاّ بالله » دونني أنا ، فانا أنما أمشي وأمضي على هامش مشيئة الله ، دونما استقلال في نفسي ولا استغلال لمشيئة الله ، و « ما شاء الله » تعم المشيئة التشريعية والتكوينية سواء ، لا شريك له فيهما سواء ، فلا شرعة صالحة الاّ من الله ، ولا تكوين اياً كان إلاّ من الله ، من خير فـ « الخير كله بيديه » ومن شر فـ «الشر ليس اليه» لان تكوينه ـ أياً كان ـ ينتهي الى اذنه، فلولا إذنه أخيراً بعد اختيار المختار لم يحصل إذ « لا مؤثر في الوجود إلا الله » :

فانه « لا جبر ولا تفويض بل امر بين امرين » .

ليست الاختيارية في فعل إلاّ بمقدمة او مقدمات اختيارية ، لا أنه بمقدماته كلها اختيارية ، مهما اختلفت الافعال الإختيارية ثواباً وعقاباً بقلة او كثرة في مقدماتها الإختيارية والإضطرارية ، فما يشاءه الله من شرٍ أنت تفعله باختيارك لا يصبح اضطرارياً لأنه شاءه ، إذ ما شاءه إلاّ بعد ما شئته ولكي لا تجبر على ترك الشر كما ولا تجبر على فعله وفعل الخير او تركه ، مهما يمتاز

الخير بتوفيق من الله ، وليس الله بموفق شريراً في شره :

فـ « ما شاء الله » كلمة جامعة تجمع عالمي التكوين والتشريع ، اذ « لا قوة إلاّ بالله » فان كل قواتك من الله ، وهي لا تكفي حولاً عن معصية الله وقوة في طاعة الله إلاّ بالله ، فهما بُعدان متناصران في قوة بالله ، ثم ولا تكفي فعلاً لمعصية الله وتركاً في طاعة الله إلاّ وأخيراً بقوة الله ، فبقوته أعطاك امتحاناً ما تشاء التخلف عنه ، ثم بقوة منه اخرى يشاء ما تشاء مما لا يرضاه تشريعاً ، فهو تكوين في امتحان يخالف تشريعاً ، ليس لأنه مغلوبٌ في عصيانه ، بل تحقيقاً لواقع الإختيار الامتحان .

وقد يعني « لا قوة إلا بالله » معنى « لا حول ولا قوة إلا بالله »[1] حيث القوة في ترك المعصية حولٌ عن معصية الله ، والقوة على الطاعة قوة بالله ، فـ « لا حول عن معصية الله إلاّ بقوة الله ولا قوة على طاعة الله إلاّ بعون الله »[2] .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وانها باب من ابواب الجنة[2] وكنز من كنوز الجنة[3] ودافعة كل آفة حتى

---

(١) المصدر ـ اخرج ابن ابي شيبة واحمد والنسائي عن معاذ بن جبل ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : ألا ادلك على باب من ابواب الجنة ؟ قال : ما هو ؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « لا حول ولا قوة الا بالله » .

(٢ ـ ٢) المصدر ـ اخرج ابن مردويه والخطيب والديلمي من طرق عن ابن مسعود عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : أخبرني جبرئيل ان تفسير لا حول ولا قوة " بالله انه . . . وفي معناه ما رواه في كتاب التوحيد عن ابي جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام) قال : سألته عن معنى « لا حول ولا قوة الا بالله » فقال : معناه : لا حول لنا عن معصية الله الا بعون الله ولا قوة لنا على طاعة الله إلاّ بتوفيق الله عز وجل .

(٣) المصدر اخرج ابن ابي شيبة واحمد عن ابي ذر قال قال رسول الله (صلى الله عليه =

تأتي المنية[١] ومبقية لكل عطية إلهية[٢] وتزجر الشياطين بها الملائكة[٣] ودواء من كل بلية[٤] مهما كانت حرقاً او غرقا[٥] ام أية بلية ! فـ « لا قوة الا بالله » و « ان القوة لله جميعاً » (٢ : ١٦٥) :

فليقل الموحد « ما شاء الله لا قوة الا الله » وليفعل « ما شاء الله . . » وليعتقد « ما شاء الله . . » ! فيصبح بكيانه ككل « ما شاء الله . . » لا في

= وآله وسلم) الا ادلك على كنز من كنوز الجنة : لا حول ولا قوة الا بالله ؟ واخرج نصه او ما في معناه جماعة آخرون .

(١) المصدر اخرج ابو يعلى وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن انس قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ما انعم الله على عبد نعمة في اهل او مال او ولد فيقول « ما شاء الله لا قوة الا بالله » الا دفع الله عنه كل آفة حتى تأتيه منيته وقرأ « ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلّا بالله » .

(٢) المصدر اخرج ابن مردويه عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) « من انعم الله عليه نعمة فأراد بقاءها فليكثر من « لا حول ولا قوة الا بالله » ثم قرأ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) « ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لاقوة الا بالله» اقول وقد فسره الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) باضافة الحول كما قدمناه وهنا وقبله يستدل لها بالأية وليس فيها « حول » .

(٣) نور الثقلين ٣ : ٢٦١ ج ٨٥ في محاسن البرقي عن ابي الحسن الرضا (عليه السلام) قال قال لي : اذا خرجت من منزلك في سفر او حضر فقل : بسم الله آمنت بالله توكلت على الله ، ما شاء الله لا حول ولا قوة الا بالله ، فتلقاه الشياطين فتضرب الملائكة وجوهها وتقول : ما سبيلكم عليه وقد سمى الله وآمن به وتوكل على الله وقال « ما شاء الله ولا قوة الا بالله » ؟ ! .

(٤) الدر المنثور اخرج ابن مردويه عن ابي هريرة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) « ولا حول ولا قوة بالله » دواء من تسعة وتسعين داء ايسرها الهم .

(٥) نور الثقلين ٣ : ٢٦٠ ج ٨٤ في تهذيب الاحكام عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال : اربع لاربع ـ الى قوله ـ : والثالثة للحرق والغرق : ما شاء الله ولا قوة الا بالله وذلك انه يقول « ولولا اذا دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله » اقول ـ وقد احرقت جنته بحصبان من السماء فاصبحت صعيداً زلقاً .

لفظة القول دون فعل واعتقاد ام وفي اي منهما ام فيهما دون لفظة القول .

انت وكل فاعل مختار انما تعمل بقوة الله ، منك المشية والإختيار وتقديم ما عندك من طاقات وامكانيات ، ومن الله التوفيق بإزالة الموانع وتهيئة ما لا تستطع من الاسباب فـ « لا جبر ولا تفويض بل امر بين امرين » ! .

﴿ . . ان ترن انا اقل منك مالاً وولداً[٣٩] فعسى ربي ان يؤتين خيراً من جنتك ويرسل عليها حسباناً من السماء فتصبح صعيداً زلقاً[٤٠] او يصبح ماءها غوراً فلن تستطيع له طلباً ﴾[٤١]

لك جنة قد يرسل عليها ربي حسباناً[١] من السماء خلاف حسبانك فيها : « ما أظن أن تبيد هذه أبداً » ! ولي جنة خيرٌ من جنتك هي لا تبيد أبداً ولا يرسل ربي عليها حسباناً من السماء إلاّ رحمة متواصلةً ورضواناً ، فاين جنة من جنة ، واين عقلية ايمان وجنة ؟ !

و « عسى » هنا ترجٍّ دون تردد تادباً أمام وعد الله الحق ، علّه يؤهل له ! أنا هنا اقل منك مالاً وولداً وهنالك في يوم الله أكثر بل ليس لك هنالك إلاّ حسبان بدل الجنة والرضوان ، وأنت هنا اكثر مني مالاً وولداً قد يُرسلُ عليها حسبان كما لك هنالك حسبان ، واين حسبان من رضوان .

جنتك قد تصبح بكفرانك صعيداً زلقاً : لا ماءَ فيها ولا كلاء « او يصبح ماءها غوراً فلن تستطيع له طلباً » !

---

(١) الحسبان هو الحساب وهو هنا ما يحاسب عليه فيجازى وهو الظن ، فالحسبان الاول في المتن هو الثاني والثاني ، هو الثالث ، فقد يكون عذاباً بحسبان او رحمة بحسبان فليس الحسبان اذاً ـ فقط ـ حسبان العذاب .

فقد تصطدم الجنة ببرودة ام حرارة زائدة فتيبس ثم تجبر حيث تعمّر ، ولكنما الحسبان من السماء يجعلها غير قابلة الزرع والإنماء ـ إذ « تصبح صعيداً زلقاً » : دَحَضا لا نبات فيه .

ام قد يقل الماء المتفجر ام يُسد بسدات تحت الأرضية فيرجع بالتنقية ، ولكنما الغور إبعاد له أو إفناء « فلن تستطيع له طلباً » ! .

﴿ وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم اشرك بربي احداً(٤٢).

لقد حصل فعلاً ما أنذره صاحبه حيث « أُحيط بثمره » بما احاط الله ثمره بحسبان من السماء امّاذا ، فاستاصل ثمره « وكان له ثمر » وقد تكون هذه الاحاطة السماوية من كل الجوانب كالبحرية : « جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم . . » (١٠ : ٢٢) والإصابة المحيطة هي التي لا منفذ عنها ولا مخلص منها : «فاصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها » : ثمر مدمَّر من كل جانب وكأنه لم يكن له ثمر ، حيث لم يبق له أثر إلّا « صعيداً زلقاً » و « يقلب كفيه » كناية عن الإنفاق النادم حيث تهدّر دون اي ثمر « وهي » الجنة « خاوية على عروشها» مهشمة محطمة تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدراً » وهو يقلّب كفيه » أسفاً على ماله الضائع بحاله الضائعه « ويقول يا ليتني لم أُشرك بربي أحداً » ولات حين مناص وفرار عما قدّمه ، ومن وراثه جهنم وبئس القرار ! ترى ولماذا اصبحت الجنتان في سرد القصة كأنهما جنة واحدة : آتت ـ اكلها ـ لم تظلم ـ جنته ـ هذه ـ منها ـ جنتك ـ من جنتك ـ عليها ـ فتصبح ـ ماءها ـ فيها ـ عروشها ـ ؟

علها لأنهما أصبحتا كجنة واحدة لمكان زرع بينهما كما فيهما مهما فصل بينهما جداراً من نخل ، فدخوله في قسمٍ منها دخول فيهما ، أو أنه دخلهما .

﴿ ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصِراً[٤٣] هنالك الولاية لله الحق هو خيرٌ ثواباً وخير عقباً ﴾[٤٤]:

ورغم نفرَه من ولد وسواهم « لم تكن له فئة ينصرونه من دون الله » حيث أحاط الله وقد كان يعتز بمال ونفر « وما كان منتصراً » وبمن ينتصر ؟ بمن لا ينصرونه او ينصرونه ؟ أمن الله ؟ ولا قوة إلّا بالله ! او من حسبان السماء ؟ وليس إلا امر الله ! فـ « هنالك الولاية لله الحق » لا لسواه إلّا باطلاً.

وماذا تعني « هنالك » حيث تخص بها الولاية لله ؟ وكيف يوصف الله بالحق ولا اله إلّا الله الحق ؟ ثم ثوابه وعقبه خيرٌ من ايّ كان ولا خير إلّا منه ؟

فهل « هنالك » تشير الى مكانة الحيطة الإلهية بعذاب ألا ناصر فيها إلّا الله حيث تعني الولاية النصرة ، فمهما كانت الإصابة من غير الله تُدفع بغير الله ، فالإصابة الخاصة من الله لا دافع عنها إلّا الله الحق ، دون الآلهة الباطلة التي يتخذونها آلهة دونه ، فحين تتقطع الأسباب وتحار دون الحيطة الغيبية الألباب ، تصرخ الفطرة أن لا إله الا الله ، و « الولاية لله الحقِ » دون سواه !

ولكنه على صحته في نفسه لا يناسب « هو خير ثواباً وخير عقباً » حيث الموقف هنالك هو العقاب وليس الثواب !.

ام إن « هنالك » البعيد هي الحياة البعيدة الأخرى ، فالولاية النصرة والمالكية للتدبير هي « لله الحق » دون الآلهة الباطلة « هو خير ثواباً » من سواه لو كان لهم ثواب ولا ثوابَ لسواه « وخير عقباً » عاقبة من سواه لو كان لهم عُقب ولا عقب لسواه ، أو ان « خير » مقابل الشر فليس هنا تفضيلاً ، فليس الخير ثواباً وعقباً إلّا له ، ولمن سواه الشر ثواباً وعقباً !

وهذا على حقه في نفسه ، وبالنسبة لثوابه وعقبه قد لا يناسب الحيطة المدمرة الإلهية ، اللّهم إلاّ وهو أشد تنكيلاً وعقاباً !

ام إن « هنالك » يجمع بين الموقف يوم الجمع ويوم الدنيا حين يحاط بالانسان فيجمع بين المناسبتين ، فإذا كانت ولاية النصرة والتدبير لله الحق دون آلهة الباطل ، ففروا ـ اذاً ـ الى الله الحق ، فهل تريدون من الآلهة إلاّ ثواباً وعقباً فهو « خير ثواباً وخيرٌ عقباً » !

إن الولايات الهامشية الإختبارية لمن سوى الله ليست إلاّ من قبل الله كما ولىّ استخلافاً دون تخويل ، فلا تركنوا إليها اللّهم إلاّ الى حقها[1] دون باطلها ، تذرعاً إلى تحقيق أمر الله ، والزلفى إلى ولاية الله ، ولتكونوا على نُبهة دائبة ألاّ ولي إلاّ لله ، ولا ثواب ولا عُقب إلاّ من الله ، ففي ظل ولاية الله تتوارى الولايات كلها ، و « لا قوة إلاّ بالله » !

﴿ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماءٍ أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدراً ﴾[٤٥]

هنا مثل للحياة الدنيا يأتي في يونس اكثر تفصيلاً : « إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازّيّنت وظن أهلها أنهم قادرون

---

(١) ومن حق الولايات الهامشية ولاية الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وفي ظلها ولاية علي (عليه السلام) والائمة المعصومين من ولده ، وقد تبرز ولاية علي (عليه السلام) تأويلاً ل « الولاية لله الحق » كمصداق مختلف فيها في الولايات تحت ظل الولاية المحمدية كما رواه في الكافي باسناده عن علي بن حسان عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال : سألته عن قوله عز وجل « هنالك الولاية لله الحق » قال : ولاية امير المؤمنين (عليه السلام) ورواه مثله عن عبد الله الرحمن بن كثير عنه (عليه السلام) .

عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تُغن بالأمس كذلك نفصل الأيات لقوم يتفكرون »(٢٤).

ألا إن الدنيا « كروضة اعتمّ مرعاها وأعجبت من يراها ، عذبٌ شربها ، تمج عروقها الثرى وينظف فروعها الندى ، حتى إذا بلغ العشب أبانه واستوى بنانه ، هاجب ريح تحت العروق ، وتفرق ما اتّسق ، فأصبحت كما قال الله « هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدراً »(١)فهي اذا « لا تعدوا اذ تناهت إلى أمنية اهل الرغبة فيها والرضا بها أن تكون كما قال الله « كماء أنزلناه من السماء » . .(٢).

اترى « الحياة الدنيا » هنا هي الرديئة الدنيئة ؟ و « ماءً انزلناه من السماء » ؟ قد لا يناسبها ، فانه رحمة من سماء الرحمة اختلط بها نبات الارض !

أم هي أدنى الحياة العقلية الينا وأقربها ، من وراءها الحياة البرزخية والاخرى وهما العليا ؟ ويناسبها « كماءٍ أنزلناه من السماء » ولكنها العاقبة « فاصبح هشيماً . . » قد لا تناسبها ! ـ

ام هي الدنيا بمعنييها حيث يناسبان موضعيها «ماءً وهشيماً » ؟ وهذا أنسب وأحرى !

فكما الماء النازل من السماء طاهرٌ في نفسه ، عال في مكانه ومكانته ، وحين ينزل يختلط به نبات الأرض لينبت ، فلولا الماء فلا نبات ولا كلاء ، كما لولا بذور النبات لم يفد الماء ، ومن ثم نبات الأرض الظاهر الزاهر

---

(١) نور الثقلين ٣ : ٣٦٢ ح ٩٢ في روضة الكافي باسناده عن علي بن الحسين (عليه السلام) حديث طويل في الزهد في الدنيا وفيه يقول (عليه السلام) « فهي كروضة . . »

(٢) عن نهج البلاغة عن الامام امير المؤمنين (عليه السلام) .

بزخرفاته يصبح هشيماً تذروه الرياح ، حيث تنتهي شريط الحياة للنبات .

كذلك الروح الإنساني الطاهر ينزل من سماء المشيئة الإلهية إلى أرض البدن « ونفخ فيه من روحه »(٣٢:٩) وأرض الأرض : « قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع الى حين » (٧ : ٢٤) فاختلط به نبات الأرْضَين زينة وزخرفة ، ثم يصبح البدن ومن ثم أرض البدن بنباته هشيماً تذوره الرياح ! والهشيم : الكسير الرخو ، والذرو : التفريق ، فالرياح تفرّق كسير النبات ورخوها كأن لم تكن شيئاً !

مشهد للحياة الدنيا ، خاطف قصير يلقى في النفس لها ظل الفناء في مثلث نزول ماء السماء وخلطه وهشيمه ، فلا بقاء إذاً لدنياها ، والباقي هو ماء السماء ، روح الإنسان بعد تهشّم البدن بدنياه ، فليتزود نازل السماء من منزل الأرض زاداً لأخراه .

أهذه الخليطة الهشيمة ، الحطيمة اليتيمة الزهيدة ، القصيرة الوهيدة ، لهذه تتنافس ، فتتقاعس عن واجب الحياة ، عن اخراها الى اولاها ، لحد تظن ألاّ تبيد هذه أبداً ؟ ! .

حتى متى الغفلة والغفوة عن حق الحياة وحاقها ، الى باطلها وزائلها « يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون »(٣٠:٧).

﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملا ﴾(٤٦).

أترى أن زينة الحياة الدنيا محرَّمة على أهلها؟ « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة . . قل انما حرّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن . . » (٧ : ٣٣) ! .

فمِن هذه الزينة باقيات صالحات هي خير عند ربك ثواباً وخير أملاً ، ومنها زائلات طالحات لا خير فيها ولا ثواب إلّا شرٌ وتباب !

الأعمال كلها باقيات أقوالاً وافعالاً ونيات ، من صالحات وطالحات باغيات ، فالصالحات خير عند ربك ثواباً كما الطالحات شرٌ لا تخلّف إلّا عقاباً ، والصالحات خيرٌ أملاً يأملها فاعلها في الدارين ، والطالحات شرٌ املاً في الدارين : « ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخيرٌ مرداً » (١٩ : ٧٦) واذا كان الانسان يتعلق بالمال والأولاد ثواباً وأملاً ومرداً ، فالباقيات الصالحات منهما وسواهما خير ثواباً وخير أملاً وخير مرداً !

وزينة المال والأولاد قد تكون باقية صالحة لحد توخذ في كل مسجد « يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد » (٧ : ٣١) حيث تشمل المال إنفاقاً له في كل مسجد والأولاد تعبّداً كامثالكم في كل مسجد ، فيصبحان على زينتهما من الباقيات الصالحات ، فزينة المال والاولاد كسائر الزينة في الحياة الدنيا هي زينة الله حيث زينها الله وجعلها وسيلة للحياة الأخرى، ولكنما الشيطان يزينها زينة اخرى أنها دائبة تُرغَب في نفسها فتزلُّ فيها قدم بعد ثبوتها ، او تضل حين ورودها لمن أبصر اليها فاعمته ولم يبصر بها فبصرته : « زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا . . » (٢ : ٢١٢) « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عند حسن المآب » (٣ : ١٤) .

فللزينة قيمةٌ ما تزيد في قيمة الإنسان وهي الباقية الصالحة ، وليست لها قيمة ما تنقص من قيمة الانسان وتجعله كحيوان ، وهي الباقية الطالحة ، وما أهونها واحونها زينة تسلب قيمة الانسان بدل أن تجلب قيمة للانسان !

وَيَوْمَ

نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ
نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ
جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ
لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ
مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ
لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟
حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ
ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ
عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن
دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾
* مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ
أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ

يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟
لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ
ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾
وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ
ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن
يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ
سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ
ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟
هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ
عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً
أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ
فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ

لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم
مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ
أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾

﴿ ويوم نسيِّر الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً ﴾(٤٧) :

وترى أين وأنى يبرز خير الباقيات الصالحات ثواباً وأملاً ومرداً ؟ :

« يوم نسير الجبال . . » وهنا يجمع ردفاً بين يومي القيامة إماتة : « نسير الجبال . . » واحياءً : « وحشرناهم . . » جمعاً للموتى في الحياة فحساباً وجزاءً وفاقاً !

وبماذا يعطف « ويوم » في بروز الباقيات الصالحات والطالحات ؟ علّه قبله يوم البرزخ فانه دار جزاءٍ برزخ ، وقبله الدنيا حيث يُرى فيها الباقيات الصالحات والطالحات بشيء من آثارها، مثلث من الحياة في كلٍّ حسبها يُرى آثار الصالحات والطالحات ، وكما آية السعي تسعى : « وأن ليس للانسان إلّا ما سعى » كضابطة عامة تبتدء من الدنيا « وأن سعيه سوف يرى» انتقالاً إلى البرزخ « ثم يجزاه الجزاء الأوفى » الى الحياة الاخرى ، فليست المساعي والصالحات موقوفة في ثوابها وأملها ومردّها في الحياة الاخرى ، بل تبرز بدرجات او دركات في مثلث الحياة .

و « نسير الجبال » هي قيامة الأرض بما فيها وعليها ، باقتلاع الجبال عن أصولها وتسييرها سريعة لحد « ترى الأرض بارزة » ببروز قواعد الجبال والاتلال ، وسراباً : « وسيرت الجبال فكانت سراباً » (٧٨ : ٢٠) حيث

« تذل الشم الشوامخ والصم الرواسخ فيصير صلدها سراباً رقراقاًومعهدها قاعاً سملقاً » « ويسألونك عن الجبال قل ينسفها ربي نسفاً فيذرها قاعاً صفصفاً . لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً » (٢٠ : ١٠٧) أرضاً مستوية ملساء دون انخفاض فيها ولا ارتفاع-

« وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً » في قيامة التعمير بعد قيامة التدمير ، ولكلٍّ رجفة تناسبه « يوم ترجف الراجفة ، تتبعها الرادفة » (٧٩ : ٧) « ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذاهم قيام ينظرون . وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيىء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون » (٣٩ : ٦٩) ولعلّ من بروز الأرض اشراقها بنور ربها حيث تطوى ظلمتها وظلاماتها طياً ، كما وأنها تبرز أثقالها المخبوءة فيها « وأخرجت الأرض اثقالها » .

وإنه الحشر العام والتام دون ابقاء : « فلم نغادر منهم احداً » من الاوّلين والآخرين : « ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً » (١٨ : ٩٩) « ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس » (٦ : ١٢٨) .

حشر تبدى فيه الأرض بارزة عارية من أتلال وأشجار وجبال وعن بنايات امّاذا من حواجز وفواصل بروزها صافية مستوية ، فالقوة التي تسيّر الجبال وتصيّرها كالعهن المنفوش ، ماذا ترى تفعل بما دونها من أتلال أم ماذا ؟ : فللأرض بروز اوّل رفعاً لحواجزها ، وبروزٌ ثان إخراجاً لأثقالها ، وبروز ثالث إشراقاً بنور ربها ، ومن ثم جمعٌ على ظاهرها الساهرة « وجمعناهم فلم نغادر منهم أحداً »[1]والمغادرة هي المشاركة والإخلال

---

(١) نور الثقلين ٣ : ٢٦٥ ح ١٠٦ في كتاب جعفر بن محمد الدرويستي باساده الى ابن =

بالشيء ، فلا متاركة مع أحد ولا إخلال باحد !

تتكشف الأرض وتتكشف خبايا من يُحشر على الأرض فلا تخفى منها ولا منه خافية :

﴿ وعرضوا على ربك صفاً لقد جئتمونا كما خلقناكم اوّل مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعداً ﴾[٤٨].

أترى انهم لم يكونوا بمعرض « ربك » حتى « عرضوا » بعد حشرهم ، « ولا تخفى عليه خافية » في الدنيا والآخرة ، ثم ومن هذا المطلع عليهم قبل « ربك » حتى يعرضهم على ربك ؟

ان الكون كله بمعرض الله اياً كان وايان ، ولكنها العرض على « ربك » عرض على ربوبية ، فهنا عرض اوّل طول الحياة الدنيا على ربوبية التكليف وهو أمانة الرب على العواتق « إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها فحملها الانسان أنه كان ظلوماً جهولاً » (٣٣ : ٧٢) وهناك عرض على ربوبيته الجزاء « وعرضوا على ربك صفاً » ولا يعرضهم إلاّ ربك او من يعرضهم من عمّاله باذنه لموقف التسائل والحساب فالجزاء ، دون ان تخفى منهم خافية : « يومئذٍ تُعرضون لا تخفى منكم خافية » (٦٩ : ١٨) فليس العرض كما الأشهاد لانه خافٍ عليه خافية « اولئك يعوضون على ربهم ويقول الأشهاد

= عباس قال : لما نزلت هذه الأية على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) « وحشرناهم فلم نغادر منهم احداً » غشي عليه وحمل الى حجرة ام سلمة فانتظره اصحابه وقت الصلاة فلم يخرج فاجتمع المسلمون فقالوا : مالنبي الله قالت ام سلمة : أن نبي الله عنكم مشغول ، ثم خرج بعد ذلك فرقى المنبر فقال : ايها الناس انكم تحشرون يوم القيامة كما خلقتم حفاة عراة ، ثم قرأ على اصحابه « وحشرناهم فلم نغادر منهم احداً » ثم قرأ « كما بدأنا اوّل خلق نعيده وعداً علينا انا كنا فاعلين » :

هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألاّ لعنة الله على الظالمين » (١١ : ١٨) .

ولان العرض فيه الهول المطّلع ، وآياته تخص عرض الظالمين ، فهو - إذاً - خاص بغير المؤمنين ، وأما هم فوافدون إلى ربهم وفد الكرام الى الكريم -

« عرضوا . . صفاً » فهم بصفهم في عرضهم يزدادون هولاً ، فهنا صف هائل لأهله ، حيث لا حكمة فيه إلاّ هوله ، وفي القتال صف هائل للعدو « إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كانهم بنيان مرصوص » (٦١ : ٤) وأين صف من صف ! ثم الخطاب الهائل لذلك الصف والعرض الهائل : « لقد جئتمونا كما خلقناكم اوّل مرة . . » وي كأنه خطاب حاضر ، لا مستقبل ، تجسيماً وتحضيراً لموقف الخطاب العتاب !

وترى كيف المجيء بمعرض الرب « كما خلقناكم أوّل مرة » ؟ لقد خُلقنا فرادى دون ما خُوِّلنا ولا شفعاء وكذلك نجيئه كما خلقنا : « ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناهم أوّل مرة وتركتم ما خولناكم وراءَ ظهوركم وما نرى معكم شفعائكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون » (٦ : ٩٤) هذا مجيءُ « كما خلقناكم اوّل مرة » ومجيء آخر معه « كما بدأنا اوّل خلق نعيده » (٢١ : ١٠٤) « كما بدأكم تعودون » (٧ : ٢٩) فكما خلقناكم فرادى جئتمونا فرادى ، وكما خلقناكم من تراب جئتمونا عائدين كبدئكم من تراب ، كما خلقناكم اوّل مرة جئتمونا ثاني مرة :

« بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعداً » : « أفحسبتم أنما خلقناكم عبَثاً وأنكم إلينا لا ترجعون » (٢٣ : ١١٥) زعمتم إحالة موعد العرض والحساب ، وحسبتم عبث الخلق وعدم الرجوع والإياب ، ولذلك اثاقلتم إلى الأرض ورضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ! :

﴿ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مالِ هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً ﴾(٤٩).

ذلك الكتاب هو كتاب الأعمال الصوتية والصورية امّاذا كما استنسخه الله «هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون» (٤٥ : ٢٩) استنساخاً لنفس العمل كأعمال فـ «وجدوا ما عملوا حاضراً» «كانه فعله تلك الساعة»(١) فلو لم تكن نفس الأعمال وكانت حكاية اخرى غيرها لم يجدوا ما عملوا حاضراً ! «ولا يظلم ربك أحداً» أن يكتب ما لم يعمل من سوء ، او يكتب العامل ازيد من استحقاق جزاءً غير وفاق ، أم لا يكتب سوءً او ينقص من سوء ظلماً على تاركي السوء امّاذا ؟ .

«ووضع الكتاب» بمعرض المحشر حيث يراه ويسمعه ويفهمه صاحبه وسواه ، وواويلاه من هذا العرض وذلك الوضع ، «فترى المجرمين» وهم يتأملونه ويتمّلونه فاذا هو جامع لما اجرموا دون إبقاء «مشفقين مما فيه» خائفين على حبه، حبّاً لانه منهم، وخوفاً من عقباه الحاضرة، فالإشفاقُ «من» يزيد خوفه على حبه ، والاشفاق «في» يزيدحبه على خوفه ، فلان إشفاقهم خالٍ عن رجاء فخوفه زائد على حبه ، بل ولا حب بعد هُنيئَة يرون جزاء ما فيه ويتمنون فراقه : «يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً

(١) نور الثقلين ٣ : ٢٦٦ في تفسير العياشي عن خالد بن نجيح عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال : اذا كان يوم القيامة رفع الانسان كتابه ثم قيل له : اقرءه ـ قلت : فيعرف ما فيه ؟ فقال : انه يذكره ، فما من لحظة ولا كلمة ولا نقل قدم إلّا يذكره كانه فعله تلك الساعة فلذلك قالوا : «يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها» وفي نقل آخر وقال (عليه السلام) : يذكر العبد جميع ما عمل وما كتب عليه كانه فعله تلك الساعة ـ ثم استدل (عليه السلام) بالآية :

وما عملت من سوء تود لو أن بينهاوبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رؤ وف بالعباد » (٣ : ٣٠) « ويقولون » والهين حائرين آسفين « يا ويلنا مالِ هذا الكتاب » ما له من قوة ضابطة حافظة ، لهذا الشريط والمسجلة « لا يغادر » معصية « صغيرة ولا كبيرة إلّا احصاها »[1] احصاءً لنفس الصغيرة والكبيرة ورسمها لا إسمها ، وكل مسجلة ام شاشة تلفزيونية إنما تحضر ما تلقته اذا سلمت وبقيت على حالتها الاولى حين سجِّلت ، وهذا الكتاب ، المسجلة الأرضية بفضاءها ، والبدنية بأعضاءها امّاذا ، نراها تودي أمانتها بعدما تمزقت : « اذا زلزلت الأرض . . يومئذٍ تحدث أخبارها . بأن ربك أوحى لها . . » « ووجدوا ما عملوا حاضراً » بما سجله الله وأحضره « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء . . »! وليس حضور العمل حضوراً لما يحكي عنه من قولة حاكيه ام كتابة ، اللهم إلّا حضوره نفسه وقد انقضى ام تجسّمه وهو تجشُّم! إذ ليس انقلاب العمل ـ وهو صورة ـ الى جسم ـ على فرض امكانيته ليس هو هو او صورته ، ثم لا مبرر لهكذا قلب للعمل ولا يجدي نفعاً !

إن العمل أياً كان يُستبقى دون عامله بزمانه ومكانه ، ويستنسخ منه صور اخرى : « انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون » : فـ « وجدوا ما عملوا حاضراً » يعني أصل العمل المستمر وزيادة هي ما استنسخ منه في كتب صوتية وصورية اخرى من أرض بفضائها ، ولا حضور للعمل معقولاً هو

---

(١) الدر المنثور ٤ : ٢٢٩ ـ اخرج الطبراني عن سعد بن جنادة قال : لما فرغ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من غزوة حنين نزلنا قفراً من الارض ليس فيه شيء فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اجمعوا من وجد عوداً فليأت به ومن وجد عظماً او شيئاً فليأت به ، قال : فما كان الا ساعة حتى جعلناه ركاماً فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اترون هذا فكذلك تجتمع الذنوب على الرجل منكم كما جمعتم هذا فليتق الله رجل لا يذنب صغيرة ولا كبيرة فانها محصاة عليه .

حجة على العامل إلاّ نفسه ، وتزيده ما معه من صور مستنسخة أخرى ، إذاً فتجسُّمه تجشُّم وليس به ، واللفظ او الكتاب الحاكيان ليسا نفس العمل ، فلا معنى صحيحاً ممكناً هو حجة على العامل إلاّ حضور العمل ، ام حضور صورته التي استنسخها الله « انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون » سواء أكان عمل القلب او القالب ، في مثلث من الصور المعنوية والصوتية والصورية ، كذلك الله يفعل ما يشاء ، حجة عينية حاضرة ، وصورة حاذرة ، وحصَباً في سيرته ، فـ « إنما تجزون ما كنتم تعملون » مثلثٌ من الأهداف العادلة الكافلة لما يرام من العمل يوم القيام ! « ولا يظلم ربك أحداً » !

في ذلك الكتاب مربع من الشهادات ، عينية سجلتها الارض ـ١ ـ والأعضاء ـ ٢ ـ ، وقوليه ـ٣ ـ يشهد بها الشهداء من الأنبياء ، امّاذا ـ٤ ـ كتبها الكرام الكاتبون ، يعلمون ما تفعلون ، علّه قولة ام كتابة التعبير ، ام تسجيلة لصور الاعمال واصوات الاقوال في سجلات الارض والاعضاء امّاذا ؟

وعلّ هنالك كتباً ودواوين منها ديوان السيآت كما الحسنات والنعمات على حدّ المروي عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)[1] فالكتاب الموضوع جنسه الشامل لها ، يشمل كل كتاب يحصي الأعمال كما يشمل كتاب كلٍّ من العمّال ! :

وترى هذه الكبيرة تُحصى في كتاب الاعمال فما بال الصغيرة تحصى وهي مكفَّرة ؟

ان الصغيرة مكفرة اذا تُركت للذين آمنوا : «إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم وندخلكم مدخلاً كريماً » ولكنما الصغيرة التي تعمل

---

(١) الدر المنثور ٤ : ٢٢٩ ـ اخرج البزاز عن انس عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : يخرج لابن آدم يوم القيامة ثلاثة دواوين ، ديوان فيه العمل الصالح وديوان فيه ذنوبه وديوان فيه النعم من الله عليه .

مع الكبيرة ، اولغير المؤمنين لا تكفر ! ويكفي الكفر كبيرة تحصى معه كل صغيرة وان لم يأت بكبيرة اخرى !

﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً ﴾[٥٠]

لقد كرمكم ربكم إذا امر الملائكة بالسجود لآدم ، وأهانكم ابليس إذ فسق عن أمر ربه ، ثم انتم هؤلاء تتخذونه وذريته أولياء وهم لكم عدو ، وترفضون ولاية ربكم ، فاذكروا فيما تذكرون . . » وإذ قلنا . . » .

وترى أن إبليس « وكان من الجن » فلم يكن من الملائكة ، كيف ـ إذاً ـ يشمله ضمن الملائكة الأمر بالسجود لآدم ؟

اجل انه لم يكن من الملائكة ـ قطعاً ـ فانهم «عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول ويفعلون ما يؤمرون »(٢١ ـ ٢٧) ـ « ان الملائكة معصومون محفوظون من الكفر والقبائح بالطاف الله تعالى »[١] .

انه « كان من الجن » وكان مع الملائكة وكانت الملائكة تراه أنه منها ، وكان الله يعلم أنه ليس منها فلما امر بالسجود كان منه ما كان »[٢]« فاستخرج ما في نفسه بالحمية والغضب »[٣].

---

(١) نور الثقلين ٣ : ٢٦٧ ج ١١٧ في عيون الاخبار في باب ما جاء عن الرضا (عليه السلام) في هاروت وماروت وفيه بعدان مدح (عليه السلام) الملائكة وقال : معاذ الله من ذلك ان الملائكة . . بالطاف الله تعالى ـ قالا قلنا له (عليه السلام) : فعلى هذا لم يكن ابليس ايضاً ملكاً : فقال : لا ـ كان من الجن اما تسمعان الله تعالى يقول : « . . كان من الجن » فاخبر عز وجل انه كان من الجن وهو الذي قال الله تعالى « والجان خلقناه من قبل من نار السموم » .

(٢) نور الثقلين ٣ : ٢٦٧ ج ١١٩ في تفسير العياشي عن جميل بن دراج عن أبي عبد =

نتلمح كتصريحة من عدم اعتراضه على الله : « لم يشملني الأمر إذ لم أكن من الملائكة » وان الله امره بخصوصه ام في الملائكة « ما منعك أن تسجد إذ امرتك » (٧ : ١٢) انه شمله الامر « وكان من الجن » فهو أعقل من ان يتحول الى قياس باطل بدل البرهان ! فقد « كان من الجن » كوناً ، ومن الملائكة كياناً ومحتداً في ظاهره حتى تبين أمره حين تخلّف عن أمر ربه !

وقد فرّع فسوقه عن أمر ربه بكونه من الجن، ولو كان من الملائكة لم يفسق .

ام ويعني معنى ثانياً : كان ممن يجن ويستر عن الملائكة كونَه من الجن وكونه كافراً « ففسق عن أمر ربه » فتبين لهم أنه كان من الجن وانه كافر ، وعل المعنيين معنيّان وما أجملهما جمعاً ومما يلمح لثانيهما « كان » حيث الاوّل كائن ما كان دون حاجة الى صيغة المضي ، ولكن اخفاءه عنهم كوناً او كينونة هو الذي « كان » ثم « ففسق » تفريع للاول ، وعطف ترتيب للثاني ! فسق عن أمر ربه لانه لم يكن من الملائكة وهم معصومون بل كان من الجن الوارد منهم الفسق ، وكان ممن يجن حالته الكافرة ، « وكان من الكافرين» ففسق عن امر ربه بالسجود اذ لم يتمالك نفسه العاتية المستكبرة امام آدم ! ثم و « إلّا ابليس » علّه استثناء منقطع إذ كان من الجن ، وأمره بالسجود يخصه كما أمرهم يخصهم ، أم متصل عُني من الملائكة الكيان الملائكي في واجهة الأعمال الايمانية الملائكية ، إذ كان معهم يعبد الله

= الله (عليه السلام) : قال : سألته عن أبليس كان من الملائكة وهل كان يلي من امر السماء شيئاً ؟ قال : لم يكن من الملائكة ولم يكن يلي من امر السماء شيئاً كان من الجن . .

(٣) المصدر ج ١١٨ في اصول الكافي عنه عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال : ان الملائكة كانوا يتحسبون ان ابليس منهم وكان في علم الله انه ليس منهم فاستخرج :

بضعة آلاف من السنين لحد اعتبروه منهم ولأقل تقدير كياناً ، ام أمر بامرين يخصه « إذ أمرتك » ويعمه مع الملائكة «اذ قلنا للملائكة» وعله اجل حيث المتمرد بحاجة الى تأكد من الامر ، فليؤمر بامرين !

« افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدوٌ » حيث لم يسجد لآدم ، وعدوٌ لله حيث عصاه ـ تتركوني وأنا ربكم وتتولونه وهو عدوٌ لكم ولربكم « بئس للظالمين بدلاً » يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خيرٌ !

وماذا تعني ولاية الشيطان وذريته ؟ قد تعني الولايات الإلهية كلها حسب مختلف دركات العقائد في اتخاذ الشيطان وذريته اولياء .

من ولاية العبادة « والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلّا ليقربونا إلى الله زلفى » (٣٩ : ٣) « وجعلوا لله شركاء الجن » (٦ : ١٠٠) « بل كانوا يعبدون الجن» (٣٤ : ٤١) فمن الناس من يعبد الشيطان خوفاً منه وتقية لكيلا يضره ، وعبادته أضر الأضرار ، فراراً أخبث من الحفرة بدخول البئرة .

ومن ولاية الطاعة « ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألّا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدوٌ مبين » « والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات » .

ومن ولاية التكوين والتدبير والتشريع والتقدير ، بمختلف العقائد الشاردة المارِدة عن صراط الحق في ذلك البدل البعيد السحيق و « بئس للظالمين بدلاً » ! « ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً » (٤ : ١١٩) :

وترى كيف انتشاء الذرية وانتسال الانسال من إبليس ؟ أمن زواج الزوجين ؟ ولم يأت ذكر ولا إشارة في الذكر الحكيم عن شيطانة ، وقد ذُكرت إنسانة : « وجعل منها زوجها »!

ولكن التعبير بـ « رجال من الجن » يلمح أن فيهم ايضاً نساء حيث الرجولة والأنوثة من المضايفات ، كلٌ تطلب الأخرى ، فلتكن الذرية منهم بين رجال ونساء ، دون أن تباض بيضات كما في بعض الروايات !

و « رجالٌ من الجن » هنا هم من القدة غير الصالحة « وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً ، وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً » (٧٢ : ٧) فلا موقع للقول : لعل التناسل هو بين صالحي الجن دون مَن دون ذلك ! مع أن الصلاحية هنا لا تعني صلوح التناسل ، وانما العقيدة والعمل ، ووحدة الجنس بين الصالحين ودون ذلك الشامل للشياطين ، إنها تحكم بوحدة الكيفية في انتسال الأنسال !

﴿ ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً ﴾[٥١] :

انرى من « هم » في « ما أشهدتهم » و « أنفسهم » ؟ أهم فيهما ابليس وذريته كما هما محور البحث في آية السجود من عصيانه النكير وولايته بذريته ! فسلب الاشهاد في الخلقين لزامه سلب ولايتهم الإلهية كيفما كانت ؟ حيث الولاية التامة لزامها الإحاطة العلمية وفي القدرة ، أن يحيط فيهما بخلق السماوات والأرض ، أم ـ وعلى اقل تقدير ـ بخلق انفسهم ، فيصبحوا إذاً من أعضاد الربوبية ، بُعدان بعيدان عمن سوى الله ايا كان !

فلو كان الإشهاد بإحضارهم على علم ، فليكونوا كائنين قبل كونهم ، وقد خُلقوا بعد خلق السماوات والأرض فكيف يُشهَدون خلقهما ، وقد خُلقوا ولم يكونوا شيئاً مذكوراً فكيف يُشهدون خلق انفسهم ؟

و إن كان إشهاداً دون إحضارهم ، بان عرّفهم حقيقة خلقهما وخلقهم أنفسهم بعد خلقهما وخلقِهم ، كأنهم كانوا حضوراً حين الخلقين ،

فأحاطوا بهما علماً وقدرة ، فلهم الولاية اذاً بما أشهدوا ؟ ولكن الله ما أشهدهم ! ولو أشهدهم لكانوا يعلمون غيب السماوات والارض كما الله ، ام وغيب انفسهم كما الله ، فكانوا قادرين عليهما وعلى انفسهم كما الله ، حيث العلم التام هو القدرة التامة ! وهي الولاية الإلهية على سواء .

ثم لو امكن اعتضاده تعالى بعضد مستحيل في بعدين كالأول ، ام في بعد واحد كالثاني ، لكان يعتضد بعدول هادين دون المضلين « وما كنت متخذ المضلين عضداً !

ان الله تعالى يحيط بعض الشيء كإشهاد ثان بعض عباده شيئاً من كونه او كله ، اراءة للملكوت ، وولاية جزئية دونما اعتضاد لنفسه ولا تخويل لهم ، ولكنهم هداة وفي قمة العبودية والعدالة ، وأما أن يتخذ المضلين عضداً « وما كنت » منذ بدء التكوين « متخذ المضلين عضداً » ولماذا عضدٌ لمن هو على كل شيء قدير «ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم » ؟ ولماذا المضلين وشأنه الرحمة والهداية ؟ !

إذاً فأيّة ولاية آلهية بعيدة عن الشيطان وذريته في أبعاد عدة ، بعد الإستحالة في نفسه كما الإشهاد الاوّل ام في ساحة الربوبية كما الثاني ! .

ثم « وهو لكم عدو » كما هم أعداء الله ، فكيف يتخذهم عضداً ، اللّهم إلاّ لمزيد اضلال فيما الله يعجز عنه فيعتضد بالشيطان وذريته ! فسبحانه سبحانه وتعالى عما يشركون !

فهل يتخذ الله من غير المضلين عضداً حتى يتخذهم وهم مضلون عضداً ؟ صيغة صائغة مجاراتاً لأوهام المشركين لاستئصالها ببرهان مكين متين !

انه لا عضدَ لله يعتضد به ، وإنما له أولياء في شرعته بما أشهدهم اياها : ولاية شرعية ، دون ولاية تشريعية ، أن لم يشهدهم جذور مصالح

التشريع حتى يشرعوا بل هو الذي « شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » (٤٢ : ١٣) دون ان يخوّلهم تشريعاً اللهم إلّا حكماً بشرعته جماعياً وفردياً وفي كافة الحاجيات المختلف فيها بين الأهواء والعقول وفي مختلف الحقول !

واما ولاية التكوين ، فهي منحصرة في الله في أصلها : التكوين لا من شيء ، وقد يمنحها الله في فرعها : التكوين من شيء كآيات النبوات بقلة في اراءه الملكوت كإحياء الموتى فيما تطلّبه ابراهيم « رب أرني كيف تحيي الموتى » (٣ : ٣٦٠) وبكثرة فيما هم فيها مظاهرُ لفعله كخلق الطير للمسيح فانه في جسمه باذنه ، وفي روحه باذنه ، دون تكوين للمسيح إلّا خلق الطين كهيئة الطير في صورة ، واما هيئته في حقيقته « وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني » فضلاً عن روحه « فتنفخ فيه فتكون طيراً باذني » (٥ : ١١٠) فانما هما من تكوينه تعالى لا تكوينه !

فلا ولاية إلهية هي من خلفيات العلم المحيط بالكون ، لأحد من خلقه ، اللّهم إلّا شرعية بما أوحى ، او تكوينية كاداة صورية لا حقيقية !

ثم لـ « هم » في « اشهدتهم » و « انفسهم » وجوه ثلاثة أخرى وما قدمناه أصح واحرى .

١ ـ انهما راجعان الى من يتولون الشيطان وذريته في كل مامضى من إشهاد وهو في نفسه صحيح ، لا لهم فحسب ، بل ولمن سوى الله ككل ، حيث ما أشهدهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم ـ ولكنه لا يناسب « وما كنت متخذ المضلين عضداً » حيث المتولون هؤلآء لم يدّعوا كونهم انفسهم أعضاد الله ، وانما الشيطان وذريته حيث يتولونهم كأنهم أعضاد لله !

٢ ـ ان الاول راجع الى الشياطين والثاني من يتولونهم ، أن الشياطين ماأشهدوا خلق الكون ليُتخذوا أولياء ، وهم ما أشهدوا خلق أنفسهم ، أنها في الكيان بحيث يتخذونهم أولياء ؟ ولكنما التولي هكذا لا يحتاج هكذا إشهاد لخلق أنفسهم ، وإنما وحي أو كتابٌ أو اثارة من علم امّاذا ؟ ثم يكفي سلباً لهذا التولي « وما كنت متخذاً المضلين عضداً » .

٣ ـ عكس الثاني ان المتولين الشياطين ما أُشهدوا خلق السماوات والأرض، والشياطين ما أشهدوا خلق أنفسهم، فاذ لا يحيطون علماً بالسماوات والأرض فكيف يتخذون الشياطين أولياء من دون الله ، أتخرصاً على الغيب أن الله اتخذهم لهم أولياء وأذن لهم ؟ ام علماً بالغيب « ما أشهدتهم » وما اشهدت الشياطين خلق انفسهم انهم خُلقوا اولياء ؟ ولكنما الولاية الإلهية يكفيها الإعلام ، دون إشهاد لخلق أنفسهم !

او يقال : إذا لم يشهدوا خلق انفسهم فأولى ألاّ يُشهدوا خلق السماوات والأرض، فأنّى لهم الولاية الإلهية ولزامها العلم التام والقدرة ؟

وهذا في نفسه صحيح ، ولكنه بنفسه غير فصيح ، ولا تتحمله لفظ الآية ، حيث « ولا خلق أنفسهم » عطف على « ما أشهدتهم » فـ « هم » فيهما ـ اذاً ـ جماعة واحدة ، حيث اللفظة الصحيحة الفصيحة لاختلافهما « ولا اشهدتهم خلق انفسهم » بل « ولا اشهدت هؤلاء . . » ! ٤ ـ وقد تعنيها الآية جمعاً بين الحجتين .

ووجه خامس « ولا خلق أنفسهم » اي ما أشهدت ابليس وذريته خلق السماوات والأرض سناداً لولايتهم ، ولا أشهدت المتولين لهم خلق انفس ابليس وذريته ليحيطوا علماً بتأهُّلهم لذلك الولاية !

ووجه سادس يجمع بين الوجوه الصحيحة في نفسها.

واولى الوجوه هو الاول، ثم هي بين غلطٍ وصحيح مّا ضمن الاول،

والجمع بين الصحيحة هو أصح الوجوه ! :

انه تعالى ما أشهد الشياطين ولا المتولين لهم ولا المؤمنين ولا اولياءه المكرمين ، خلق السماوات والارض ولا خلق أنفسهم ، لاإشهاد الحضور حيث لم يكونوا حضوراً ، ولا إشهاد الإحاطة علماً وقدرة ، فانه ولاية إلهية لا تثنى ولا إشهاد الإطلاع للمتولين الشياطين أن لهم ذلك التولي ! او لشياطينهم تلك الولاية ـ ولا انه يعتضد بمن سواه ، ولو كان معتضداً لم يكن بالمضلين « وما كنت متخذ المضلين عضداً » ـ

فالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو اوّل العابدين وآخر المرسلين ليس عضداً ولا وكيلاً ولا ولياً تكوينياً ولا تشريعياً عن رب العالمين : « قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلّا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلّا نذير وبشير لقوم يؤمنون » (٧ : ١٨٨) « قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب . . » (٦ : ٥٠) .

واشهاد خلق السماوات والأرض وإشهاد نفس المشهود له لنفسه ككلٍّ فيه علم الغيب كله ، والقدرة على الغيب كله ، فإذ لا ولاية عامة لأوّل العابدين الهادين فكيف إذاً حال اوّل المضلين ؟ « وما كنت متخذ المضلين عضداً !

وكما ان للعضد الخير الهدى درجات كلها منفية لله ، كذلك للعضد الشر الضلال دركات واحرى ان تكون منفية عن الله ، من عضد الولاية الإلهية ، او الرسالة وما دونها من دعوة إلهية بمراتبها ، ثم وغير العضد المستحيل لله اياً كان ، من أنصار لله فيما صح وامكن ، ليس إلّا لمن هو على هدى ويهدي الى الحق « افمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمّن لا يهدِّي إلّا أن يُهدى فما لكم كيف تحكمون» (١٠ : ٣٥) ذلك اعتضاد مستحيل

لله على أية حال ولندرس منه حرمة اعتضاد المضلين فيما أمكن على اية حال كما لم يتخذ الإمام علي معاوية عضداً[1].

إن المضلّ وإنْ في جهة من الجهات او وجه من الوجهات ـ ما صدق عليه مضل ـ لا يُعتضد ، كما لم يعتضد الإمام الحسين (عليه السلام) من

---

(١) نور الثقلين ٣ : ٢٦٨ ح ١٢٢ في امالي شيخ الطائفة باسناده الى جبلة بن سحيم عن ابيه قال : لما بويع امير المؤمنين علي بن ابي طالب بلغه ان معاوية قد توقف عن اظهار البيعة له وقال : ان اقرني على الشام او الاعمال التي ولانيها عثمان بايعته ، فجاء المغيرة الى امير المؤمنين (عليه السلام) فقال له : يا امير المؤمنين ! ان معاوية من قد عرفت وقد ولاه الشام من كان قبلك ، فولّه انت كيما يتسق عرى الامور ثم اعزله إن بدا لك ، فقال امير المؤمنين (عليه السلام) : اتضمن لي عمري يا مغيرة فيما بين توليته الى خلعه ؟ قال : لا ! قال : لا يسألني الله عز وجل عن توليته على رجلين من المسلمين ليلة سوداء ابداً « وما كنت متخذ المضلين عضداً ».

وفيه ١٢٤ في كتاب الخصال عن جابر الجعفي عن ابي جعفر (عليه السلام) عن امير المؤمنين (عليه السلام) حديث طويل يقول فيه (عليه السلام) وقد ذكر معاوية بن حرب : واعجب العجب انه لما رأى ربي تبارك وتعالى قد رد الي حقي في معدنه وانقطع طمعه في ان يصير في دين الله رابعاً وفي امانة حملناها حاكماً كر على العاص بن العاص فاستماله فمال اليه ثم اقبل به بعد ان اطمعه مصر وحرام عليه ان يأخذ من الفيء دون قسمته درهماً ، وحرام على الراعي ايصال درهم اليه فوق حقه ، فاقبل يحيط البلاد بالظلم ويطأهم بالغشم ، فمن تابعه ارضاه ومن خالفه ناواه ، ثم توجه اليّ ناكثاً علينا مغيراً في البلاد شرقاً وغرباً ويميناً وشمالاً ، والانباء تأتيني ، والاخبار ترد علي بذلك فأتاني اعور ثقيف فأشار عليّ ان اوليه البلاد التي هو بها ، لأداريه بما اوليه منها ، وفي الذي أشار به الرأي في امر الدنيا لو وجدت عند الله عز وجل في توليه لي مخرجاً ، او أصبت لنفسي في ذلك عذراً ، فاعملت الرأي في ذلك ، وشاورت من أثق بنصيحته لله عز وجل ولرسوله (عليه السلام) ولي وللمؤمنين ، فكان رأيه في ابن آكلة الاكباد رأي ينهاني عن توليته ، ويحذرني ان ادخل في امر المسلمين يده ، ولم يكن الله ليراني ان اتخذ المضلين عضداً !

تأبى عن نصرته بنفسه ، وعرض عليه فرسه وسيفه[١] :

﴿ ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقاً ﴾[٥٢] :

هنا يوم يتجاهلون أن شركاءهم لا يجيبونهم اذ يدعون ، وهناك يوم لا يسطعون تجاهلهم . . « يوم يقول . . » موقف بائس كارث لا تجدي فيه دعوى بلا برهان حيث الديان يطالبهم قائلاً : « نادوا شركائي الذين زعمتم » وهل يقدرون او يجسرون ألاّ ينادوهم لأنهم يعلمون انهم لا يستجيبون ؟ كلاّ ! « فدعوهم » اصناماً لا يعقلون « فلم يستجيبوا لهم » او طواغيب يعقلون « فلم يستجيبوا لهم » نداء من زعموهم بدعائهم شركاء حيث تبلى السرائر ولا تخبأ الجرائر ، ام صلحاء من ملائكة وانبياء ، امّن ذا وحاشاهم ان يستجيبوا نداء المشركين « فلم يستجيبوا لهم » اذ يعلم هؤلآء وهولآء أنهم ما كانوا ايّاهم يعبدون فقد كانوا يعبدون اهواءهم « ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركائكم فزيلنا بينهم وقال شركاءهم ما كنتم إيانا تعبدون » (١٠ : ٢٨) « وجعلنا بينهم موبقاً » : مهلكاً يهلك رباطاً بينهم كانوا يزعمون ويهلكهم بما كانوا يزعمون ، ويهلك غير المؤمنين من شركائهم أوثاناً وطواغيب : « وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون » (٦ : ٩٤) :

---

(١) نور الثقلين ٣ : ٢٦٨ ح ١٢٣ في كتاب مقتل الحسين (عليه السلام) لابي مخنف ان الحسين (عليه السلام) قام يتمشى الى عبد الله بن الحر الجعفي وهو في فسطاطه حتى دخل عليه وسلم عليه ، فقام اليه ابن الحر واخل له المجلس فجلس ودعاه الى نصرته فقال عبيد الله بن الحر : والله ما خرجت من الكوفة الا مخافة ان تدخلها ، ولا اقاتل معك ،ولو قاتلت لكنت اوّل مقتول ، ولكن هذا سيفي وفرسي فخذهما فاعرض عنه بوجهه فقال : اذا بخلت علينا بنفسك فلا حاجة لنا في مالك « وما كنت متخذ المضلين عضداً » :

﴿ ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفاً ﴾(٥٣).

ترى واذا « لم يجدوا عنها مصرفا » وهم عارفون أنهم أهل النار وهم يرونها ، فكيف « ظنوا أنهم مواقعوها » ولم يستيقنوا ؟

ان مواقعة النار وهي الوقوع من جانبي النار واهل النار ، هي دخولهم في النار واشتعال النار بهم « واولئك هم وقود النار » . . هذه المواقعة رغم أنها واقعة لهم دون شك ، ولكنهم حيث يترجون مهلة لهم بين رؤية النار ومواقعتها من ناحية ، ويرونهم قريبين إليها من أخرى « فظنوا أنهم مواقعوها » أو أنهم على أحتمال النجاة من النار ان يجدوا عنها مصرفاً كما يرجوا كل مجرم « فظنوا أنهم مواقعوها » حال أنهم « ولم يجدوا عنها مصرِفاً » : صرفاً أو مكاناً أو زماناً للصرف عنها ، خلاف ما ظنوه من مصرف اياً كان وايان .

فليس الظن هنا ولا في غيرها علماً كما العلم اياً كان ليس ظناً ، فاي منهما ليس بفصيح ولا صحيح حتى اذا قرن بقرينة وليست في ايٍّ منها ! والحديث الوارد في ظن اليقين مطروح او مؤول(١).

---

(١) نور الثقلين ٣ : ٢٦٩ ج ١٢٥ في كتاب التوحيد حديث طويل عن علي (عليه السلام) يقول فيه وقد سأله رجل عما اشتبه عليه من الآيات واما قوله « ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها » يعني ايقنوا انهم داخلوها ورواه في الاحتجاج مثله عنه (عليه السلام) وقد يكون بعض ظن الكافرين يقينا وذلك قوله « ورأى . . »

اقول : قد يعني كون ظنهم يقيناً ان ما يظنونه متيقن الوقوع وان كانوا يظنونه دون تيقن كما نرى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يرى ظنهم ففي الدر المنثور عن ابي سعيد الخدري عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : ينصب الكافر يوم القيامة مقدار خمسين الف سنة ما لم يعمل في الدنيا وان الكافر ليرى جهنم ويظن انها مواقعته من مسيرة اربعين سنة والله اعلم »

=

﴿ ولقد صرّفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً ﴾(٥٤).

« ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى اكثر الناس الا

= اقول : فظن المواقعة من هذه المسيرة كما قلناه انهم يرونهم قريبين اليها من جهة وبعيدين من اخرى فظنوا قربها « انهم مواقعوها » فاسم الفاعل دليل الوقوع حالاً رغم استقبال الوقوع مسيرة اربعين سنة في مرآهم !

ففي ٦٢ موضعاً من القرآن ذكر فيها الظن بمختلف صيغه لا نجد ظناً بمعنى اليقين كما العلم واليقين لانجدهما في ساير القرآن بمعنى الظن ، ولماذا يستعمل كل في الآخر أحقيقة وليس بها ام مجازاً ولا مجوز محسناً له ودون اية قرينة ، وحتى لو كانت ما كانت محسنة لمجازه ! .

ولو تاملوا فيها تأولوه بالعلم واليقين لرجعوا الى معنى الظن دون تأويل واليكم موارد من ٦٢ موضعاً : (١) « وذا النون اذ ذهب مغاضباً فظنّ ان لن نقدر عليه » ٢١ : ٨٧ ـ ظن بربه خيراً أن لن يضيق عليه بذهابه عن قومه مغاضباً ، فلا موضع هنا لليقين ، حيث المقام محتمل الضيق جزاء ذهابه عن قومه ، ولكنه ظن لحسن ظنه بربه ، فـ « الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء » (٤٨ : ٦) !

(١) « اني ظننت اني ملاق حسابيه » ٦٩ : ٢٠ وهو ظن من اوتي كتابه بيمينه وملاقاته حسابه هو لقاء ثوابه ، وظنه تواضع منه وحسن ظن بربه ، فاليقين منه كان مطالبة حق ثابت .

(٢) « ووجوه يومئذٍ باسرة ، تظن أن يفعل بها فاقرة » ٧٥ : ٢٥ ـ فانها ترجو رجاءً كاذباً الا يفقرهم العذاب تنحياً عن فقاره ام عن اصل العذاب .

(٣) « الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم : : « (٢ : ٤٦) في وصف الخاشعين وهو ظن القلب حيث الخشوع فعل القلب ، وظن القلب يوازي يقين العقل ثم وفي ثالث اليقين « حق اليقين » يصبح يقيناً في القلب كما في العقل وقد يعنيه :

(٤) « قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله » ٢ : ٢٤٩ ، افهل يكون صحيحاً او فصيحاً حمل الظن في هذه الخمس على اليقين دون قرينة الاعدم التامل ضمن ٦٢ موضعاً من القرآن العظيم ؟ :

كفوراً » (١٧ : ٨٩)[١] :

ومهما كان الإنسان اكثر شيء جدلاً فـ « قد صرفنا في هذا القرآن » لكل جدلٍ مثلا يواصف المقصود بما يمثّله ويقرّبه الى الأفهام تحقيقاً للحق المُرام ـ

فأية صورة من جدل الإنسان لا تقوى دحضاً لمثل القرآن حيث يضرب إلى إعماق البرهان ، فطرة وعقلاً وحساً حيث لا تبقى باقية ، مهما بغت جدال الانسان باغية ، فاين مَثَلٌ من جدل ، وهَطلٌ من وحلٍ !

هنا نعرف مدى جدل الإنسان في حق او باطل ، فهو « اكثر شيء جدلاً » من شيء الملائكة في حق ومن شيء الجن في حق او باطل، ومن شيء كائن يوازي الإنسان ايا كان !

انسان الحق يجادل في التفتيش عن الحق وتحقيقه بكل مثل ، وإنسان الباطل يجادل في تهديم صرح الحق وتحقيق الباطل ، وأمثال القرآن تحلّق في أجواء الباطل لإبطاله ، وفي أجواء الحق لإحقاقه ، دحضاً لحجج الباطل دون ابقاء ، وقفزاً لتحقيق الحق دون ابقاء .

ان مثل الحق صيغة سائغة للتصريف بمختلف الصيغ ، والله يصرف مثل الحق إلى كافة الصيغ السائغة لتنظيم جدل الإنسان فتقويم حقه وتحطيم باطله !

﴿ وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلّا أن تأتيهم سنة الأوّلين أو يأتيهم العذاب قبلاً ﴾[٥٥].

موانع مخيَّرة لا مسيَّرة تصدُّ عن الايمان والإستغفار ، من أمنعها التَّرَفُ والإستكبار : « وما منع الناس ان يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلّا أن قالوا

---

(١) مضى تفسيرها في الاسراء فلا نفصله هنا ـ

أبعث الله بشراً رسولاً (١٧ : ٩٤) سنة بئيسة تعيسة للاوّلين منهم والآخرين ، طيلة الرسالات الإلٰهية حتى الاخيرة ، في جدال بالتي هي أسوء : « أبعث الله بشراً رسولاً » «لو ما تأتينا بالملائكة » « لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » وأضرابها من الأعذار اللاّ معقولة حيث تمنعهم أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم .

ومن هذه السنة مطالبة العذاب إن كانت الهدى حقاً : « اللّهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو أئتنا بعذاب أليم » (٨ : ٣٢) .

ولكن هذه السنة او تلك كائنة للمستكبرين ككل وهنا « إلاّ أن تأتيهم » ومن اين تأتيهم وكيف وهي لزام لهم عندهم ؟

قد تدخل في هذه السنة أو هي الأصل هنا ، سنة الاولين في عذاب الاستئصال : « فهل ينظرون إلاّ سنة الاولين » (٣٥ : ٤٣) فعدم اتيان عذاب الاستئصال ، او عدم إتيانه قبلاً كان من موانع الايمان في زعمهم الى سائر موانعه ! وعند تحقق سنة الاوّلين عذاباً واقعاً لا يبقى مدعي الايمان حينه حتى يؤمن ! وعند رؤية العذاب قبلاً لا يفيد الايمان « فلما رأوا باسناد قالوا آمنا فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا باسنا سنة الله التي قد خلت في عباده » (٤٠ : ٨٥) حيث خيل لهم أن مانعهم عن ايمانهم عدم ايقانهم ، فبرؤية البأس يوقنون فيؤمنون .

فاتيان سنة العذاب المستأصِل او العذاب قبلاً ـ ولمّا يأت ـ هو في عداد موانع الايمان والإستغفار ، موانع حمقاء ، ليست إلاّ اعذاراً أسوءَ من حماقات الطغيان .

وليس إتيان سنة العذاب قبلاً او استئصالاً لإثبات الحق من سنة الرسل وإنما هم يبشرون وينذرون حجاجاً وجدالاً بالتي هي أحسن دونما

حاجة إلى عذاب امّاذا ؟ ثم العذاب او الثواب من الله :

﴿ وما نرسل المرسلين إلّا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي وما أنذروا هزواً ﴾(٥٦).

هذه الآية وكثيرة أمثالها تحصر رسالة المرسلين في التبشير والانذار وتحسرها عما سواها مما يتعنته الكفار من الاتيان بما يتطلبّون من آيات وما يتكلبّون خلاف الرسالة الإلهية من أصحاب الرسالات ، امّا يتمناه الرسل فيتحسرون إذ لاينالون من هدي من لايهتدي ، فتتواتر الآيات قارعة متطلبات المتفّتي ، متصدية لتسلية خواطر المرسلين « وما نرسل المرسلين إلّا مبشرين ومنذرين . . » ولكن :

« ويجادل الذين كفروا بالباطل . . » فقد يكون الجدال بالحق ، وبالتي هي أحسن تفتيشاً عن الحق وتثبتاً للحق فواجب على أهل الحق ودعاته ، وقد يكون لتزييف الحق او تضعيفه ، بالباطل كان ام بالحق(١)، وكلاهما جدال بالباطل لدحض الحق ، فحرام مطلق !

وأصل الدحض الزَّلَق ؛ فهم أولاء يجادلون بالباطل لُيزلقو الحق بعد ثباته ، ويزيلوه عن مستقراته ، فيكون كالكسير بعد قوته والمائل بعد استقامته « واتخذوا آياتي وما أنذروا هزواً » : آيات الرسل وآيات الرسالات ، وما أنذروا من مُخلَّفات التكذيب بتلكم الآيات ، اتخذوها هزواً ، يجادلون بالباطل : طريقة باطلة لا تعني حقاً ، وإنما هزءً ولعبة لتوهين الحق وتهوينه أمام العالمين وهم اظلم الظالمين .

---

(١) كأن يجادل ويستدل بقرآن ام سنة لبّاً لابطال القرآن والسنة وهو من انحس الجدال ، وهو جدال بالباطل حيث الاستدلال لابطال الحق بمادة الحق وصورته ، بتحريف في كيفية الجدال هي من اضل المزال للاقدام .

﴿ ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه إنا جعلنا على قلوبهم أكنّة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذاً ابداً ﴾(٥٧):

هنالك قلوب مفتّحة لاستقبال الحق ، تفتحها أصحابها فزادهم الله تفتُّحاً « والذين اهتدوا زادهم هدى » وهنا قلوب مقلوبة مغلقة عن تقبل الحق بإعراض أصحابها عما ذكروا بآيات الرب وتناسي ما قدمت أيديهم فزادهم الله إغلاقاً جزاءً وفاقا « وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابداً » !

فكنّ القلوب عن استقبال الحق ووقر الآذان عن إستماعه ووعيه هما بما اعرضوا وقدمت أيديهم وأن الله ليس بظلام للعبيد .

هنالك تذكير بآيات الرب « ذُكّر بآيات ربه » لكي يهتدوا « وان تدعهم الى الهدى » ولكنهم بدل أن يتذكروا ويهتدوا ويشكروا نعمة ربهم بالذكرى والهدى « فأعرض عنها » : عناداً وتعمداً « ونسي ما قدمت يداه » : نسيان التناسي المتعمد ما قدمت يداه من إعراض عن آيات الرب وخلفياته ، لحد قد يحسبه يحسن صنعاً : « قل هل أنبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً » .

فهنالك ـ اذاً ـ الطامة الكبرى : « إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه » أكنة بما قدموها « وفي آذانهم وقراً » بما وقروها فسما وقرّوها ، اثنان باثنين في وفاق عدداً وعُدَداً ، ثم النتيجة العاجلة « وإن تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا إذاً أبداً » ثم الآجلة هي أشد وانكى !

﴿ وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤآخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلاً (٥٨) وتلك القرى اهلكناهم لمّا ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعداً ﴾(٥٩).

« الغفور » هو معدن الغفر والستر ومنبعه، فهو اذاً « ذو الرحمة » الواسعة ما وجد لها سبيل ، لا الرحمة الفوضى التي هي زحمة على الصالحين وراحة للطالحين ! « لو » أنه « يؤآخذهم » هؤلآء البغاة الطغاة « بما كسبوا » اخذةً عاجلة « لعجل لهم العذاب » في الاولى قبل الأخرى « بل » كضابطة عامة لا تستثنى « لهم موعد » لمؤآخذتهم بما كسبوا منذ الموت الى يوم يقوم الحساب « لن يجدوا من دونه مؤئلاً »: مخلصاً .

ثم وموعد آخر لمن تمادى في الطغيان يوم الدنيا ومن امثاله « تلك القرى » الغاربة في عمق التأريخ « أهلكناهم لما ظلموا » حيث الظلم ليس ليُصبر عليه مهما كانت الدنيا دار عمل والآخرة دار جزاء ، « وجعلنا لمهلكهم موعداً » بالسنة رسلهم ، فلا يغرنكم إمهال الله لهم فانه إملال ، وان موعدهم آت في مستقبل أم حال ، وسنة الله لا تتخلف على أية حال .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ
أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا
فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ
ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ

أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ
وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ
فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ
ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ
رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ
هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ
إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ
مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ
صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا
تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾
فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا
لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ

إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا
نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ
إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ
لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ * قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ
لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ
بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾
فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا
أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ ۖ
قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي
وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾
أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ
أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾

وَأَمَّا ٱلْغُلَـٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا
طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ
زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَـٰمَيْنِ
يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا
صَـٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا
رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ
تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾

حلقة منقطعة النظير في القرآن كله عن سيرة موسى (عليه السلام) مع من تعلم هو منه شيئاً مما كان يجهله ، تقص مقاطع هامة من قصته تهم السالكين سبيل الهدى ، المتعلمين على سبيل نجاة من الردى .

إنها ليست اسطورة مختلقة كما يهرفها الخارفون ، بل هي حقيقة تُقَصُّ من عمق التاريخ كسائر القصص القرآنية ، تحمل أمثالاً حقة من التربية الإلهية ، وذلك لمن ألقى السمع وهو شهيد .

وترى إن موسى القصة هو ابن عمران ثالث اولى العزم من الرسل الذين دارت عليهم الرحى ؟ وأولوا العزم هم المفضَّلون على من سواهم

من رسل وانبياء أمن ذا في زمنهم وحتى ولاية عزم اخرى علماً وعملاً لدنيا من عند ربنا ، فكيف يحمل موسى هذا نصباً في سفره حتى يلقى لنفسه معلماً بأمر الله : « عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً ، قال له موسى هل أتبعك على أن تعلّمن مما علمت رشداً ، قال إنك لن . . » ؟! ومعلمه هذا اياً كان هو من أمته ومتعلمه في شرعته خضراً أمّن ذا ؟ !

فهل هو - اذاً - موسى غير ابن عمران ، نبيّاً اوأيّاً كان ، يتعلم من معلّم له هو فوقه علماً وخبراً ؟ وقد ذكر موسى فيما ذكر (١٣٤) مرة يعنى به ابن عمران ، أفي هاتين المرتين اليتيمتين هنا يُعنى به غيره دونما أية قرينة ولا إشارة ؟ سبحانك اللّهم إن هذا إلا خرافة جارفة جازفة لا صحيحة في ادب التعبير ولا فصيحة !(١) .

---

(١) الدر المنثور ٤ : ٢٩ - اخرج البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الاسماء والصفات من طريق سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس : ان نوفاً البكالي يزعم ان موسى صاحب الخضر ليس موسى صاحب بني اسرائيل ؟ قال ابن عباس كذب عدو الله حدثنا ابي بن كعب انه سمع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : ان موسى قام خطيباً في بني اسرائيل فسئل اي الناس اعلم ؟ فقال : انا ! فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه فاوحى الله اليه ان لي عبداً بمجمع البحرين هو اعلم منك قال موسى : يا رب كيف لي به ؟ قال : تأخذ معك حوتاً تجعله في مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثمّ فاخذ حوتاً فجعله في مكتل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى اذا اتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما واضطرب الحوت في المكتل فخرج فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سرباً - الى آخر القصة وقد نذكر مواضيع منها حسب المناسبات - انشاء الله تعالى .

وفي نقل اخر بنفس السند عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) ان موسى بني اسرائيل سأل ربه فقال اي رب ان كان في عبادك احد اعلم مني فدلني عليه قال : نعم في عبادي من هو اعلم منك فنعت له مكانه ، فان له في لقية فخرج موسى ومعه فتاه ومعه حوت =

إنه هنا موسى بن عمران كما في سائر القرآن ، وقد ابتلى بسفره النَصَب بسبب منه حيث خيِّل إليه أنه أعلم ممن سواه في علمي الظاهر والباطن ، فقد وكلَّ موسى بعلم لايطيقه خضر كما وكلَّ خضر بعلم لا يطيقه موسى فليتعلم كلّ ما عند الآخر ليكتمل بما عند الآخر كما وآصف بن برخيا وزير سليمان كان أعلم منه حيث آتاه عرش بلقيس قبل ان يرتد إليه طرفه ، وكان آصف من امته في الشرعة الظاهرة .

فعلم الشرعة الظاهرة وعلم الباطن قد يفترقان كما في موسى وخضر وسليمان وآصف وقد يجتمعان كما في أهل بيت الرسالة المحمدية (صلى الله عليه وآله وسلم) وكما قد ينتفيان كمن يجهلهما وحياً أمّاذا ؟ .

وخضر هذا نبياً كان ام غير نبي هو كلقمان[1] كان أعلم من موسى بن

مليح قد قيل اذا حيي هذا الحوت في مكان فصاحبك هنالك وقد ادركت حاجتك . .
وفي نور الثقلين ٣ : ٢٧ ج ١٢٨ في تفسير القمي وفي العياشي عن ابي عبد الله (عليه السلام) وكان سبب ذلك انه كلم الله موسى تكليماً وانزل عليه الالواح وفيها كما قال الله عز وجل « وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء » رجع موسى (عليه السلام) الى بني اسرائيل فصعد المنبر فاخبرهم ان الله عز وجل قد انزل عليه التوراة وكلمه وقال في نفسه : ما خلق الله خلقاً اعلم مني فاوحى الله عز وجل الى جبرئيل (عليه السلام) ادرك موسى قد هلك واعلمه ان عند ملتقى البحرين عند الصخرة رجل اعلم منك فصر اليه وتعلم منه فنزل جبرئيل (عليه السلام) على موسى (عليه السلام) واخبره فذل موسى في نفسه وعلم انه اخطأ ودخله الرعب وقال لوصيه يوشع : ان الله عز وجل قد امرني ان اتبع رجلاً عند ملتقى البحرين واتعلم منه فزود يوشع حوتاً مملوحاً فلما خرجا وبلغا ذلك المكان وجدا رجلاً مستلقياً على قفاه فلم يعرفاه ، فاخرج موسى الحوت وغسله الماء ووضعه على الصخرة ومضيا ونسيا الحوت وكان ذلك الماء ماء الحيوان فحيي الحوت ودخل الماء : :

(١) تتضارب الروايات هنا في ان خضر كان نبياً او لم يكن نبياً ، ولا دلالة في هذه الآيات على نبوته ، ولا اثر عنه في ساير القرآن .

عمران في التأويل : « آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً . . » ـ « قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تسطع عليه صبراً » ! « وفوق كل ذي علم عليم » اللهم إلاّ علام الغيوب ، أو من علّمه من علم ما كان وما يكون وما هو كائن كالرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته المعصومين !

ولان القرآن لا يذكر زمن هذه القصة، أكانت في نبوءة موسى قبل رسالته ؟ ام كانت في بداية رسالته ولما تنضج النضجة الكاملة بعلم التأويل ، ام في نبوته بولاية عزمة وفي قمتها ، اذاً فكلٌ محتمل ، مع العلم أنه كان يوحى إليه ، وإلاّ فكيف عرف ذلك الموقف لمجمع البحرين و « قال ذلك ما كنا نبغ » ولا يأتي مثل هذا الغيب إلاّ بوحي ، اللّهم إلاّ وحيا دون نبوءة كما « أوحينا إلى أم موسى ان ارضعيه » فقد تكون هذه المصاحبة قبل نبؤته ام فيها قبل رسالته ، ام فيها قبل ولاية عزمه ، ام وفي ولاية عزمه ، فعلى أية حال لا يبقى اشكال في كيف يتعلم موسى من خضر ؟ فان ولاية العزم في الشرعة الظاهرة لا تلزمها الولاية الباطنة مهما تجتمعان في البعض من أولياء العزم كالرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ولكن الرقابة على تكاليف الشريعة تنتج نورانية في الباطن فـ « من يتق الله يجعل له مخرجاً » و « ان تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويجعل لكم نوراً تمشون به في الظلمات » فكيف إذا كانت رقابة العصمة في ولي العزم ، فليعلم موسى من علم الباطن ما يعلمه خضر وسواه بل واكثر واحرى ، فكيف يتطلب منه ان « تعلمني مما علمت رشداً » ؟

علّه لانه كما علم الشريعة قد يحصل بتحصيل ، وقد لا يحصل إلاّ بوحي ، فما كل متعلّم محاول للحصول عليه يوحى إليه ، كذلك علم الباطن منه ما يحصل بتلك الرقابة ، ورقابة العصمة احرى وأجري

للحصول عليه ولكن منه ما لايحصل برقابة كالعلم الباطن اللدني ، فعلم الوحي الشريعة لا يستلزم ذلك العلم اللدني مهما يستلزم علماً دون ذلك ، فقد أوتي خضراً رحمة من عند الله وعلّم علماً من لدن الله ليس من مخلفات وحي الشريعة والرقابة التامة عليه ! .

ولان ولاية العزم لزامها الحفاظ على حقوق الامة ومصالحها في الباطن كما الظاهر ، فليعلم موسى الرسول في ولايته العظيمة العزيمة ، تأويل قضايا كمثل السفينة والغلام والجدار ، فقد يحتمل أن القصة كانت في بداية أمره ولما يعظم ويعزم امر رسالته القمة ـ والله اعلم حيث يجعل رسالته ! .

﴿ وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقباً ﴾(٦٠)

مجمع البحرين هو عنوان ملتقاه مع خضر كما أوحي إليه ولكن موسى لا يعرفه بتفصيل ، فلو كان عارفه فلماذا « أو أمضي حقباً » سنةً الى ثمانين وكما جاوزه إذ نسيا حوتهما ، فقد يعرف ان فيه ملتقاه وأنه في سفرته هذه يمرّ عليه ، كما تلمح له « مجمع البحرين » لا « مجمعاً لبحرين » حتى تكون له مصاديق عدة ، وإنما قال كغير عارف بالملتقى « أو أمضي حقباً » لأن مجمع بينهما كان متسعاً شاسعاً قد يحتاج الوصول الى منتهاه الى ان يمضي حقباً واقله التأكيد على ذلك التصميم وإن لم يحتج وصوله الى مضي حقب ، فحقٌ لموسى وفتاه لمّا بلغا مجمع بينهما أن ينسيا حوتهما حيث بهرهما بلوغ المجمع نَظِرَة الملتقى ، وأما فتاه فزاد نسياناً على نسيان لما أويا الى الصخرة .

موسى الرسول ما كان يعرفه بعينه ، ولا أن القرآن عرّفه لنا ، فما لنا من سبيل الى معرفته القطعية إلاّ حدسيات : أنه منطقة كانت مسرح

تاريخ بني اسرائيل بعد خروجهم من مصر كملتقى بحري الروم والقلزم أي الأبيض والأحمر ، ومجمعهما في منطقة البحيرات المُرة وبحيرة التمساح ، او مجمع خليجي العقبة والسويس الأحمر ، او ما ينتهي اليه بحر الروم من الجانب الشرقي وبحر الفرس من الجانب الغربي أمّاذا ؟

إلّا ان مسرح تاريخ بني اسرائيل المعلوم لدى الجميع يختلف عن مسرح موسى البرسول (صلوات الله عليه) الخاص به، وهو لا يعرفه بتفصيل ، والا فلماذا « أو أمضي حُقباً » ؟ فلنترك ما تركه القرآن ونسكت عما سكت الله عنه ، وقصارى ما يعرفه موسى من ذلك الملتقى أنه مجمع البحرين وفيه حياة الموتى كما اتخذ غذائه الحوت فيه « سبيله في البحر سرباً . . وعجباً » «قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصاً، فوجدا . . . »

وفتى موسى هو صاحبه الخاص فعلّه وصيه يوشع بن نون بفتوّة صحبة الايمان[1]وقد يكون « وإذ قال . . » معطوفاً على محذوف يناسبه ام على قصة اصحاب الكهف ان يذكره الرسول ومن معه ذكرى ثانية للرحمة الخاصة الإلهية الحانية على عباده الأخصاء وهو من أخصهم ،فلتتواتر عليه رحمة من لدنه وعلم من لدنه ، ربوة على كل عالم ومرحوم !

و ﴿ لا أبرح ﴾ تصريحة بملاحقة السير في هذه السفرة إذ يقصد من ورائها امراً أُمِر بالحصول عليه اعلاناً لفتاه في البداية استعداداً لوعثاء السفر ونَصَبه ، مهما طال الزمن : « أو أمضي حُقُباً » تعبيراً حاسماً عن

---

(١) الدر المنثور في الحديث السابق عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) « ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون . . وفي نور الثقلين ٣ : ٢٧٢ ج ١٣٠ عن ابي حمزة عن ابي جعفر (عليه السلام) قال : كان وصي موسى بن عمران يوشع بن نون وهو فتاه الذي ذكره الله في كتابه .

تصميمه القاطع ، عارفاً صارماً بوصوله عاجلاً او آجلا الى ملتقاه في مجمع البحرين .

وهذه من السنن الحسنة مع رفقة السفر التابعين لك ان تعلن دون إسرار كالشمس في رابعة النهار مسيرك ومصيرك في سفرتك دون تحميل عليهم كما « قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ » دون « لا نبرح حتى نبلغ . . » وليجعل صاحبه في سعة من أمره إن شاء لزمه عارفاً بالسفرة وان شاء تركه .

و «لا ابرح» يعني لا ازال سائراً مسافراً دونما انقطاع، مما يوحي باهمية بالغة للهدف المُرام، اعداداً لفتاه إن شاء استعد على علمٍ بهامة السفر ونصبه .

وليبلِّغه مدى تصميمه مقصداً وزمناً لأقصى حدِّه كما أبلغه « أو امضي حقباً » ! و « مجمع البحرين » هنا هو الغاية القصوى من السفر النَصَب وليجمع فيه بين بحري العلم الظاهر من موسى والباطن من خضر ، او بحري الرسالة الظاهرة والولاية الباطنة ، وكما قال له خضر في ملتقاه « إني وُكِّلت بامر لا تُطيقه ووُكِّلت بأمر لا أُطيقُه » .

فيا لمجمع البحرين من نبضات الحياة ومضاتها حيث الحوت المطبوخ الغذاء فيه يحيى[1] «واتخذ سبيله في البحر سرباً» « وعجباً » وموسى الرسول يزداد حياةً من علم الباطن إلى علمه الظاهر وكما الخضر يزداد علم الظاهر الى علمه الباطن .

﴿ فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سرباً[٦١] فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً[٦٢] قال أرأيت إذ

---

(١) في الدر المنثور في حديثه (صلى الله عليه وآله وسلم) عن القصة : : فلما نزلا ومس الحوت الماء حيي فاتخذ سبيله في البحر سرباً . . وكما في احاديث عدة ولا نجد في اي حديث أنه كان حياً .

أوينا الى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلاّ الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجباً[٦٣] قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصاً[٦٤]﴾.

الحوت هو السمك العظيم ، والسَرَب هو المنحدَر المسبَّل ذهاباً مخيراً ، لا سقوطاً أو انقفازاً مسيَّراً ، أترى أن حوتهما الغذاء آخذاه من مجمع بينهما ؟ و « نسيا حوتهما » عند بلوغ المجمع ! فقد كان معهما قبل بلوغه ! أو أنه كان حياً معهما في سفرتهما ليطبخاه إذا جاعا ؟ ولزامه ان ياخذا معهما ماءً بقدر يكفيه بقية الحياة ، وهذا غريب في سفرة كهذه النصب ، حِملاً لكثير الماء ليعيش فيه الحوت : السمك العظيم ولماذا هذا التعب الشغب نصباً على نصب ؟ !

حوتهما هذا كان غداءهما فليكن مطبوخاً جاهزاً لِغذائهما حيث السفرة لا تسمح للطبخة ولا سيما تلك الساذجة الناصبة ، فقد كان ميتاً مطبوخاً وكما في حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)[١]

ثم « واتخذ سبيله في البحر عجباً » تصريحة بحياته ، فلتكن بعد موته ، إذ لا عجب لحيوان البحر أن يتخذ سبيله في البحر سرباً منحدراً إليه ، بل وتركه عجبٌ[١].

---

(١) اتفقت الاحاديث التي تنقل القصة ان الحوت حيي عند الصخرة واتخذ سبيله في البحر سرباً وعجباً ، ولكنه تختلف في انه كان مشوياً او مملوحاً وفي مرسلة القمي وروايات الشيخين والنسائي والترمذي وغيرهم انه كانت عند الصخرة عين الحياة وفي رواية مسلم ان الماء كان ماء الحياة من شرب منه خلّد ولا يقاربه شيء ميت الا حيى فلما نزلا ومس الحوت الماء حيي ، وفي بعضها ان فتى موسى توضأ من الماء فقطرت منه قطرة على الحوت فحيى ، وفي ثالث انه شرب منه الفتى ولم يكن له ذلك فاخذه الخضر وطابقه في سفينة وتركها في البحر فهو بين امواجها حتى تقوم الساعة ، وفي رابع انه كانت عند الصخرة عين الحياة التي كان يشرب منها الخضر ثم الباقية خالية من ذكرها ـ
ثم في رواية الاحتجاج وغيرها ان الحوت سقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سرباً =

ترى وماذا كان يدري موسى من الملتقى وماذا لا يدري ؟ « حتى أبلغ مجمع البحرين » دليل أنه كان يدري ان مكاناً من المجمع هو الملتقى ، ولكنه ايـن هو الذي يحيى فيه ميت وما هو ؟ لا يدري أنه حوته وإلاّ لم ينسه ! ولم يطلبه بعد ذكره غداءه !

فقد « قال ذلك ما كنا نبغ» فما كان يدري ان الملتقى هـو المجمع الذي بلغاه ، وإلاّ لما تجاوزه ! ولا أن الـذي فيه يحيى هو حوتهما ، وإلاّ لماذا اتخذه غداءهما ، ولماذا نسيه ؟ معلومان ومجهولان لموسى ، وفتاه يجهل ثالثاً هو أن حياة ميت فيه آية انه الملتقى المبتغى وإلاّ لما نسيه إذ رأى الحوت « اتخذ سبيله في البحر عجباً » ! .

« فلما بلغا مجمع بينهما »: بين البحرين وبين موسى وخضر ، وما درى موسى منه ملتقاه وإلاّ لما تجاوزاه « نسيا حوتهما » موسى وفتاه ، نسيان موسى كان بطبيعة الحال حيث السالك يركّز على الغاية الملتقى فينسى الغداء أماذا من وسائل اللقاء ، ولكنما الفتى لماذا ينسى وقد حمّل حمله والحفاظ عليه ؟ علّه لانه يتابع مسيرة موسى فعلى هامشه ينسى أمام الغاية غيرها ! وهذا النسيان المشترك كان عند بلوغهما المجمع .

ثم هنالك نسيان ثان يخص فتاه لما أويا الصخرة « فأني نسيت

= فـامسك الله عن الحـوت جريـة الماء فصـار عليه مثـل الطاق ، وفي بعض ان مـوسى لما رجع ابصر اثر الحوت فاخذا اثر الحوت يمشيـان على المـاء حتى انتهيا الى جـزيرة من جـزائر العـرب ، وفي حديث الـطبري عن ابن عبـاس فرجـع مـوسى حتى اتى الصخـرة فـوجـد الحـوت فجعل الحـوت يضرب في البحـر ويتبعه مـوسى يقدم عصـاه يفرج بهـا عنـه المـاء ويتبـع الحوت وجعـل الحوت لا يمس شيئاً من البحـر الا يبس حتى يكـون صخـرة ، وفي اكثـرها ان مـوسى لقي الخضر عنـد الصخرة ، وفي بعضهـا انه ذهب من سرب الحوت أو على المـاء حتى وجده في جـزيرة من جـزائر البحـر ، وفي بعضها انـه وجده عـلى سطح الماء جالساً او متكئاً .

الحوت : : » أنسياناً مع موسى فهنالك نسيا وهنا نسيت؟ فهو إذا نسيان ثان تدخّل فيه الشيطان يخص فتاه : « فاني نسيت الحوت وما أنسانيه إلاّ الشيطان أن اذكره واتخذ سبيله في البحر عجباً » . . هنا « واتخذ سبيله . . » عطفاً على نسيانه ، وهناك « فاتخذ سبيله . . » تفريعاً على نسيانهما ، فبينهما فرق قد لا يكون إلاّ أن النسيان الاوّل أغفلهما عن كونه معهما«فاتخذ سبيله . . » والنسيان الثاني هو بعد ذكر « واتخذ سبيله في البحر عجباً » فالواو اذاً للحال ، أنني نسيته حال أنه اتخذ سبيله في البحر عجباً ، نسيت أن اذكره بعد ذلك واذكرّك ، وعلّه لأنه ما اهمته غدائهما رغم ذلك العجب أمام غايتهما القصوى ، فقد يُنسى الطريق والرفيق فضلاً عن الغداء امّاذا :

«فلما . . نسيا حوتهما » استغفالاً عنه اذ لم يكن محوراً في تلك السفرة « فاتخذ سبيله في البحر سرباً » لم يدره موسى ودراه فتاه وكما اخبر « واتخذ سبيله في البحر عجباً » وترى ما هي سبيله السرب ؟ « قال ارأيت إذ أوينا الى الصخرة فإني نسيت الحوت » فمن الصخرة العالية منحدرٌ يُتخذ إليه سبيلٌ سرب فالسبيل هو الطريق المنحدر ، والسرب هنا انحدار ثان يزيد السبيل سُبلة وانحداراً .

أو هي عين الحياة المنحدرة من الصخرة الى البحر[1]وقد حيي بها

---

(١) في عديد من الروايات انه عين الحياة كما في نور الثقلين ٣ : ٢٧٢ ح ١٣١ في عيون الاخبار عن الرضا (عليه السلام) قال قال علي (عليه السلام) وقد سأله بعض اليهود عن مسائل ـ وانتم تقولون ان اوّل عين نبعت على وجه الارض العين التي ببيت المقدس وكذبتم ، هي عين الحياة التي غسل يوشع بن نون السمكة وهي العين التي شرب منها الخضر (عليه السلام) ، وليس يشرب منها احد الا حيي ؟ قال : صدقت والله انه لبخط هارون واملاء موسى ورواه مثله في كمال الدين وتمام النعمة باسناده الى ابي الطفيل عامر بن واثلة عن علي (عليه السلام) وفيه ايضاً باسناده الى ابراهيم بن يحيى المدائني عن ابي عبد الله (عليه السلام) حديث طويل يقول فيه (عليه السلام) ان علياً . . وفيه ايضاً باسناده الى الحكم بن مسكين عن صالح عن =

الحوت فاتخذها سبيلاً ؟ ام ساقية اخرى وقد حبي بغيرها ؟ ام قفزة من منحدره ام لزقة فانزلاقاً الى البحر وبينه وبينه برٌّ امّاذا ؟ على أية حال « فاتخذ سبيله في البحر سرباً عجباً » !

فاتخاذ سبيل سرب عجب ذو دلالات على أن حوتهما الغذاء الشواء أصبح حياً على الصخرة على غفلة لموسى وذُكرٍ لفتاه ، ومن ثم تناساه فنسي ان يخبر موسى بأمره :

« فلما جاوزا » بداية المجمع والسرب العجب « قال » موسى « لفتاه آتنا غداءنا » الحوت « لقد » تاكيداً ذا بعدين « لقينا من سفرنا هذا نصباً » فلنتغذّ لكي نستجدَّ طاقة بدنيَّة نواصل بها سفرَنا ، مما يدل أنه كان متغافلاً جوعهما مع نسيان حوتهما ، ثم النَصَب ذَكَرَه غداءهما الحوت فطلبه من فتاه ، فانه التعب المنصوب تأتياً في مُداه :

والغَداء هي غذاء الغداة ، فلعلّهما جاوزا مجمع بينهما ليلاً ، ولم يعتبره موسى ملتقاه اذ لم يَرَ ما يريه انه هو ملتقاه حتى أخبره به فتاه :

﴿ قال أرأيت إذ أوينا الى الصخرة ﴾ المظلّة على البحر ، فأنت رأيت إذ أوينا إليها تخفيفاً عن وعثاء السفر ، او وانتظاراً علّه هو الملتقى « فاني نسيت الحوت » ماذا حصل له وماذا فعل ، بعدما نسيناه مع بعض « وما أنسانيهُ إلاّ الشيطان ان اذكره » واتخذ : حال انه « اتخذ سبيله في البحر عجباً » نسيان عجب بعدما رأيته اتخذ سبيله في البحر عجباً حيث الحوت الميت المطبوخ يمشي في سبيله السرب إلى البحر ! ولم يكن نسياناً مني تغافلاً عن أمره العجب وانما ذلك الشيطان انسانيه ان اذكُره فاذكّرك بسَرَبه العجب .

= جعفر بن محمد (عليه السلام) عن علي (عليه السلام) اقول : على اختلاف في بعض الالفاظ واتفاق في عين الحياة :

أفترى الشيطان له سبيل إلى الأنبياء ، وكان فتاه يوشع منهم ؟ علّه لم يكن حينذاك نبياً ، فقد كان وصياً ثم بعد موت موسى أصبح نبياً وصياً ! ام بقى وصياً دون نبوة ؟(١)

أم إن هكذا نسيان ليس في عداد نسيان ذكر الرب حتى يُنحى عنه الشيطان ، فانما هو حسب الظاهر نسيان الغداء اولاً ومن ثم نسيان السرب العجب ، وقد يبرّران امَام الهدف الإمام وهو التحري عن ملتقى البحرين ، ولم يكن يدري فتاه أن من آيات ملتقاه حياة ميت او علّها هي منها حتى يتذاكر الحوت ، رغم أن سربه العجب هو آية الملتقى :

﴿ قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصاً﴾(٦٤) : ذلك البعيد المدى العظيم المحتوى ، الملتقى المدلول عليه بآية السرب العجب « ما كنا » طول سفرنا « نبغ » ٥ ـ فلنرجع الى مجمع بينهما من نفس الطريق الذي جئنا « فارتدا » رجوعاً إليه « على آثارهما » آثار الأقدام في مشيتهما « قصصاً » : تتبُّعاً لتلكم الآثار كيلا يخطآها .

﴿ فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلّمناه من لدنّا علماً ﴾(٦٥) .

فيا لوجَد الوجدان من شَعَف وشغَف ، ما يُنسي نَصَب السفر ووعثاءه ، وكيف عرف موسى خضره ؟ طبعاً كما عُرِّف بوحي الله مكانه ، كذلك عرِّف مكانته والمؤمن ينظر بنور الله !

تعريف إلهي لطيف بخضر في زوايا ثلاث ١ ـ « عبداً من عبادنا » ـ ٢ ـ « آتيناه رحمة من عندنا » ـ ٣ ـ « وعلمناه من لدنا علماً » !

هنالك عبودية في كمالها دون أكملها ـ فانه لاوّل العابدين ـ فرحمة على

---

(١) لا دلالة في القرآن ولا في السنة واضحةً ان فتى موسى كان حينذاك نبياً :

صاحبها : « من عندنا » خاصةً ، ثم « من لدنا علماً » دون تعلم خَلقي ، إنما عِلماً لدنيّا بوحي او الهام ليس في نطاق وحي النبوة لزاماً ، إلّا الانبياء الاولياء الذين جمعوا علمي الوحي ظاهراً وباطناً كالرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) واضرابه في الوحي القمة أو إلهامه[١].

وتلك الرحمة ليست هي العلم لقرنها به ، فهي من مدارج الرحمة المعرفية والمعارج العملية ، فلقد كانت عبودية ذات جناحين ، لا علماً دون معرفة ولا معرفة دون علم ، مهما كان علم ظاهر الشريعة تقليدياً عن رسول كما كان هو يقلد موسى الرسول (عليه السلام) ، رغم أنه معلمه من علم الباطن وكما قال : « إني وكلتُ بعلم لا تطيقه ووكلت بعلم لا أُطيقه »[٢] وقال « اني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت وأنت على علم من علم الله لا أعلمه »[٣].

وقد يكون تنكير « عبداً » هنا للتفخيم كما الإضافة « من عبادنا » للإفاضة والتعظيم .

---

(١) نور الثقلين ٣ : ٢٧٥ ح ١٤٢ في اصول الكافي باسناده الى سيف التمار قال : كنا مع ابي عبد الله (عليه السلام) جماعة من الشيعة في الحجر فقال (عليه السلام) علينا عين ، فالتفتنا يمنة ويسرة فلم نر احداً فقلنا : ليس علينا عين فقال : ورب الكعبة ـ ثلاث مرات ـ لو كنت بين موسى وخضر لاخبرتهما اني اعلم منهما وانبأتهما بما ليس في ايديهما لان موسى والخضر (عليهما السلام) اعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة وقد ورثناه من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وراثة .

(٢) نور الثقلين ٣ : ٢٨١ ح ١٥٤ في كتاب علل الشرايع عن جعفر بن محمد (عليهما السلام) قال له الخضر « انك لن تستطيع معي صبراً » لاني وكلت . . وفي البحار ١٣ : ٢٧٩ بدل بعلم « بامر » .

(٣) المصدر

وخضر هذا تتواتر في شأنه الروايات الإسلامية وسواها[١] وانه باق الى قيام المهدي (صلوات الله عليه) ولا تنافي حياته لهذا الحد اصلٌ من الأصول الإسلامية ، اللّهم إلاّ اذا كان نبياً ، إلاّ بانقطاع الوحي عنه يوم نبيء الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث لا نبوة بعد نبوته ولا وحي بعد وحيه الى يوم القيامة ، وكما في المسيح (عليه السلام) وهو في السماء حيث ينزل زمن المهدي (صلوات الله عليه) ، فالخضر والمسيح وسائر المكلفين اياً كانوا وأيان ، إنهم منذ بزوغ الرسالة المحمدية اصبحوا من امته وتحت لوائه ، وهل عزل المسيح عن رسالته بعد نصبه؟ إنه انعزال عن امته وليس عزلاً ! ثم لا بأس بعزل ليس فيه مهانه !

﴿ قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمني مما عُلِّمت رشداً ﴾[٦٦].

عند اللقاء الحبيب سلم عليه موسى (عليه السلام) فقال الخضر : وأنى بارضك السلام ؟ قال : أنا موسى ! قال : موسى بني اسرائيل ؟ قال : نعم ـ اتيتك لتعلمني مما علمت رشداً ، قال : إنك لن تستطيع معي صبراً ، يا موسى ! اني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه انت وانت على علم من علم الله علمك الله لا أعلمه»[٢]«إني وكلت بامر لا تطيقه

---

(١) هنالك في مختلف النقل والتاريخ قيلات ومقالات حول خضر لا يهمنا ذكرها الا ما نبه عليه القرآن في مثلث التعريف بـ « عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً »!

وقد رويت القصة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كما في الدر المنثور بعدة طرق من ارباب الجوامع كالبخاري ومسلم والنسائي والترمذي وغيرهم عن ابن عباس عن ابي بن كعب عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) :

(٢) من حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد ذكرنا شطرات منها . »

ووكلت بأمر لا اطيقه »[١]:

موسى الرسول (عليه السلام) بعدما يتحمل أعباء السفر ووعثاءه ليلقى الخضر ، تراه كيف يحترمه ويتأدب عنده ، وهو رسول إليه في الشرعة الإلهيـة ،وولي عليه ، وان كان الخضر علّم من علم التأويل ما لم يعلمه موسى فليكونا ـ لاقل تقدير ـ على سواء !

ولكنه يعلمنا أن المتعلم اياً كان عليه في سبيل التعلم من أيٍّ كان ان يحترمه ويتأدب لديه : « هل أتبعك . . » ؟ دون ان تاخذه طنطنة الأعلمية الرسالية فيقول : « إتبعني آخذ عنك مما عندك » او يتنزل شيئاً : « أتبعك . . » ولكنه قال : « هل اتبعك . . استيئذاناً منه في اتباعه تعلماً ، حال أنه رسول الله ، وقد أمره الله ان يتعلم مما عنده !

« اتبعك » اتباعاً لامرك في سبيل التعلم ، ومتابعة لك اينما تذهب ، دونما استقلال أمامك فاستغلالك لصالح التعلم ، وانما « أتبعك » إن تسمح لي ، تواضعاً مضاعفاً أمام المعلّم مهما كان المتعلم إمامه في شرعته وهو يقتضي كونه متبوعاً او مساوياً ومستقلاً بجنبه لا تابعاً ، ولكنه في مقام التعلم يتأدب هكذا !

---

(١) نـور الثقلين ٣ : ٢٧ ح ١٢٨ ـ القمي حـدثني محمـد بن عـلي بن هلال عن يـونس قال : اختلف يونس وهشام ابن ابراهيم في العالم الذي اتـاه موسى (عليـه السلام) ايهما كـا اعلم وهل يجـوز ان يكون عـلى موسى حجـة في وقته وهـو حجـة الله عـز وجـل عـلى خلقه ؟ فقال قاسم الصيقل : فكتبوا الى ابي الحسن الرضـا (عليه السـلام) يسألـونه عن ذلك فكتب في الجواب اى موسى العالم فـأصابـه في جزيـرة من جزائـر البحر فـاما جـالساً وامـا متكئاً فسلم عليـه موسى فـانكر السـلام اذ كان بـارض ليس فيها سـلام قـال : من انت ؟ قـال : انـا مـوسى بن عمـران ـ قـال : انت مـوسى بن عمـران الـذي كلمـه الله تكليـماً ؟ قـال : نعم ـ قـال : فـما حـاجتـك ؟ قـال : جئت لتعلمني مما علمت رشـداً ، قال : اى وكلت بامر لا تطيقه ووكلت بامر لا اطيقه . . .

و « مما علمت » دون « ما علمت » تواضع آخر أنني لا أعني من هذه المتابعة ان اصبح مثلك وإنما « مما علمت » أن تعلمني بعض ما علِّمت ! .

ثم وليس ذلك الإتباع تقليداً أعمى وانما «على ان تعلِّمين مما عُلِّمت رشداً » :

رشداً في اتباعك ورشداً فيما تعلمني ورشداً مما علِّمت، فاتباع المعلم وتعليم الرشد في أسلوب غير رشيدة ، غير سديد ، كتعليم الضلال في أسلوب رشيده ، فانه ضلال بعيد حيث يخيل الى المتعلم أنه رشيد..

فعلى المتعلم أن يكون على بصيرة للحصول على رشدي التعلم بعد رشد الإتباع : « فلينظر الإنسان إلى طعامه » : اي الى علمه الذي ياخذه عمن ياخذه وكيف يأخذه ؟ .

وبهذا الأدب اللائق بنبي يستفهم دون جزم ويطلب العلم الراشد من المعلم الراشد ، باتباع راشد فانه ليس ليستسلم أمام ذلك التعليم ما لم توافق مواده موازين العقل والشرعة الإلهية ! لذلك ينبهه العبد الصالح بما يؤول أمره ، لاختلاف ميزاني الظاهر عند المتعلم ، والباطن عند المعلِّم .

﴿ قال إنك لن تستطيع معي صبراً(٦٧)وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً ﴾(٦٨)

إحالة في تأكيدي : «إن ـ لن » ان يصبر معه صبراً ، ولا في مادة واحدة ، حيث النكرة في نطاق النفي المؤكد ولا سيما المُحيل ، إنها تفيد الإستغراق الحاسم الجاسم .

ولكي لا تكون هذه البداية مزعجة غير مترقبة من صالح الى نبي ، وبعد هذه الأداب ، والحرمات المسبقة ، يعذره المعلم في « لن تستطيع » بـ « وكيف تصبر » على ما ترى من خلاف الشرعة وهو خلاف العدالة

والعصمة أن يسكت صاحب الرسالة عن التنديد بأمر إمر ، أو نُكر ، او خلاف العقل ، حيث التقرير زاوية من مثلث السنة ! يعذره عن أن يصبر « على ما لم تحط به خبراً » وحيطة الخبر لزامٌ عقلي وشرعي فيما يخالف ظاهره الشرع او العقل ، لكي يتغلب باطنه الأمين على ظاهره غير الامين فيصبر على إمر الظاهر لأمر الباطن ، والصبر ما أوله مرّ وآخره حلو فمن دخله من اواخره فقد دخل ومن دخله من اوائله فقد خرج ومن عرف قدر الصبر لا يصبر عما منه الصبر . »[1] وموسى يعرف قدر الصبر وموقعه فلا يصبر عما منه الصبر وهو عصيان في ظاهر الشرعة وحتى في احتمال أن آخره حلو !

فالشرعة الإلهية أعلى محتداً واوجب رعاية وحرمةً من حرمة المعلم ايّا كان ، إذا تناحرتا ، فلا طاعة لمخلوق ـ ولا رعاية ـ في معصية الخالق ، وكما لا معصية لمخلوق في طاعة الخالق ، وانما هي طاعة الله لا سواه ، واحاطة الخبرُ فريضة عادلة في كل فعل او ترك ان يعرف وجهه في شرعة الله فيؤتى به او يترك ، بوحي او اجتهاد او تقليد صالح ، وليس موسى ممن يقلد خضراً فانما يمشي ويمضي بوحي ، ثم التقليد الصالح قد يجابه بما يُحير العقل فسؤالاً وجواباً مقنعاً ام تركاً واعتراضاً محتاطاً !

ومهما يكفي خبرٌ مّا في فعلٍ او ترك لا يرفضه العقل ، ويفرضه ظاهر الشرع ، فلا يكفي فيما يرفضه حكم العقل وظاهر الشرع إلّا احاطة الخبر لحدٍّ يحوله الى مسموح او مفروض !

نرى موسى حينما يواجَه ويجابه بـ « لن تستطع » حيث تحيل أهليته

---

(١) مصباح الشريعة عن الامام الصادق (عليه السلام) واستدل في ختامه بالآية قال الله تعالى في قصة موسى والخضر (عليهما السلام) « وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً » !

لذلك التعلم ، لا يتبرّم وينزعج فيترك تعلماً فيه مهانة ، بل يجيبه بما يؤهله « إن شاء الله » ويعذره « ان شاء الله » فيمضي في هذه الرحلة الدراسية على ضوء « ان شاء الله » تعليم صعب وتعلّم صعب على عبدين من الرعيل الأعلى في علم الظاهر والباطن .

﴿ قال ستجدني ان شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً ﴾(٦٩).

يقولها موسى ولا يدري أنه يواجه امراً إمرا او نكراً او خلاف العقل ! وحيث الصبر ـ وبمشية الله في هكذا أمر ـ لا يترجّاه مؤمن فضلاً عن موسى الرسول (عليه السلام) .

و « ان شاء الله » هنا هي مشية الله تشريعاً فتكويناً فـ « ستجدني . . صابراً ولا اعصي لك امراً » مهما أبهم أمره ، ما وافق شرعة الله ثم شاءه الله توفيقاً لما أشاءه .

وهذه تكفل حتمية الصبر من موسى (ع) شرط «ان شاء الله»في بُعديها ، فلا خلف في وعده ولا تخلّف عن مشيئة الله إذ لم يصبر على أمر إمر أو نكر ، إذ لا يشاءه الله في شرعة ظاهرة ، ولا تكويناً بعد ان لايصبر موسى حسب تكليفه الظاهر .

اجل « ولا أعصي لك أمراً » إلّا ان يكون أمرك عصياناً لله وإمراً ، فقد تمت شروطات وآداب التعلم من موسى (عليه السلام) وثم ماذا من الخضر ؟

﴿ قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً ﴾(٧٠)

ينبّهه أن أمره يثير السؤال العاجل وقد لا يصبر عنه إلى آجل ، فلذلك يشترط عليه لآخر المطاف ترك العجال في السؤال ويربطه بمتابعته التي هي اوّل المطاف في هذا المجال ! « فان اتبعتني » دون ان يفرض عليه عدم السؤال إلا بشرط اتباعه المطلق في رحلته المدرسية ، الذي لزامه التسليم

أمام المعلم كما يراه لصالح التعليم ، تأدباً أمام موسى الرسول (عليه السلام) كما تأدب هو أمامه مع أنه إمامه في الشرعة الإلهية !

اذاً فلا سؤال فيما يأتي من امره كيفما كان « حتى أحدث » دون سؤال « لك منه ذكراً » هو اجابة عن كل سؤال على أية حال في هذه الرحلة العلمية إحداثاً منه وابتداءً دون سؤال ! ، ويا لها من صعوبة ان موسى الرسول المحيط خبراً بكل ما يفعل او يقول ، او يؤتى أمامه عن اي فاعل او قائل ، أن يسكت طول هذه الرحلة عن مجاهيل الأمر ، على احتمال ان فيه نكراً او إمراً !

لكنه مأمور لمواصلة هذه الرحلة ، وهكذا مأمورٍ معذور إلّا فيما لا يُعذر ، فعليه التحمل ما لم يكن حِملاً لا يحمله الشرع والعقل ، فيرضى موسى محتاطاً في صبره وعدم عصيانه وسؤاله بـ « إن شاء الله » رقابة تامة على ظاهر الشرعة ، وعلى ضوءها ما يحدث في رحلته مواصلة لها ، وقد يتناسى لرعاية الشرعة لزوم صبره وإن كان على أمر إمرٍ ، وخضر يستأجله في تأويل ما لم يحط به خبراً ، ولكنما التعود على الالتزام بظاهر الشرع ولرسول معصوم لا يمهله ان يصبر حيث يراه إهمالاً للشرع !

﴿ فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً ﴾(٧١)

« فانطلقا » هنا دون « انطلقوا » دليل ان موسى ترك فتاه في الملتقى ، ولأن الإنطلاق هو التخلي عن وثاق كما الطلاق تخلية عن وثاق ، فقد كان وثاق حتى الملتقى فمن هناك الانطلاق ، وثاق موسى بفتاه ، ووثاقه بعلم الظاهر ، ثم وثاق خضر بوحدته وبعلم الباطن ، « فانطلقا » يعني لكلٍّ انطلاقين والى مجمع بحري الظاهر والباطن :

« . . حتى إذا ركبا في السفينة » . . « السفينة » معرفة تلمح أنها

بخصوصها كانت مقصودة للخضر كاوّل المطاف في هذه الرحلة ، فلم يقل « سفينة » كما وأن « إذا » تؤيد هذه المعرفة المستبقة عن السفينة ، فهما اذاً في هذه الرحلة المدرسية « في السفينة » يتابعان واجب التعليم والتعلم ! ـ

« خرقها » ! مسافر باجرة ام دون اجرة[1] ولا يملك السفينة وحتى لو ملكها « خرقها » ؟ أمرٌ إمرٌ : داهية عظيمة ، تستقبل موسى بداية الأمر ! لن يستطيع موسى امامه صبراً فيبتدر في اعتراض : « قال أخرقتها لتغرق اهلها » كغاية يخلفها خرقها وان لم يقصد به غرقها ولكنه حسب العادة يعرف غرقها بخرقها ! « لقد جئت شيئاً إمراً » حكم على أمره بإمره في تأكيدين : « لقد » حيث الإمر وهو الداهية العظيمة هناك ، كان إمراً من جهات عدة اعظمها الذي ذكره كغاية كانها المقصودة فقط : « لتغرق اهلها » وفيه ضمن اهلها غرقها، وفيه ـ لاقل تقدير ـ تصرف ضار في مال الغير ، فلان تعريض الغير ولا سيما جماعة الى الخطر انكر من تعريض النفس كما هو انكر من اتلاف المال ، لا يأتي هنا من إمر أمره إلاّ « لتغرق أهلها » حيث الخرق كان لحد الغرق .

---

(١) الدر المنثور في حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن القصة « فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت بهم سفينة فكلموهم فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول فلما ركبا السفينة فلم يفجأه الا والخضر وقد قلع لوحاً من الواح السفينة بالقدوم فقال له موسى قوم حملونا بغير نول عهدت الى سفينتهم فخرقتها لتغرق اهلها لقد شيئاً امراً . . . قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت الاولى من موسى نسياناً قال وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر ما علمي وعلمك من علم الله الامثل نقص هذا العصفور من هذا البحر . .

وفي نور الثقلين ٣ : ٢٧ ح ١٥١ في تفسير العياشي عن عبد الرحمن بن سيابة عن ابي عبد الله (عليه السلام) وساق القصة الى قوله (عليه السلام) فانطلقا حتى انتهيا الى معبر (سفينة) فلما نظر اليهم اهل المعبر قالوا : والله لا نأخذ من هؤلاء اجراً اليوم فحمل عليهم فلما ذهبت السفينة وكثرت الماء خرقها . . .

لقد كان موسى (عليه السلام) هنا معذوراً في اعتراضه بلفظة قاسية، ويعذره موقفه الرسالي من ناحية، وعلّه لم يدر ان خرق السفينة هو من موارد تعليمه ومواده من اخرى، حيث تعوّد التعلم بوحي الشرعة قولاً، وامّا ان عملاً مّا كهذا داخل في التعليم فلم يتعوده رسالياً، ففوجأ هنا بالخرق الغرق فانبرى غضباناً أسِفاً «أخرقتها.. إمراً»؟!

سفينة تحملهما بركاب لها وهم وسط اللجة تلعب بها في جزرها ومدها، ثم يأتي عبد صالح في رحلة تعليمية لموسى الرسول (عليه السلام) فيخرقها ليغرقها واهلها، انها طامة كبرى وداهية عظمى تغطي على موقف المعلّم وما وعده موسى «ستجدني إن شاء الله صابراً» ولكن كيف يشاء الله صبراً في مثل هذه الداهية، فحق له أن ينسى ما وعده وإن لم يستثن وقد استثنى! ثم العبد الصالح لا يزيد على ما بدء.

﴿قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً﴾[٧٢]: وهذه اوّل خطوة في رحلتنا ما صبرت معها، وكما قلت لك بداية الرحلة، وما هي الفائدة في تعليم لا تتوفر شروطه ولن: !؟ إذاً فاتركني وشأنك وشأني، ام حاول لإحالة ظاهر الحال الإمر إلى باطن الامر بصبر هو مفتاح الفرج!

﴿قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسراً﴾[٧٣] فانما نسيت وعدك دون تقصير، بل نسيان او تناس واجب بظاهر الشرع فترك ذلك النسيان عصيان، فلا تؤاخذني! «ولا ترهقني»: لا تغشني بقهر في تكليف التكلُّف ألاّ أنسى ومن حقي أن انسى أو أتناسى «لا ترهقني من أمري» تعلماً في هذه الرحلة العسيرة «عسراً» على عسرها، فان لم اصبر أنا ولن.. فاصبر أنت إذاً، ولكي نُنهي أمرنا على إمره، فلا تزد إمراً على إمرٍ وعسراً على عسر! والتكليف في عسر مرفوض في ظاهر الشرع فـ «لا ترهقني من أمري عسراً»!

و « امري » يشمل أمري النسيان والرحلة المدرسية ، فلا تندد بي إذ نسيت ولا تترك تعليمي بعدما نسيت .

نرى هنالك اجتمعت المشيئتان التكوينية والتشريعية التي تبنتها أن لم يصبر على أمره الإمر ، وينهاه موسى عن موآخذته بما نسي وإرهاقه من أمره النسيان والتعليم عسراً ، ولو كان نسيانه محظوراً لكانت الموآخذة عليه حقاً في ظاهر الشرع ،فلماذا ينهاه موسى عن موآخذة وارهاق وليس لينهى إلاّ حسب الشرع ، كما لم يصبر حسب الشرع !

وترى « اخرقتها لتغرق . . » لم تكن فرية على الخضر وحكماً على أمره بإمره ، ومجال الإحتمال لخلية أمره واقع حيث التنبيه المسبق « إنك لن تستطيع معي صبراً . . ولا تسألن . . » ؟

الجواب انه سؤال استفهام وليس حكماً ، ولم تكن المؤآخذة « ألم اقل . . » إلاّ على سؤاله لا فريته ، و « لقد جئت شيئاً إمراً » حكم على فرض عدم الجواب المقنع ، او حكم بظاهر الشرع دون باطنه فلا محظور فيه ، وقد أعذره الخضر !

﴿ فانطلقا حتى اذا لقيا غلاماً فقتله قال اقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً ﴾(٧٤) .

« فانطلقا » إنطلاقة ثانية في مواصلة الرحلة المدرسية ، انطلق موسى تخلياً وتخلصا عن وثاق الوعد : النسيان الإعتراض في سؤال التنديد ، وانطلق الخضر عن المؤاخذة بما نسي موسى (عليه السلام) إرهاقه العسر « حتى إذا » وقعا في وثاق ثان « لقيا غلاماً فقتله » : قتله فور لقاءه دون حوار ، وحسب الظاهر دون معرفة مسبقة عن حاله ، وهذا أمرّ وأدهى من خرق السفينة[1] فانه يخلّف الغرق وقد يمنعه مانع من سدّ

(١) الدر المنثور في حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن القصة ثم خرجا =

الخرق كما فعل ، ولكنما القتل واقع لا يجبر بشيء ، فانبرى موسى نبرة أشد من الأولى ناسياً وعده هنا وكان أحرى إذ يرى نكراً بعدما رأى إمراً « قال اقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً ».

ترى وكيف عرف ان الغلام نفس زكية ، أو أن قتله كان بغير نفس ؟ أكانت زكية حيث الغلام لائح في غير البالغ ، وهو نفسٌ زكية على أية حال حيث كونه مرفوع القلم حتى وان قتل نفساً فالدية اذاً على العاقلة دونه .

ولكن فرض الدية على العاقلة لا يجعل القاتل غير البالغ زكياً وغير قاتل ، وان لم يجز قتله حيث القلم عنه مرفوع !

أو أنه كان بالغاً والغلام من بلغ حدّ الغلومة والشبق بالغاً وسواه ، وقد نتبلّغ بلوغه هنا من«بغير نفس » اللائح في تجويز قتله بنفس ، ومن ثم الجواب في تجويز قتله بكفره المرهق « فخشينا ان يرهقهما طغياناً وكفراً » والكفر المرهق الطاغي مما يفرض القتل فانه فتنة وفساد كبير« والفتنة اكبر من القتل » فانها قتل لنفوس مؤمنة لايمانها !

وكيف عرف موسى انه نفس زكية دون معرفة عنه مسبقة ، وانه لم يقتل نفساً او لم يأت بما يهدر دمه ؟ علّه لانها كانت لقياه الاولى ، والأصل في كل نفس كونها زكية غير كافرة ، وانها لم تقتل نفساً ، أو انها زكية عن قتل الغير ان كانت اللقيا في ارض كافرة ، فـ « بغير نفس » تاكيدٌ لكونها زكية ، وأصل البراءة حكمٌ من ظاهر الشرع يحكم بهذه وتلك ، إلّا ما خرج بدليل ، ولا دليل على خلافه حاضراً في هذه اللقيا ، وموسى (عليه السلام) رسول وامام يحكم بظاهر الشرع : « لقد جئت شيئاً نكراً » : يستنكره كل عارف بموقفه !.

= من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل اذا ابصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان فاخذ الخضر رأسه بيده فاقتلعه بيده فقتله فقال له موسى . . . وهذه اشد من الاولى . .

او ان حكمه لم يكن بتاً حيث احتمال البراءة قائم ، فانما حكم شرط كونها « نفساً زكية بغير نفس » و اذاً « لقد جئت شيئاً نكراً » .

ولماذا يذكر موسى مسوغاً واحداً للقتل « بغير نفس » ان قتل النفس إنما يجوز بنفس ؟ علّه لانه المسوغ الأصل لقتل النفس قصاصاً ثم يلحقه غيره من فساد في الأرض ام ماذا « من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً » (٥ : ٣٢) نقلاً قرآنياً عن ذلك الحكم في التوراة !

او ان « زكية » تلمح الى سبب عام في هدر الدم ، انها كافرة بارتداد امّاذا ، ام مفسدة في الارض ؟ وقد أجمل عن أسباب أُخرى كهذه حيث الغلام بعيدٌ عنه أفسادٌ على غُلمته !

فاذا كانت المرحلة الاولى من هذه الرحلة خرق السفينة واحتمال غرق من فيها ، ففي الثانية « قتل نفس زكية بغير نفس » امرٌ نكر لا يستطيع موسى أن يصبر عليه ، فقد يستنكر هنا دونما نسيان ، وكما لم يعتذر كالاولى « بما نسيت » وانما « ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني . . » دونما تأول سبب يعتذره ـ

هنا ـ وبعد هذا السؤال العضال ـ يردد المعلم تنديده الأديب .

﴿ قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبراً ﴾(٧٥) .

كما مضى دون زيادة إلّا « لك » اقل لك موسى الرسول كليم الله متابعي في هذه الرحلة ، لك لا سواك ، لك مرتين : قبل الرحلة وعند الخطوة الاولى « انك لن . . » كمستحيل عليك ان تستطيع معي صبراً ، حيث « وكلتُ بامر لا تطيقه ووكلتَ بامر لا اطيقه » فكما لا تطيق أنت معي صبراً بحكم الشرعة الظاهرة ، كذلك أنا لا أطيق على سؤالك صبراً بحكم الشرعة الباطنة !

ولو كانت لهذا المعلم ولاية مطلقة إلهية على ذلك المتعلم كان عليه التسليم المطلق ، ولكنما الولاية المطلقة هناك انما كانت لموسى (عليه السلام) على خضر (عليه السلام) وهو من أمته ، فكيف يستلم له في رحلته وان كان وعده متابعته واتباعه ، ولكنه استثناها بمشيئة الله في بعديها ، وهذه تختلف في بعد المشيئة التشريعية عن المتابعة المطلقة لمن له الولاية المطلقة كأنبياء الله وأضرابهم ، والبعد التكويني في استثناء المشيئة كائن اياً كان ولاي كان وكما الرسول « ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلّا أن يشاء الله ».

لذلك لا يستسلم موسى أمام الخضر إلّا على ضوء ظاهر الشرعة الإلهية مهما بلغ في رحلته من رَهَق الصعوبة او الحرمان .

﴿ قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً ﴾[٧٦].

إن المرة الثالثة بعد الأولى والثانية هي آخر المرات وليست آخر الخطوات ، ولكنك لا تحملني وأنا لا أحملك لاختلاف المعيارين ، فـ « إن سألتك عن شيء بعدها » وأحاول ألّا اسأل « إن شاء الله » ـ «فلا تصاحبني » استمراراً في هذه الرحلة فـ « قد بلغت » إذاً « من لدني عذراً » حيث أعذرك في ترك الصحبة إذ لا تتحمل سؤالي قبل ان تحدث لي جواباً ، ولكنني اتحملك في تأجيل الجواب مهما لا اتحملك عن تعجيل السؤال ، والفرق لائح من « قد بلغت من لدني » دون « قد بلغت عذراً من لدني ولدنك»!فحيّاه إلى المشهد الثالث والاخير .

﴿ فانطلقا حتى أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقضّ فأقامه قال لو شئت لاتخذت عليه أجراً ﴾[٧٧].

خطوة ثالثة وهي الاخيرة من تلك الرحلة المدرسية هي اخف وطأة من

سابقتيها فانها في ظاهر الحال خلاف العقل وليس محرماً شرعياً ام يخف !

« فانطلقا » كلٌ من وثاقه « حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها» الأهل الثاني علّهم الاهل من أهلها : من فيه الأهلية ان يُستطعم ، أترى كيف يجوز عليهما الإستطعام ؟ أسؤالاً وهو حرام إلا عند الضرورة المدقعة بُقية على حياة ولم تكن حيث أقام الجدار ! ام استضيافاً كما « فابوا أن يضيفوهما » ؟ فكذلك الأمر وان كان أهين .

علّه كان جوعاً لحد الحرج حيث لا يسطعان مواصلة الرحلة الواجبة ، والإستضياف عنده ، وممن يُؤهل للإضافة هو في حدّ الوجوب ، ام لاقل تقدير يجوز ، ثم وليظهر لهم لؤمهم ، فتظهر اقامة الجدار دون طلب لأجر أكثر واظهر عجاباً لموسى فتكتمل الرحلة بذلك الأمر الإمر العُجاب ، وليخجلوا لما رأوا إقامة الجدار دون بغية الأجر ، امّاذا من حِكم مجوزة او موجبة لاستضيافهما .

وما الأمهم حيث « أبوا أن يضيفوهما » وقد يروى أنهم لما سمعوانزول هذه الآية استحيوا وجاءوا الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بجمل من الذهب وقالوا يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : نشتري بهذا الذهب ان تجعل الباء في « أبوا » تاءً : « أتوا » ليندفع عنا هذا اللؤم ؟ فامتنع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . .[1].

اترى بعد هذه اللئامة اللعينة والإهانة المهينة يستحق أهل هذه القرية كرامة مُتعبة مجانة وعلى رهق الجوعة المهلكة ؟ ولكن « فوجدا فيها جداراً

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٢١ ص ١٥٧ : رأيت في كتب الحكايات . . .
وفي رواية ابن بابويه والقمي ان هذه القرية هي الناصرة التي تنسب الى النصارى ، وفي بعضها أن الارض كانت آذربيجان والقرية باجر وكان اهلها لئاماً وعن القرظي أنها طنجة .

يريد أن ينقض فـأقـامـه » على وعثاءِ السفر وشقوة الجوع ولئامة أهلها « فأقامه » الخضر ، وطبعاً لا يسـاعـده موسى حيث السؤال الفادح : « قال لو شئت لاتخذت عليه أجراً » و « لو » هنا تلمح الى حالة من الجوع والنصب يُرثى لها وتُحيل اي عمل فضلاً عن إقامة الجدار ، فـ « لو شئت » عملاً كمستحيل تحميلاً على نفسك لاتخذت قبله عليه أجراً .

جدار يريد أن ينقض ، وكيف يريد الجدار ولا إرادة للجماد ، إلّا تصويراً لمقارفة الإنتقاض ، حيث ظهرت فيه إماراته من ميل بعد ثبات واضطراب بعد انتصاب !

وترى ان الخضر استأذن صاحب الجدار فأقامه ؟ و « كان لغلامين يتيمين في المـدينـة » إنه اقامه بولاية شرعية ، ولكنه مجهول لدى موسى فيعترض « لو شئت . . » . وترى « لاتخذت عليه أجراً » بعدما أقامه ؟ وليس لغير الاجير أجر ، بل وعلّه عليه وزر تصرفاً في مال الغير بدون إذنه ! طبعاً قبل ما أقامه عليه أن يستأذن أهله على اجر ، حيث الضرورة قائمة هناك على أخذ الأجر ، مما يفرض عرض الإنسان نفسه لعمل باجر بُقية على حياة وتداوماً في تلك الرحلة الواجبة .

فحسب الظاهر ليس هذا الموقف موقف الترحم على هؤلاء اللئام ، فليرحم نفسه وصاحبه بأخذ الاجر ، فتركه خلاف العقل ولا يسمحه الشرع ! .

﴿ **قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبراً** ﴾[٧٨] .

فراقٌ حسب الشرط « فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً » وقد تعلم منه مما علّمه رشداً ، وقد تبين الرشد في كليهما معلماً ومتعلماً بكل احترام دون اختزام .

في الخطوة الاولى والثانية اعتذرت فأعذرتُك وللثالثة أعذرتُ دون اعتذار فـ « هذا » السؤال دون إعذار « فراق بيني وبينك» كما اتفقنا « سأنبئك » كما وعدتك : « حتى أحدث . . » بتأويل ماخذ ومرجع «ما لم تستطع عليه صبراً » !

فراقَ حنون بعد وفاق حَنون وكلّ خطى خطواته كما علّم ، وقد حصل ما قصد كأن يعلم موسى أنَ في أمته من هو أعلم منه في علم الباطن ، مهما كان هو أعلم منـه في علم الظاهر ، فـ « فوق كل ذي علم عليم» اللّهم إلاّ علاّم الغيوب ، فلا يزعمنّ أحد أنه أعلم الخلق أجمعين وإن كان كموسى الرسول ، فضلاً عمن سواه ،حيث العطيات موزّعات بعلم العليم الحكيم حسب القابليات !

﴿ أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملِكٌ ياخذ كل سفينة غصباً ﴾(٧٩).

أراد الله أن تبقى السفينة لمساكينها ، ولو شاء لحقق ما يشاء بصرف امّاذا من خارقة . ولكنه شاءه بفعل من غيره غير خارق : « فأردت أن أعيبها » اردته تحقيقاً لمشيئة تشريعية ، واخرى تأييدة تكوينية إلهية كما في كافة الواجبات .

لم يقل أردنا حيث لم يشاركه موسى ، ولا أراد الله حيث لم يرد الله الإعابة بفعله خارقة ، وإنما اراد تعالى اصلاحها بما أعابها الخضر ، فالإعابة فعله بسماح شرعي ، والإصلاح فعل الله بسماح تكويني .

« وكان وراءهم ملِك » : ملِكٌ وراءَ المساكين يلاحقهم اياً كانوا « ياخذ كل سفينة غصباً » فليست الوراء هنا وراء الخَلف ،(١)وانما وراء التخلّف

---

(١) الدر المنثور ٤ : ٢٣٧ ـ اخرج سعيد بن منصور وابن جرير وابن ابي حاتم والحاكم =

والملاحقة من أية جهة كانت و « كل سفينة » تعني من مساكين وسواهم حيث هي صالحة للإستثمار ، فلتكن صالحة غير معيبة ، « فاردت أن أعيبها » في الظاهر لأصلح أصلها لكيلا تغتصب .

على الملوك أن يكونوا وراء الشعوب ولا سيما المساكين خدمة لهم وإصلاحاً ، وهذا الملك كان وراءهم خيانة وإفساداً « ياخذ كل سفينة غصباً » فلأنني أحطت بذلك خبراً أعبتها للحفاظ على أصلها ، ثم الحفاظ على أهلها عن غرقها حاصل بما سددنا ثغرتها .

بهذا العيب الصغير نجت السفينة عن الضرر الكبير الذي يكنه الغيب إن لم يكن لها عيب ، ولتكن هذه سنة للحفاظ على الأصلح وكما عاب الإمام الصادق (عليه السلام) زرارة في ظهر الغيب حفاظاً على نفسه، وبهذا المعنى الغاية تبرر الوسيلة ، فإعابة السفينة محرمة لولا هذه الغاية ، دون أن تتبرر كل وسيلة بكل غاية ، وإنما الغاية الأهم بوسيلة دون الأهم ، فغاية توطيد اركان الخلافة بواسطة تثبيت معاوية ردحاً من الزمن لا تتبرر ، حيث الخلافة العادلة لا ترتضي ظلماً يتبناها او يوطدّها ، وابقاء معاوية ابقاء للظلم ريثما يثبت العدل ثم يزيل معاويةَ الظلم ، ومن ذا الذي يضمن بقاء الإمام في هذه الفترة حتى يعزل معاوية ، ومن ذا يضمن إمكانية عزله إن

= وصححه وابن مردويه عن ابن عباس ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يقرأ « وكان امامهم ملك ياخذ كل سفينة صالحة غصباً » .

اقول : اما « صالحة » فهي تفسير بيان للسفينة ، واما « امامهم » فقد يعني « بين ايديهم » دون ان يكون « امامهم » بدل « وراءهم » و « صالحة » محذوفة عن القرآن ، حيث تطارده احاديث العرض ولا نصدق الا كتب القرآن المتواتر والمجمع عليه طوال القرون الاسلامية !

ويشهد لذلك ما رواه العياشي عن حريز عن ابي عبد الله (عليه السلام) انه كان يقرء « وكان وراءهم ملك » يعني امامهم « ياخذ كل سفينة صالحة غصباً » .

بقي الإمام وهو يقوى كما الإمام يقوى ، حيث هما في سبيلهما إلى الاستبقاء !

فهنا نرى ان في امهال معاوية الطاغية رعاية لاستحكام حكم علوي مجهول ، وابقاء لاستمرار واستحكمام ظلم الطاغية وهو معلوم ، بيد ان غاية العدل لا يبررها اي ظلم !

فليست « الغاية تبرر الوسيلة » ضابطة صالحة لا تستثنى، ولا حابطة طالحة لا تصلح ، وانما الضوابط الشرعية الاخرى هي التي قد تبرر وقد لا تبرر، كما بررت في خرق السفينة ، دون إمهال معاوية ! .

اذاً فكل ما دون قتل النفس من المحرمات تتبرر كمقدمات للحفاظ على النفس ، كأن تغتاب اخاك او تفتري عليه او تهتكه وتضربه أمّاذا حفاظاً على نفسه ، وكلما هو فوق القتل كضياع الشرع أماذا لا تتبرر للحفاظ على النفس ، وهذه الفوقية والتحتية مستفادة من الشرع ، فاذا كانا على سواء فعلى سواء ، ضابطة عامة في تقديم الأهم على المهم !

هنالك شروط عدة في تبرير الغاية الوسيلة ، من كونها أهم من الوسيلة كما في زرارة والسفينة ، وكون الغاية الاهم قطعية كالوسيلة ، فان كانت هي محتملة والوسيلة قطعية فلا تبرر ، إلّا فيما المحتملة ايضاً أهم من تلك الوسيلة ، كمظنة حفظ النفس او احتماله حيث تبرر وسيلة خفيفة كضرب او شتم او اغتياب امّاذا ؟

وان تتوارد الغاية والوسيلة على فرد او جماعة ، كأن تظلم فرداً او جماعة بظلم لئلا يظلم باكثر منه كما في السفينة ، فأما ان تظلم فلاناً ليسلم غيره من ظلم وان اكثر منه فلا كما في إبقاء معاوية تُظلم الجماعة المؤمنة في فترة بقاء معاوية لسدّ ظلم اكثر منه ـ ولا اكثر منه ! ـ في مستقبل مجهول وعن جماعة غير معلومة ، علّ فيها من هؤلاء ـ لا كلهم ـ وعلّهم ليسوا فيها ! .

لا نسطع في هذا المجال الخاصر الحاصر ان نستعرض كل المعارضات بين الوسائل والغايات من الفقه كله، فنحشر الفقه لنحشركم على حافة من المسرح العام ، فليتبع وفي كلّ ضابطته علماً بان الغاية ليست لتبرر الوسيلة كضابطة عامة ، فقد تبرر بضابطة وقد لا تبرر بضابطة ، فليست هي إذا ضابطة وانما السلب والايجاب لتبريريها حسب الضوابط المقررة في مجالاتها .

ومن أهم السياسات الحفاظية على الصالحين كسرهم عند من يريد كسحهم حتى لا يبيدهم وكما فعل الامام الصادق (عليه السلام) بزرارة معتذراً إليه في تعييبه اياه موضحاً له موقفه قائلاً له « يرحمك الله فانك والله أحب الناس إلي وأحب أصحاب ابي إلي حياً وميتاً فإنك أفضل سفن ذلك البحر القمقام وإن من ورائك ملكاً ظلوماً غصوباً يرقب عبور كل سفينة صالحة ترد من بحر الهدى ليغصبها وأهلها فرحمة الله عليك حياً وميتاً ورحمته ورضوانه عليك ميتاً[1] .

وفي دوران الامر بين المهم والاهم لا بد من تشخيص ذلك من اجتهاد او تقليد كما يصح : دون الهوسات والتصورات السطحية الخاطئة ، حيث

(١) نور الثقلين ٣ : ٢٨٥ ح ١٦٣ في كتاب تلخيص الاقوال في تحقيق احوال الرجال في ترجمة زرارة ابن اعين روى في الصحيح ان ابا عبد الله (عليه السلام) ارسل اليه انما اعيبك دفاعاً مني عنك ! فان الناس والعدو يسارعون الى كل من قربناه وحمدنا مكانه لادخال الاذى فيمن نحبه ونقربه ويذمونه لمحبتنا له وقربه ودنوه منا ويرون ادخال الاذى عليه وقتله ويحمدون كل من عباه فانما اعيبك لانك رجل اشتهرت بنا وتميلك الينا وانت في ذلك مذموم عند الناس فيكون ذلك دافع شرهم عنك لقول الله عز وجل « واما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاردت ان اعيبها وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة غصباً » هذا الرسل من عند الله صالحة ، والله ما عابها الا لكي تسلم من الملك ، فانهم المثل يرحمك الله فانك والله احب الناس اليّ واصحاب ابي الي حياً وميتاً فانك أفضل سفن ذلك البحر القمقام وان من ورائك ملكاً ظلوماً غضوباً يرقب عبور كل سفينة .

تورّط الى طامة كبرى لا علاج لها ام يصعب .

فـ « الغاية تبرر الوسيلة » ليست ضابطة فقهية عامة ، حتى تلعب بها العامة كما تستعملها الخاصة ، وحتى اذا كانت ضابطة فلا تنضبط في التحقيق والتطبيق إلاّ عند أهلها الخاصة ، ولكنها كما نبهنا ليست آية من كتاب أم رواية من سنة ، بل هي حسب المظاهر المواتية للواقع ، ضابطة سياسية يبرر بها الساسة دسائسهم الجهنمية ، وكما نجدها في الأصل عند الصهيونية العالمية ، حيث أوصلوها الى حدّ إقحام آيات في التورات وتحريف آيات أخرى امّاذا من اقتحامات ضالة مضلة .

ثم على ضوء الفقه الاسلامي السامي نصلح هذه الضابطة غير الضابطة بحيث تصلح في العناوين الثانوية حسب الضوابط الاسلامية القاطعة .

﴿ وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً[٨٠]فاردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً ﴾[٨١] .

هنا يبرر الخضر قتل الغلام بفساده كفراً وإفساده أن يرهق أبويه المؤمنين طغياناً وكفرا، « والفتنة اكبر من القتل » والإفساد في الارض من مبررات القتل « وكتبنا فيها أن من قتل نفساً بغير نفس او فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً » (٥ : ٣٢) .

« انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتّلوا او يُصلّبواو . . »(٥ : ٣٣)وإرهاق الابوين المؤمنين طغياناً وكفراً ـ وهما يستحقان رحمة اكثر ممن سواهما ـ انه من أبرز الإفساد والسعي فيه .

فكون الغلام حينذاك كافراً دليل كونه مكلفاً ![١]وكون ابويه مؤمنين

---

(١) الدر المنثور ٤ : ٢٣٦ ـ اخرج ابن ابي حاتم عن سعيد بن عبد العزيز في قوله : =

يجعله مرتداً فطرياً يستحق القتل ولا يستتاب وإن تاب لم تقبل ! فخشيـة ارهاقه اياهما طغياناً وكفـراً يهدّر دمه ثانياً بعد تهدره بارتداده ! وارادة ابدالهما ربهما خيراً منه زكاة واقرب رحما ، زاوية ثالثة تفرض قتله ! فحتى لو كان غير بالغ لكان يحق القتل دفعاً للإفساد المحتوم .

فهذا الغلام الذي لا يبدو في ظاهره وحاضره انه مستحق القتل ، إذا هو في متن الغيب كافرٌ طاغ يخشى ان يرهق ابويه طغياناً وكفراً .

وترى لماذا هنا « خشينا . . فاردنا » وهنالك « أردت أن أعيبها » لان إرادة الاعابة لم تكن إلّا منه دون موسى حيث ندّد بها ! وحتى إذا عرف موسى جوازها فلا حاجة في الإعابة إلا ارادة واعابة واحدة ، واما الخشية من الإرهاق ، فهي كائنة للخضر ومقدرة لموسى وعلى كل مؤمن بالله أن يخشى الارهاق ، مهما كان دفع الخشية بالقتل يكفيه واحدٌ ، وبعد العلم والخشية

= لقيا غلاماً قال كان غلاماً ابن عشرين سنة فيه ـ اخرج مسلم وابو داود والترمذي وعبد الله بن احمد في زوائد المسند وابن مردويه عن ابي بن كعب عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافراً ولو ادرك لأرهق ابويه طغياناً وكفراً وروى مثله عن ابن عباس عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) إلّا ذيله ، اقول : قد يعني « طبع كافراً » انه منذ ان بلغ طبع نفسه كافراً فان الله لا يطبع أحداً على الكفر فكل مولود يولد على الفطرة ، ثم « ولو ادرك » يؤول الى ادراكه ابويه على كفره ارهاقاً لهما كفراً .

وفي نور الثقلين ٣ : ٢٨٥ ح ١٦٤ في مجمع البيان روى عن ابي عبد الله (عليه السلام) « اما الغلام فكان كافراً وابواه مؤمنين ـ اقول : وهذا تفسير وليس نقلاً لاصل الآية .

وفيه (١٦٧) عن اسحاق بن عمار عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال : سمعته يقول : بينما العالم يمشي مع موسى اذ هم بغلام يلعب قال : فوكزه العالم فقتله قال له موسى « اقتلت . . » قال : فادخل العالم يده فاقتلع كتفه فاذا عليه مكتوب « كافر مطبوع » .

تأتي الارادة « ان يبدلهما ربهما خيراً . . ».

يا موسى لست أنا الوحيد في هذا الميدان ، فأنت معي وكل مؤمن بالله أن نخشى ما أخشاه ونريد ما أريده بعد العلم بموقف الغلام وأبويه المؤمنين ، وأما إرادة الإعابة فيكفيها واحد ثم لا يريد سائر من يعرف الواقع إلّا الحفاظ على سفينة المساكين باية طريقة ممكنة ، دون ضرورة ايمانية في ارادة جماهيرية للإعابة !

وترى إن خشية الإرهاق طغياناً وكفراً وهي دون العلم كيف تبرر القتل ولا علم ولا ارهاق حينذاك ؟

هنالك المبرر لقتل الغلام يكفي كونه مرتداً فطرياً وفي حالة الإفساد ولمّا يرهق ابويه ، ثم الخشية لا تنافي العلم الحاضر الظاهر ، حيث الواقع قد يتخلف عما تعلم ، فالصيغة الأدبية عن العلم الظاهر فيما لا يجوز هي الخشية ، خوفاً ان يستقبل خلاف ما يعلمه حاضراً ، فلم يكن ـ اذاً ـ قتل الغلام قصاصاً قبل الجناية ، حيث الإرتداد الفطري هو جنايته الحاضرة ، اضافة الى خشية الإرهاق حيث تلمح الى حاضر السعي في الإفساد ، ولكي يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة واقرب رحماً .

اترى ان الغلام كان خيراً وقريب الرحم حتى يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً ؟ كلّا فلا خير في هذا الكافر ولا رُحم لأبويه ، وإنما الافضلية في « خيراً واقرب » مجاراة ظاهرة في خير الغلام ورُحمه .

وهل إن « طغياناً وكفراً » مفعولان لـ « يرهقهما » ان يغشيهما بقهر طغياناً وكفراً ، ليطغيا ويكفرا ؟ ام حالان لـ « يرهقها » ارهاقاً لهما حالة الكفر والطغيان ؟

قد يعنيهما المنصوبان حالين حال كونهما مفعولين حيث يتحملهما أدب اللفظ وجمال المعنى ، فالمرهق حالة الطغيان والكفر يرهق الى حالة الطغيان

والكفر دون زكاة منه ولأرحم اكثر مما في غير حالته .

ولقد سلبت « خشينا » بقتله وتحققت « أردنا » حيث أبدلهما ربهما خيراً منه زكاة : طهارةً وايماناً في نفسه ، واقرب رُحماً : رحمة لابويه[١].

مثلث من موجبات القتل يسبب قتل هذا الغلام الكافر وزاوية منه كافية ومثلث آخر هي من موجبات الرحمة يفرض إقامة الجدار دون اجر:

﴿ واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنزٌ لهما وكان أبوهما صالحاً فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً ﴾[٨٢].

.. جدار هو ليتيمين في المدينة يريد أن ينقض ، تجب إقامته مجاناً على ولي اليتيم والخضر من أفضل الاولياء « وكان تحته كنز لهما » يجب الحفاظ عليه باقامة الجدار مجاناً ، « وكان أبوهما صالحاً » ويُكرَم الرجل في ولده ، فتجب اقامة الجدار اكراماً لوالديه المؤمنين مجاناً ، زوايا ثلاث من فرض إقامة الجدار لا أجر فيها مادياً وكما قال الله « ومَن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فلياكل بالمعروف » (٤ : ٦) ولم يكن موسى والخضر فقيرين رغم حاجتهما الحاضرة المفقرة ، ولو كانا فقيرين فكيف يأكلان هنا بالمعروف ولا مال لليتيمين إلّا الكنز[٢] الواجب حفظه حتى «يبلغا اشدهما ويستخرجا

---

(١) في تفسير القمي عن عثمان عن رجل عن ابي عبد الله (عليه السلام) في الآية إنه وُلدت له جارية فولدت غلاماً فكان نبياً وفي اكثر الروايات انها ولد منه سبعون نبياً .

(٢) في بعض الروايات ان الكنز كان لوحاً من ذهب مكتوباً فيه مواعظ ، وفي الاب الصالح انه ابوهما الاقرب او السابع او العاشر او بينهما سبعون اباً او سبعمائة سنة .

وفي الدر المنثور ٤ : ٢٣٥ ـ اخرج ابن مردويه عن علي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في قوله : وكان تحته كنز لهما ـ قال : لوح من ذهب مكتوب فيه : شهدت ان لا اله الا الله شهدت ان محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) رسول الله عجبت لمن ايقن بالقدر كيف يحزن عجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح عجبت لمن تفكر في تقلب الليل =

كنزهما » وحتى إذا كان لهما مالٌ سوى كنزهما فالفقر المجوز لاكل الولي هو الناتج عن ولايته عملياً ، ولولاها لما افتقر ثم ولولا اقامة الجدار لم يكن هنا شغل له أجرٌ ! والرحمة الربانية تقتضي الاّ يؤخذ من مال اليتيم ، وليس « فليأكل بالمعروف » للولي الفقير إلاّ سماحاً حالة الضرورة لا فرضاً ، فترك الأكل « رحمة من ربك » كما إقامة الجدار حفاظاً عليه وعلى الكنز رحمة من ربك ، والإطلاع على واقع الأمر رحمة من ربك « وما فعلته من أمري» فكل ذلك كان بأمر من ربك ، يرى موسى في الخطوة الاولى إمراً وفي الثانية نكراً ، هما في الظاهر من أشد القساوة ، ثم يرى في الثالثة رحمة زائدة لحد لا يبررها موسى الرسول وهو رسول الرحمة ، كتضاد في خُلُق الخضر يشبه طرفي النقيض ، فكان لموسى موقفاً حرجاً لن يستطيع معه صبراً !

ولماذا « فاراد ربك ورحمة من ربك » ولم يقم الجدار إلاّ الخضر ، لا موسى ولا ربه ؟ اما الارادة فلم تكن إلاّ من ربك فان بلوغهما الأشد من إرادة ربك ، وكذلك الرحمة هنا في كل زواياها ليست إلاّ من ربك .

= والنهار ويأمن فجأتهما حالاً فحالاً !

وفي تفسير العياشي عن اسحاق بن عمار قال سمعت ابا عبد الله (عليه السلام) يقول : ان الله ليصلح بصلاح الرجل المؤمن ولده وولد ولده ويحفظه في دويرته ودويرات حوله فلا يزالون في حفظ الله لكرامته على الله ثم ذكر الغلامين فقال « وكان ابوهما صالحاً » الم تر ان الله شكر صلاح ابويهما لهما .

وفيه عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عن آبائه (عليهما السلام) ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : ان الله ليخلف العبد الصالح بعد موته في اهله وماله وان كان اهله اهل سوء ثم قرء هذه الآية « وكان ابوهما صالحاً » .

وفي الدر المنثور اخرج ابن مردويه عن جابر قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ان الله يصلح بصلاح الرجل الصالح ولده وولد ولده واهل دويرات حوله فما يزالون في حفظ الله ما دام فيهم .

اعلاماً له أن تحته كنز لهما ، وامراً باقامته حفظاً لكنزهما ، وترك الأجر وجوباً في شرعة الله كأجر ، وأكلاً دون اجر رحمة وفضلاً !

ثم و « ربك » تعني التربية التشريعية وليس رسولها المبلغ لها إلاّ موسى ، والتربية التكوينية وموسى هو امام الخضر فيما اخذ منها ، فهذه حرمة وحسن ادب من الخضر الى موسى ان « اراد ربك . . رحمة من ربك » فانما انا الخضر ماشٍ على ضوء التربية الإلهية المتمثلة فيك كإمام ، المتحققة عملياً بيدي كمأموم ، وان كنت لم تدره حيث الشرعة ظاهرة وتلك من الغيب ، كما لم اكن ادريه لولا رسالتك بالشرعة الظاهرة « ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً » !

وقد نرى الافعال المنسوبة الى فاعليها كلها في محالّها ، فإرادة الاعابة بفعلها هي من الخضر ، لا وموسى ولا ان الله أرادها تكويناً إلا كما يريد فعل كل مختار ، وخشية الإرهاق هي شريطة الايمان لكل مطلع على ضمير الغيب ولكنما الله لا يخشى ، وارادة إبدالهما خيراً تتبع قتله وخشيتهما ، وما اراد الله الابدال الا في ظرف هذه الإرادة ، والإبدال فعل من الله دون سواه ، كما وارادة بلوغهما أشدهما ليست إلاّ من الله . .

« وما فعلته » كل ذلك « عن امري » وإنما عن أمر ربك ، فمهما غاب عنك الموضوع فالحكم نازل عليك رسولاً إلي وامامأً علي فانا على ضوء شرعتك ، فبامر من ربك فعلت ما فعلت : « ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً »!

في هذه المسارح الثلاثة كانت معارضة بين الحكم الظاهر والباطن باختلاف ظاهر الموضوع وباطنه ، وقد طبق كلٌ من موسى وخضر واجبه ، وترجي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيما يروى عنه « يرحم الله

موسى وددنا انه لو صبر حتى يقصَّ علينا من حديثهما » يضرب الى عمق الغيب دون تنديد بموسى (عليه السلام) كما وهو (صلى الله عليه وآله وسلم) يحيله بـ « لو » وكما ان « علينا » قد تعني غيره (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث جمع ، وقد اوتي (صلى الله عليه وآله وسلم) ما اوتي كل من يعلم ظاهراً او باطناً في الطول التاريخي والعرض الجغرافي وكل خليقة اياً كان وايان !

وقد أعذر الإمام الحسن نفسه في صلحه مع معاوية في قوله (عليه السلام) : « إذا كنت إماماً من قبل الله تعالى ذكره لم يجب ان يسفَّه رأيي فيما أتيته من مهادنة او محاربة ، وإن كان وجه الحكمة فيما اتيته ملتبساً ، ألا ترى إلى الخضر (عليه السلام) لما خرق السفينة وقتل الغلام واقام الجدار سخط موسى (عليه السلام) فعله لاشتباه وجه الحكمة عليه حتى أخبره فرضي ، هكذا أنا سخطتم علي بجهلكم بوجه الحكمة فيه ولولا ما اتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحد إلاّ قتل »[1].

وانتم أدنى من موسى وكان يحق له السؤال لولايته على خضر ، وانا أعلى من خضر وموسى ، ولي الولاية عليكم فما كان يحق لكم سؤالي سخطاً وتنديدا ! . .

---

(١) نور الثقلين ٣ : ٢٩ ج ١٩٢ في كتاب علل الشرايع باسناده الى ابي سعيد عقيصا قال قلت للحسن ابن علي بن ابي طالب (عليه السلام) يا بن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ! لم هادنت معاوية وصالحته وقد علمت ان الحق لك دونه وان معاوية ضال باغ ؟ فقال : يا ابا سعيد ! الست حجة الله تعالى ذكره على خلقه واماماً عليهم بعد ابي (عليه السلام) قلت : بلى ـ قال : الست الذي قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لي ولاخي الحسين : امامان قاما او قعدا ؟ قلت: بلى ـ قال : انا فإذا امام لو قمت وانا امام اذا قعدت ، يا ابا سعيد علة مصالحتي لمعاوية علة مصالحة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لبني ضمرة ، وبني اشجع ولاهل مكة حين انصرف من الحديبية ، اولئك كفار بالتنزيل ومعاوية واصحابه كفار بالتأويل ، يا ابا سعيد اذا كنت اماماً من قبل الله تعالى ذكره لم يجب ان يسفه رأيي فيما اتيته . . » .

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ
قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ
وَءَاتَيْنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ
إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ
وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ
وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ
نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا
مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ
لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا
بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل
لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا
لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ

ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ
قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ
مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ
بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ
فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى
زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ
حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾
فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾
قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ
وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ * وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ
يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾
وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ

كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ
سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِي
مِن دُونِيٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ
نُزُلًا ﴿١٠٢﴾

﴿ ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكراً ﴾(٨٣).

« ذي القرنين » لم يذكر في سائر القرآن إلاّ هنا جواباً عن سؤال ، فهل كان نبيّاً ؟ لخصوص « قلنا يا ذا القرنين » خطاباً يلمح أنه وحي ، وعموم « وآتيناه من كل شيء سبباً » ومنه سبب الوحي ؟ ولكنما القول من الله لا يخص وحي النبوة وحتى قول الوحي كما « واوحينا الى ام موسى » فضلاً عن « قلنا » وفي هذه اليتيمة فقط ! ويشاركه فيه غيره « وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية » ولم يكونوا أنبياء ! « وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة » وما كان نبياً حينذاك او « قال يا ابليس » ولن يكون نبياً ! فقد يعني « قلنا يا ذا القرنين» إلهاماً دون وسيط كما في هؤلاء ، ام وحياً بوسيط كما في سائر الوحي إلى الناس أجمعين ! وظاهر القول الخطاب هو الإلهام كما في أم موسى ، وليس في قوله تعالى هنا ما يحمل مادة الوحي النبوة !

والسبب هو ما يتوصل به الى المقصود لا يشمل سبب الوحي والنبوة ، فلا يؤتى النبي سبب النبوة بل نفسها ، فانما سببها عند الله وبيد الله ، ومن ثم لو كان نبياً لكان من أبرز التعريف به تصريحة النبوة ، دون اختصاصه بالقدرات الأرضية ، فلم يك نبياً وكما في احاديثنا[١].

وهل كان ملِكاً ؟ قد يعنيه « إنا مكّنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سبباً » ! ولا يؤتى ملكٌ من كل شيء سبباً ! فقد يكون دون النبي وفوق الملك عبداً صالحاً[٢] قوياً بما آتاه الله ، مؤيداً من عند الله ! كمثل طالوت الملك على ضوء نبوة منفصلة !

ونعرف من الإجابات التالية حول ذي القرنين أن السؤال كان حول أفعاله الخارقة ، دون نبوته او مُلكه او نسبه وبلده ، أم وإذا كان يعم ذلك كله او يخص الثاني كما هو دأب القصصيين فلم يأت الجواب حسب الحكمة إلاّ المفيد المفيد الذي فيه دعوة إلهية وذكرى إيمانية !

---

(١) كما في الدر المنثور ٤ : ٢٤١ اخرج ابن مردوية عن سالم بن ابي الجعد قال سئل علي (عليه السلام) عن ذي القرنين انبي هو ؟ فقال : سمعت نبيكم (عليه السلام) يقول : هو عبد ناصح الله فنصحه .

(٢) الدر المنثور ٤ : ٢٤١ ـ اخرج ابن عبد الحكم في فتوح مصر وابن المنذر وابن ابي حاتم وابو الشيخ في العظمة عن خالد بن معد ان الكلاعى ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سئل عن ذي القرنين فقال ملِك مسح الارض من تحتها بالاسباب وفيه اخرجه مثله الشيرازي في الالقاب عن جبير بن نفير ان احباراً من اليهود قالوا للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حدثنا عن ذي القرنين ان كنت نبياً فقال : . .
وقد تضارب الحديث عن علي (عليه السلام) انه كان نبياً ام لا وقد نفى كونه ملكاً وعله بفتح اللام رداً على من زعمه ملكاً ، وهناك روايات متضاربة اخرى في نفي نبوته واثباتها .

ثم « ويسألونك » يشمل زمن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وإلى اعماق المستقبل ، فلا جواب صالحاً عن ذي القرنين إلّا ما أجاب ، ومهما كان السؤال عنه في العهد الرسولي من اليهود[1] ولكنها العهد الرسالي وهو منذ الرسول الى يوم الدين تشمله « ويسألونك » !

و «ذكراً » هنا يدلنا أنه لا يقص قصص ذي القرنين إلّا طرفاً منها هاماً يذكّرنا موقفه في تمكنه في الأرض ، حيث لم يستخدمه إلّا خِدمةً للناس وطرداً للنسناس الخناس . . و « ذكراً » يعني قرآناً يذكر قدر الواجب الصالح تذكرة .

ولا يستثني هنا بمشيئة الله حيث القائل هو الله ، وإنما الناقل هو رسول الله والله لا يستثني ما يريده بمشيئته اللهم إلّا تعليماً « لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين »!

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

---

(١) المصدر ٢٤٠ ـ اخرج ابن ابي حاتم عن السدي قال قالت اليهود للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : يا محمد ! انما تذكر ابراهيم وموسى وعيسى والنبيين، انك سمعت ذكرهم منا فاخبرنا عن نبي لم يذكره الله في التوراة الا في مكان واحد ، قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : ومن هو ؟ قالوا : ذو القرنين ، قال : ما بلغني عنه شيء فخرجو فرحين وقد غلبوا في انفسهم فلم يبلغوا باب البيت حتى نزل جبرئيل (عليه السلام) بهولاء الأيات « ويسألونك عن ذي القرنين . . » .
وفيه واخرج ابن ابي حاتم عن عمر مولى غفر قال : دخل بعض اهل الكتاب على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فسألوه فقالوا : يا ابا القاسم كيف تقول في رجل كان يسيح في الارض ؟ قال : لا علم لي به ! فبينما هم على ذلك اذ سمعوا نقيضاً في السقف ووجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) غمة الوحي ثم سرى عنه فتلا « ويسألونك عن ذي القرنين الآية فلما ذكر السد قالوا : اتاك خبره يا ابا القاسم حسبك !

ولقد تضاربت الآراء والروايات حول « من هو ذو القرنين هذا » ؟ ولا يهمنا شخصه كما سكت عنه القرآن وإنما شخصيته بذكراه اياً كان وأيان !

قصارى ما يستفاد من إسمه أنه عربي ، وليس من دأب القرآن مسخ الأسماء الأعجمية ، وإنما تغيير مّا قدر ما يجعله وفق الأدب العربي كإبراهيم معرب آبراهام وموسى معرب موشه ، و « ذي القرنين » لا يلمح بسمة غير عربية ، و « ذي » تلمح كأنه من الأذواء اليمنيين وأنه اسمه الخاص أم اشهر أسمائه قضية للغة الفصحى في « بيان للناس »!

فاسمه يدلنا على أنه أحد التبابعة الأذواء اليمنيين من ملوك حمير باليمن وقد تردد ذكره في عديد من أشعار الحميريين وبعض شعراء الجاهلية[1] .

= وفي نور الثقلين : ٢٩٣ ج ١٩٩ في قرب الاسناد للحميري باسناده الى موسى بن جعفر (عليه السلام) حديث طويل يذكر فيه آيات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وفيه : ومن ذلك ان نفراً من اليهود اتوه فقالوا لابي الحسن جدي استأذن لنا على ابن عمك نسأله قال : فدخل عليّ فاعلمه فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : وما يريدون مني ؟ فاني عبد الله لا اعلم الا ما علمني ربي ثم قال : ائذن لهم فدخلوا فقال : اسئلوني عما جئتم له ام انبئكم ؟ قالوا : نبئنا ـ قال : جئتم تسألوني عن ذي القرنين ؟ قالوا : نعم ـ قال : كان غلاماً من اهل الروم ثم ملك وأتى مطلع الشمس ومغربها ثم بنى السد فيها قالوا : نشهد ان هذا كذا وكذا :

(١) ذكر جمع من المؤرخين ان ذا القرنين احد التبابعة الأذواء اليمنين من ملوك حمير باليمن كالاصمعي في تاريخ العرب قبل الاسلام وابن هشام في السيرة والتيجان وابي ريحان البيروني في الآثار الباقية ونشوان بن سعيد الحميري في شمس العلوم ـ واختلفوا في اسمه انه مصعب بن عبد الله او صعب بن ذي المرائد وهو اوّل التبابعة وهو الذي حكم لابراهيم في بئر السبع اوتبع الاقرن واسمه حسان او اسعد الكامل الرابع من =

= التبابعة بن حسان الاقرن ملكي كرب تبع الثاني ابن الملك تبع الاول او اسمه « شمريرعش » :

وقد ورد ذكر ذي القرنين والافتخار به في عدة من اشعار الحميريين وبعض شعراء الجاهلية ففي البداية والنهاية انشد ابن هشام للأعشى :

والصعب ذو القرنين اصبح ثاوياً بالجنو في جدث اشم مقيماً

وانشد عثمان بن ابي الحاضر لابن عباس قول بعض الحميريين .

قد كان ذو القرنين جدي مسلماً ملكاً تدين له الملوك وتحشد
بلغ المشارق والمغارب يبتغي اسباب امر من حكيم مرشد
فرأى مغيب الشمس عند غروبها في عين ذي خلب وثاط حرمد

وفيه يقول النعمان بن بشير :

فمن ذا يعاودنا من الناس معشراً كراماً فذو القرنين منا وحاتم

ويقول فيه الحارثي :

سموا لنا واحداً منكم فنعرفه في الجاهلية لاسم الملك محتملاً
كالتبعين وذي القرنين يقبله اهل الحجى فاحق القول ما قبلا

ويقول ابن ابي ذئب الخزاعي :

منا الذي بالخافقين تغربا واصعد في كل البلاد وصوبا
فقد نال قرن الشمس شرقاً ومغرباً وفي ردم يأجوج بنى ثم نصباً
وذلك ذو القرنين تفخر حمير بعسكر فيل ليس يحصى فيحسب

ولقد حفظت اسماء الأذواء كالملوك الثامنة وهم ثمانية اذواء حيث ناهضوا حمير ايام دولتهم كما يقول شاعرهم :

اين الثمانية الملوك وملكهم ذلوا لصرف الدهر بعد جماح
ذو شعلبان وذو خليل ثم ذو شجر وذو جدن وذو صرواح
او ذو مغار بعد او ذو جوفز ولقد محاذا عشكلان ما حى

ثم سائر الاذواء اكبرهم مرثد وهو جد الناظم قال فيه :

او ذو مراثد جدنا القيل بن ذي شجر ابو الاذواء رحب الساح

ثم يذكر في اشعاره التسعة عشر ٥٣ آخرين من الاذواء كـ : ذونين ـ ذو سفر ـ ذو =

ولأن هذا الإسم وصفي وليس الإسم الخاص فقد يجوز كونه ترجمة عربية عن حالته الخاصة التي تميزه عن غيره بميزة وحيدة ، إضافة الى سائر أفعاله المذكورة في هذه الآيات ، فقد يجوز عدم كونه عربياً كاسكندر الثاني المقدوني المعروف لدى الخاص والعام بذي القرنين ، المنسوب إليه السد لحد صار مثلاً يقال : كسدِّ الإسكندر؟ وكما ورد في بعض الروايات[1] وقد سيطر على الشرق والغرب بما لا مزيد عليه[2].

ولأن هذه السيطرة لا تخصه ، وأنه كان وثنياً من الصابئين وقد ذبح ذبيحته للمشتري ، والقرآن يصف ذا القرنين بالعدل وصلاح العبودية لله ،

= عمران ـ ذوبيان ـ ذو الرمحين ـ ذو يرحم ـ ذو يهر ـ ذو يزن ـ ذونوش ـ ذو نوح ـ ذو الانواح ـ ذو تيقان ـ ذو اصبح ـ ذو الشعبين ـ ذو حوال ـ ذو مناح ـ ذو غمدان ـ ذو فائش ـ ذو رعين و . . .

(١) كرواية عقبة بن عامر عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ورواية قرب الاسناد عن موسى بن جعفر (عليه السلام) وذهب اليه جماعة من قدماء المفسرين من الصحابة والتابعين كمعاذ بن جبل وقتادة ومن المتاخرين الامام الرازي في تفسيره .

(٢) يؤكد عليه الرازي في تفسيره قائلاً : ان اسكندر المقدوني جمع ملوك الروم والمغرب وقهرهم وانتهى الى البحر الأخضر ثم الى مصر وبنى الاسكندرية ثم دخل الشام وقصد بني اسرائيل وورد بيت المقدس وذبح في مذبحه ثم انعطف الى ارمينيا وباب الابواب ودان له العراقيون والقبط والبربر واستولى على ايران وقصد الهند والصين وغزا الامم البعيدة ورجع الى خراسان وبنى المدن الكثيرة ثم رجع الى العراق ومات في شهرزر او رومية المدائن وحمل الى اسكندرية ودفن بها وعاش ثلاثا وثلاثين سنة ومدة ملكه اثنتا عشرة سنة ، فلما ثبت بالقرآن ان ذا القرنين ملك اكثر المعمورة وثبت بالتواريخ أنه الاسكندر فليكن ذو القرنين هو الاسكندر .

إذاً فليس هو المقدوني ، وقد يجوز أنه الإسكندر الاوّل ، وبينهما ازيد من الفي سنة (٢٣٠٠) ق م فقد كان عبداً مؤمناً صالحاً وملكاً عادلاً[١] وكان وزيره الخضر ؟

ولان التأريخ لا يسجل لنا ملكاً قبل المسيح بأكثر من ألفين وثلاثمائة ملك الأرض من أقصاها إلى أقصاها وبنى السدو . . فقد لا ينطبق ذو القرنين على واحد منهما !

وان كان المحتمل هو الاول قوياً ، مهما لا يوجد « ذو » في الاغريقيين اليونان حيث الوصفية في التسمية تحل هذه المشكلة ! .

وعلّه هو « كورش » أحد ملوك الفرس الهخامنشيين (٥٣٩ ـ ٥٦٠ ق م) فقد جمع بين مملكتي الفارس وماذو سخر بابل وأذن في رجوع اليهود من بابل إلى أورشليم وساعد في بناء الهيكل وسخر مصر ثم اجتاز إلى يونان فغلبهم وبلغ المغرب ثم سار إلى اقاصي المعمورة شرقاً[٢] وتشهد كتب

---

(١) الدر المنثور ٤ : ٢٤١ ـ اخرج ابن عبد الحكم في فتوح مصر وابن ابي حاتم وابو الشيخ والبيهقي في الدلائل عن عقبة بن عامر الجهني قال كنت اخدم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ـ وساق حديث سؤال جماعة من اهل الكتاب عنه في ذي القرنين الى ان قال ـ : ان اول امره انه كان غلاماً من الروم اعطي ملكاً فسار حتى اتى ساحل ارض مصر فابتنى مدينة يقال لها اسكندرية فلما فرغ من شأنها بعث الله عز وجل اليه ملكاً فعرج به فاستعصى بين السماء ثم قال له : انظر ماتحتك فقال ارى مدينتي وارى مدائن معها ثم عرج به فقال انظر فقال قد اختلطت مع المدائن فلا اعرفها ثم زاد فقال انظر قال ارى مدينتي وحدها ولا ارى غيرها قال له الملك انها تلك الارض كلها والذي ترى يحيط بها هو البحر وانما اراد ربك ان يريك الارض وقد جعل لك سلطان فيها فسر فيها فعلم الجاهل وتثبت العالم فسار حتى بلغ مغرب الشمس . . . .

(٢) سار نحو المغرب لدفع طاغية « ليديا » الطاغي عليه ظلماً دون عذر فحاربه وعاصره في عاصمته ففتحها واسره ثم عفى عنه واحسن اليه « حتى اذا بلغ مغرب الشمس . . » =

العهد العتيق على ايمانه وصلاحه[١]كما النقوش والكتابات المخطوطة بالخط المسماري المأثورة عنه ناطقة بكونه موحداً ، وقد سار نحو المغرب فاستولى على ليديا وحواليها ثم نحى نحو المشرق حتى بلغ مطلع الشمس ووجد عندها قوماً بدويين همجاً ثم بنى السد المعروف بمضيق داريال بين جبال قفقاز قرب مدينة تفليس .

ولماذا يعبر عنه القرآن بذي القرنين ـ ايا كان من المذكورين ـ ؟ علّه لأنه أدرك قرني الشمس شرقاً وغربا[٢]وعاش قرنين وضرب على قرنيه وكان لتاجه قرنان وسخر له القرنان الليل والنهار[٣]وأيد في قرنيه بكشف من

= ثم سار نحو الصحراء الكبير بالمشرق حوالي بكتريا لإخماد نائرة قبايل بدوية همجية انتهضوا هناك للافساد « حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع : : » وبنى السدّ الموجود في مضيق جبال قفقاز الممتدة من بحر الخزر الى البحر الاسود ويسمى «داريال» وهذا السد واقع بين جبلين شاهقين يمتدان من جانبيه وهو وحده الفتحة الرابطة بين جانبي الجبال الجنوبي والشمالي ، وكان يهجم في تلك الاعصار اقوام شريرة من قاطني الشمال الشرقي من آسيا من مضيق جبال قفقاز الى ما يواليها من الجنوب وهجموا في حوالي المائة السابعة قبل الميلاد فعمموا البلاد قتلاً وسبياً ونهباً حتى بلغوا نينوى عاصمة الآشور وكان ذلك في القرن السابق على عهد كورش تقريباً :

(١) كما في كتاب عزرا (الاصحاح ١ : ١ـ٤) ودانيال (الاصحاح ٦ : ٢٨) وكتاب اشعياء (الاصحاح ٤٤ : ٢٨ و ٤٥ : ١ - ٢٧) وقد سمي في اشعياء راعي الرب وفي (٤٥) منه « هكذا يقول الرب لمسيحه لكورش الذي امسكت بيمينه لأدوس امامه امماً واحقاد ملوك احل لا فتح امامه المصراعين والابواب لا تغلق : انا أسير قدامك والهضاب امهد اكسر مصراعي النحاس ومغاليق الحديد اقصف : واعطيك ذخائر الظلمة وكنوز المخابي : لكي تعرف اني انا الرب الذي يدعوك باسمك : لقبتك وانت لست تعرفني » :

(٢) نور الثقلين عن الامام العسكري (عليه السلام) انه رأى في المنام انه اخذ بقرني الشمس فعبر له بملك الشرق والغرب وسمي بذي القرنين .

(٣) نور الثقلين ٣ : ٢٩٦ ج ٢١٢ في كتاب كمال الدين وتمام النعمة سأل رجل علياً (عليه السلام) ارأيت ذي القرنين كيف استطاع ان بلغ الشرق والغرب ؟ قال : سخر =

السماء فيه ظلمات ورعد وبرق[١] وقد اكتشف تمثال « كورش » الحجري اخيراً في مشهد مرغاب جنوبي ايران ، مُثل فيه ذا قرنين[٢] نابتين من أم رأسه من منبت واحد أحدهما مايل إلى قدامه وثانيهما إلى خلفه ، وكما في كتاب دانيال في رؤياه كورش على صورة كبش ذي قرنين[٣].

= له السحاب ومدّ له في الاسباب وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء وفي نقل اخر عنه (عليه السلام) فسر بسط النور بـ « كان يضيء بالليل كما يضيء بالنهار »

(١) نور الثقلين ٣ : ٢٩٣ ح ٢١٥ عن الاصبغ بن نباتة عن امير المؤمنين (عليه السلام) في حديث اقتسمناه حسب مختلف مواضيعه وكما في الرقم(٢). :

(٢) المصدر ٢١٥ عن الاصبغ بن نباتة عن امير المؤمنين (عليه السلام) قال سئل عن ذي القرنين قال : كان عبداً صالحاً واسمه عياش اختاره الله تعالى وابتعثه الى قرن من القرون الاولى في ناحية المغرب وذلك بعد طوفان نوح (عليه السلام) فضربوه على قرن رأسه الايمن فمات منها ثم احياه الله بعد مائة عام بعثه الله الى قرن من القرون الاولى في ناحية المشرق فكذبوه وضربوه ضربة على قرنه الايسر فمات منها ثم احياه الله بعد مائة عام وعوضه من الضربتين اللتين على رأسه قرنين في موضع الضربتين اجوفين . . اقول واخرجه مثله في معنى قرنيه في الدر المنثور ابو الشيخ في العظمة عن ابي الورقاء عن علي (عليه السلام) (٤ : ٢٤١) ورواه مثله في الاسم القمي عن ابي بصير عن الصادق (عليه السلام):

(٣) في الاصحاح ٨ : ١ ـ ٩ من دانيال « في السنة الثالثة من ملك « بيلشاصر » الملك ظهرت لي انا دانيال رؤيا بعد التي ظهرت لي في الابتداء فرأيت في الرؤيا وكأن في رؤياي وانا في « شوشن » القصر الذي في ولاية ـ عيلام : ورأيت في الرؤيا وانا عند نهر « اولاي » فرفعت عيني واذا بكبش واقف عند النهر وله قرنان والقرنان عاليان والواحد اعلى من الآخر والاعلى طالع اخيراً :رأيت الكبش ينطح غرباً وشمالاً وجنوباً فلم يقف حيوان قدامه ولا منفذ من يده وفعل كمرضاته وعظم . . ثم يذكر بعد تمام الرؤيا أن جبرئيل تراءى له وعبر رؤياه بما ينطبق فيه الكبش ذو القرنين على كورش وقرناه مملكتا الفارس وماد ، والتيس ذو القرن الواحد على الاسكندر المقدوني .

وفي « قاموس كتاب المقدس » ترجمة مستر هاكس الامريكي باللّغة الفارسية ص ٧٤٣ تحت عنوان « كورس » يقول يعني : الشمس ، مؤسس الملك الفارسي وفاتح الممالك

وايأ كان ذو القرنين فانما يهمنا شخصيةٌ قوية روحية منه عن التاريخ لا شخصه ، ولا مفخرة في كونه عربياً أم رومياً ام ايرانياً امّن ذا ، ولذلك أهمل القرآن إلّا عن شخصيته ولكيلا يجعل مثار التفاخرات ! فالتسجيل التاريخي ليس هو المقصود في قصص القرآن وإنما هو العبرة المستفادة من القصة وهي حاصلة منها دون ان تزيدنا معرفة الشخص دلالة اللّهم إلّا دلالةً قومية عنصرية والقرآن يطاردها !

ثم التأريخ اياً كان ومن اي كان ليس ألّا ركاماً من خليط الحق والباطل ، وبعضه باطل كله ، ولا نجد الحق كله إلّا في قصص القرآن ، فهي القصص الحق الجارفة تخيلات باطلة معمدة او ساهية تسربت ودخلت في التاريخ !

ولئن استفتينا التاريخ حول ذي القرنين أم أي شخص مجهول ، فانما

= الاخرى ، ثم ينقل عن كتاب دانيال (٦ : ٢٨) ان دانيال كان حينذاك في ديوان كورش وقد توفي كورش عن الجراحة التي اصابته في حربه (٥٢٥ ق : م) : فلكورش دور في الكتب المقدسة مجيد يهمه اهل الكتاب ولذلك سألوا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عن ذي القرنين ، ولا اثر في الكتب المقدسة عن شخصية هذه سيرته الا كورش :

ومما يبعد كونه كورش ألّا اثر عن هذا الاسم في الروايات الاسلامية اطلاقاً ، ففي بعضها انه عياش[١] وثان : اسكندر[٢] وثالث : مرزبا بن مرزبة اليوناني من ولد يونن بن يافث بن نوح[٣] ورابع : مصعب بن عبد الله من قحطان[٤] وخامس : عبد الله بن ضحاك بن معد[٥] والى غير ذلك :

(١) كما في تفسير العياشي عن الاصبغ بن نباتة عن علي (عليه السلام) وفي البرهان عن الثمالي عن الباقر (عليه السلام) :

(٢) كما يظهر من رواية قرب الاسناد للحميري عن الكاظم (عليه السلام) ورواية الدر المنثور عن عدة عن عقبة بن عامر عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):

(٣) كما في الدر المنثور عن بعض من اسلم من اهل الكتاب .

(٤) كما في البداية والنهاية (٥) البداية والنهاية عن ابن هشام في التيجان .

نصدق منه ما يصدقه القرآن ، ونكذب ما يكذبه ونتردد فيما يسكت عنه ! دون أن نستفتيه كأصل نفرع عليه القرآن فانه منكر من القول وزور !

ثم هؤلاء الأذواء الثلاثة المؤمنون لكل منهم رجاحة متقابلة ، فاليمني يترجح بان اليمن بلد الأذواد قرابة مائة، واليوناني يترجح لشهرته العالمية بذي القرنين وذكره في بعض احاديثنا ورغم وفرة الاذواء في اليمين فلا قرنين فيه ! والايراني يترجح لذكره في التوراة ولكن ليس فيه ذو ولا قرنين اللهم الا وصغباً ولكلٍّ وجه .

﴿ إنا ملكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيءٍ سبباً ﴾ (٨٤).

دعامتان الهيتان لهذه السلطة العالمية المنقطعة النظير ، اللهم إلاّ في داوود وسليمان (عليهما السلام) سلفاً ، وفي المهدي القائم من آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) خلفاً : ـ١ ـ تمكين إلهي في الأرض كلها ـ٢ ـ وسبب إلهي من كلّ شيء على ضوء هذا التمكين وفي سبيله !

هنالك تمكين للمترفين الأثرياء ذوي السلطة والكبرياء يعني امتحاناً وامتهاناً وهو من مخلفات التخاذل من أهل الدين المستضعفين : « أولم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض » (٦ : ٦) ومن ثم تمكين لبسط الخير اكراماً لمن يعرفون نعمة الله ويشكرونها : «الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور» (٢٢ : ٤١) .

وذلك التمكين قد يكون جانبياً كما في يوسف « وكذلك مكنا ليوسف في الأرض . . » (١٢ : ٢١) حيث يخص أرض مصر ، وآخر عالمي في درجات اعلاها لبقية الله وحجته الكبرى وآيته العظمى محمد بن الحسن المهدي صلوات الله عليه وعلى آباءه الكرام ، تمكين له ولصحبه الخصوص ولمن تابعه على وجه العموم : «وعد الله الذي آمنوا منكم وعملوا الصالحات

ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون » (٢٤ : ٥٥) .

ثم وأدنى منها ما كان لداود وسليمان بين النبيين ولذي القرنين بين الملوك الصالحين ، وادنى منه ما كان لطالوت امّن ذا ؟

«إنا مكنا له» في تأكيدات ثلاثة ترفع من شأن هذه السلطة المباركة و « في الأرض » تعممها في كافة أرجاء المعمورة ، فقد ذلت له الصعاب واستسلمت له البلاد !

والسبب اياً كان هو الذي يتوسل به الى غاية لا تحصل إلاّ به ، من عقلي او علمي او عملي .

ثم الاسباب لبسط الملك امّاذا ؟ قد تكون حاضرة ظاهرة ، وأخرى حاضرة غير ظاهرة ، ام ظاهرة غير حاضرة تحصل بمحاولة بشرية مهما طالت ام قصرت ، صعبت ام يُسّرت ، فهي في نطاق العلم والقدرة البشرية ممكنة ! وثالثة لا من هذه ولا تلك ، بل هي خفية عن العلم بعيدة عن القدرة ، فلا يؤتيها إلاّ الله لمن يشاء ويرضى ! « وآتيناه من كل شيء سبباً » يعني ثالثتها وهي الأسباب الخارقة الإلهية التي تقصر دون التوسل بها العقول والعلوم وساير القدرات غير الإلهية !

و « كل شيء » هنا لا يعني الاستغراق الشامل لسبب الوحي والنبوة واضرابها ! وانما « كل شيء » في سبيل تمكينه في الأرض ، ثم ولا يعني كلاً من هذا الكل ، وانما البعض من كلّ قدر ما يحتاجه كما تلمح له « مِن »!

فقد آتاه الله بعضاً من الأسباب اللائقة من كل شيء في سبيل تمكينه

في الارض، من اسباب معرفة الحق الناصع الصراح عن الباطل[١]ومن اسباب السفر كالسحاب الذلول امّاذا ؟[٢]ومن اسباب الضوء حيث تضيء له ليلاً كما تضيء الشمس نهاراً فهو ذو قرني الليل و النهار حيث هما عليه سواء ؟

ومن اسباب الشبع والريّ مَنًّا او سلوى أمّاذا ؟ ثم ومن أسباب التفتح في مشارق الأرض ومغاربها كسبب تفهُّم مختلف اللغات[٣]واضرابه كالطرق

---

(١) المصدر ج ٢١٦ ص ٣٠٤ عن تفسير العياشي جبرئيل بن احمد عن موسى بن جعفر رفعه الى ابي عبدالله (عليه السلام) قال : ان ذا القرنين عمل صندوقاً من قوارير ثم حمل في مسيره ما شاء الله ثم ركب البحر . .

و ٢١٥ العياشي عن الاصبغ بن نباتة عن امير المؤمنين (عليه السلام) قال : سأل عن ذي القرنين ـ ثم سار في جوابه (عليه السلام) الى قوله :) ثم رفعه الى السماء الدنيا فكشط له عن الارض كلها جبالها وسهولها وفجاجها حتى ابصر ما بين المشرق والمغرب وآتاه الله من كل شيء يعرف به الحق والباطل وايده في قرنيه بكشف من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق ثم اهبط الى الارض واوحى اليه ان سِر في ناحية غربي الارض وشرقيها فقد طويت لك البلاد وذلّلت لك العباد فأرهبتهم منك ، فسار ذو القرنين الى ناحية المغرب . . . . فلم يبلغ مغرب الشمس حتى دان له اهل المشرق والمغرب وذلك قول الله « انا مكنا له في الارض وآتيناه من كل شيء سبباً . . . » .

(٢) في الدر المنثور ٤ : ٢٤٢ ـ اخرج ابن ابي حاتم عن قتادة . . فخير بين ذلال السحاب وصعابها فاختار ذلالها فكان يركب عليها

وفي تفسير البرهان ٢ : ٤٨١ ج ١١ عن الباقر (عليه السلام) اما ان ذا القرنين قد خير بين السحابتين فاختار الذلول وذخر لصاحبكم الصعب فقلت : وما الصعب ؟ فقال : ما كان من سحاب فيه رعد وصاعقة وبرق فصاحبكم يركبه اما انه يركب السحاب ويرقى في الاسباب اسباب السماوات السبع والارضين السبع خمس عوامر وثنتان خراب .

(٣) الدر المنثور ٤ : ٢٤٧ ـ اخرج ابن ابي حاتم عن ابن زيد في قوله : وآتيناه من كل شيء سبباً « قال : علماً من ذلك تعليم الالسنة كان لا يعرف قوماً الا كلمهم بلسانهم .

وكلها خارقة إلهية .

تُذكر له في تالية الآيات ثلاثة أسباب لثلاثة أسفار بعيدة المدى ، قد تكون هي من أهم الأسباب التي أُوتيها في سفراته، وقد اطبقت أحاديثنا أنها السحاب الذلول وان الصعب منها تختص بالامام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف !(١).

ولان « سبباً » تأتي بنفس الصيغة ثلاث مرات ، دون أن تأتي ثانية وثالثة « السبب » اشارة الى الاوّل ، فقد تعني ثلاث مركبات فضائية مهما كانت كلها من صعبة السحاب اماذا ؟

هنالك أسباب غيبية أرضية أم فوق الارضية ام السماوية تُستخدم في مثلث الأسفار بما آتاه الله ، قد يشار الى وجودها وإمكانية التسبب بها : « ام لهم ملك السماوات والارض وما بينهما فليرتقوا في الأسباب » (٣٨ : ١٠) ولولا أن هناك أسباباً ترقي الى السماوات لم يكن لهذا التحدي مجال على أية حال، ومنها المركبة المعراجية المحمدية (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وقد يشار الى إمكانية الإرتقاء الى السماء باسباب مصطنعة امّاذا ؟ : « من كان يظن ان لن ينصره الله فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ » (٢٢ : ١٥) .

ولقد خيِّل الى فرعون إمكانية البلوغ إلى أسباب السماوات ، وطبعاً لم

---

(١) نور الثقلين ٣ : ٢٩٦ ح ٢١٢ في كتاب كمال الدين وتمام النعمة سأل رجلٌ علياً (عليه السلام) أرايت ذا القرنين كيف استطاع ان بلغ الشرق والغرب ؟ قال : سخر له السحاب ومُد له في الاسباب وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء و ٢١٣ في تفسير العياشي عن ابي بصير (عليه السلام) قال : ان ذا القرنين خيِّر بين السحاب الصعب والسحاب الذلول فاختار الذلول فكان اذا انتهى الى قوم كان رسول نفسه اليهم لكي لا يكذب الرسل .

يك يعرف واقعها إلاّ بمعرفة الوحي من موسى ام سواه : « وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعلّي أبلغ الاسباب . أسباب السماوات فأطلع إلى إلّه موسى واني لأظنه كاذباً » (٤٠ : ٣٧)[١].

﴿ المركبة الفضائية الاولى لذي القرنين ﴾

﴿ فأتبع سبباً[٨٥] حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حَمِئَة ووجد عندنا قوماً قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما ان تتخذ فيهم حُسناً[٨٦] قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً[٨٧] وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاءً الحسنى وسنقول له من امرنا يسراً ﴾[٨٨].

هل الإتْباع هو الإلحاق يتبعه مفعولان ؟ كما فأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة » (٢٨ : ٤٢) اذاً فما هو المفعول الثاني لـ « اتبع سبباً ؟ ! ام هو اللحوق ولا يتبع إلاّ مفعولاً واحداً : « فأتبعه الشيطان » ؟ (٧ : ١٧٥) أو أنه كما نراه يستعمل متعدياً الى مفعول واحد أحياناً والى مفعولين اخرى ؟ اذاً أليس من الأفصح « فتبع » نصاً في اللحوق ؟ ولكنه قد يعني في مفعول واحد سرعة اللحوق وكما نراها في موارده[٢].

وهذه طبيعة الحال في المركبة الفضائية السحابية ام ماذا ؟ وهي دائبة السير ، فليلحقها ذو القرنين سريعاً كما لحقها ! « حتى اذا بلغ مغرب الشمس » وهو المغرب الأقصى ، وبينه وبينه شاسعة المسافة بين المشرق الأوسط او الأدنى الى المغرب الأقصى ، ولا تجتاز تلك البعيدة المدى مشياً

---

(١) راجع تفسير الآية في المؤمن تجد فيه تفصيلاً عن اسباب السماوات .

(٢) فاتبعهم فرعون وجنوده » (١٠ : ٩٠) « فاتبعهم فرعون بجنوده » (٢٠ : ٧٨) « فاتبعوهم مشرقين » (٢٦ : ٦٠) » « فاتبعه شهاب مبين » (١٥ : ١٨) او « ثاقب » (٣٧ : ١٠) .

او ركوباً بالوسائل القديمة إلّا في سنين بمعدات قد تستحيل مهما طال الزمن ، وهي اولى السفرات الثلاث الطائلة لذي القرنين ، فلولا أنه « أتبع سبباً » سماوياً آتاه الله لما قطع واحدة منها إلّا انقطع ولمّا !

مغرب الشمس وقتذاك هو آخر المعمورة اليابسة من الجانب الغربي ، وإلّا فلا مغرب للشمس كنقطة خاصة من المعمورة ، ولكلّ أفقٍ من الشمس مشرق ومغرب عدد أيام السنة ! .

فلأن ذا القرنين كان من الشرقيين أياً كان ، فمغرب الشمس بالنسبة الى مبدءه في سفرته هو المغرب الأقصى إلى جانب البحر حيث الأفق البحري لغروبها مدُّ البصر في البحر ، هو بحر الظلمات المسمى بالمحيط الأطلانطيقي .

«وجدها تغرب في عين حمئة» أترى الشمس تغرب في عين حمئة أم غير حمئة ، ولا غروب حقيقياً للشمس ، فلها مشارق ومغارب منذ خلقت حتى يوم تكويرها ، دون شروق مطلق ، ام غروب مطلق بالنسبة لارضنا وأضرابها ، ام هي شارقة دون غروب بالنسبة لنفسها .. ثم وهي في مشارقها ومغاربها ، وفي مشرقيها ومغربيها ، وفي مشرقها ومغربها ، لا تشرق او تغرب إلّا في ملتقى أفقي الارض برياً او بحرياً وافق السماء[1] دون عين حمئة امّاذا ؟

---

(١) نور الثقلين ٣ : ٣٠٦ ج ٢٢١ في كتاب التوحيد حديث طويل عن ابي ذر عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : كنت آخذاً بيد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ونحن نتماشى جميعاً فما زلنا ننظر الى الشمس حتى غابت فقلت : يا رسول الله ! (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّى تغيب الشمس ؟ قال : في السماء ثم ترفع من سماء الى سماء حتى ترفع الى السماء السابعة .. اقول قوله « في السماء » ظاهر لا مرية فيه انها تغرب في ملتقى الافقين الارضي والسماوى ، واما « ترفع في سماء الى سماء .. حتى ترفع الى السماء السابعة » انه اما مؤول او مختلق مردود ، وتأويله انه =

نجد الجواب في الآية نفسها : « وجدها تغرب . . » لا أنها « غربت » فهي ينظر الى منظرها في غروبها دون واقعه « وجدها . . » بياناً لمنتهى المعمورة الغربية بالمحيط البحري الأطلانطيقي .

فكما أننا نجد الشمس تغرب في الأفاق الصحراوية ، في قلل الجبال او الأتلال او مستوية الأرض امّاذا ، كذلك سكان الجزائر لا يجدون غروب الشمس او وطلوعها إلاّ في الآفاق البحرية .

وكأن ذا القرنين وصل الى نقطة على شاطىء المحيط الاطلسي (بحر الظلمات) حيث يُخيَّل ان اليابسة منتهية عنده ، وكان عند مصبِّ أحد الانهار حيث تكثر فيه الأعشاب وتتجمع حولها طين حُمئٌ : لزج ، فرأى

= صلى الله عليه وآله وسلم) اقتسم ملتقى الأفاق الارضية السمائية الى سبعة ولماذا ؟ لا ندري ! ان الشمس تحول حول الارض ويترائى لها مغارب سبعة وعلّها في الاقاليم السبعة امّ ماذا .

ثم اقول : وما روي ان الشمس تغرب وتطلع بين قرني الشيطان اختلاق ممن يكرهون الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها ، ولم ترد في بعض رواياتنا الا تقية ففي الكافي عن محمد بن مسلم عن ابي جعفر (عليه السلام) قال : يصلى على الجنازة في كل ساعة ،انها ليست بصلاة ركوع ولا سجود وانما تكره الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها التي فيها الخشوع والركوع والسجود لانها تغرب بين قرني الشيطان وتطلع بين قرني الشيطان » وتقية الفرار هنا لائحة ، حيث النص الذي يروون ان كان بلفظة الصلاة فيشمل كل صلاة ، وان كان نصاً فيما فيها الركوع والسجود لم تك حاجة الى الاستدلال ، ثم الخشوع يعم كل صلاة دون اختصاص بما فيها الركوع والسجود ، ثم نرى نقضاً صارماً يجتث هذه الحكمة المختلقة او انها تقية ، فيما اخرجه اكمال الدين وتمام النعمة باسناده الى محمد بن جعفر الاسدي قال كان فيما يورد عليّ من الشيخ ابي جعفر محمد بن عثمان العمري في جواب مسائلي الى صاحب الزمان : واما ما سألت عنه من الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها ولئن كان كما يقولون ان الشمس تطلع بين قرني الشيطان وتغيب بين قرني الشيطان فلا شيء افضل من الصلاة وأرغم أنف الشيطان ! .

الشمس تغرب هناك كأنها « عين حمئة » : المحيط الغربي الذي فيه الجزائر « الخالدات » حيث كانت مبدء الطول الجغرافي مسبقاً ثم غرقت .

والعين الحمئة قد تعني إضافة الى السوداء حيث الحمأة هي الطين الاسود ، قد تعني الحارة حيث الحمأ هي الحرار المتولدة من الجواهر المحميّة والمغرب الأقصى في افريقيا الحارة من أحرّ ما فيها ، فبحره حار كما برّه ، فهي « عين حمئة » في حمأتين ! حرارة في سواد وحمرة ، كما الشمس ترى عند غروبها محمرّةً.

لا نعرف بالضبط المحدّد ذلك المكان إلّا ما عرّفنا الله « تغرب في عين حمئة » وكفانا !

وانما القصد القوم الذين عند المغرب الأقصى حيث ظَلَموا وأتاهم ذو القرنين تأديباً وتقويماً : « ووجد عندها قوماً »[٨٦] ؟ وجد عند الشمس في مغربها قوماً ، في منتهى اليابسة الغربية ، لا عند الشمس ذاتها ! ام عند العين الحمئة فيفيد نفس المعنى .

يجد هناك قوماً حمئاً عند عين حمأة . اتراه تغاضياً عن أقوام ظالمين بينه وبين مغرب الشمس والأقرب يمنع الأبعد ؟ طبيعة رسالة عادلة كملكية كهذه تقتضي وتقضي بعدم التغاضي ، ولكنه كيف ؟ لا ندري !

﴿ . . قلنا ياذا القرنين إما أن تعذب وإما ان تتخذ فيهم حسناً ﴾[٨٦] .

هل القول الخطاب هنا دليل على نبوة للمخاطَب ؟ كلا ! حيث الخطاب اعم من وحي النبوة والإلهام كما في مريم وأم موسى وآدم قبل توبته وقد يجوز انه كان معه نبي يوحى اليه بواسطته كما كان لطالوت بنبيٍّ معه !

وترى الترديد التخيير بين التعذيب واتخاذ الحسن ليس تخييراً بين الحَسَن والقبيح ، لقرن التعذيب باتخاذ الحُسن ؟

اتخاذ الحسن فيهم هو السماح عما يستحقونه من النكال رجاء الرجوع والتوبة ، والتعذيب تحقيق النكال ، وكلٌ يتبع ظرفه الصالح ، اذاً فالتخيير هنالك صالح ! تخويلاً قيادياً صالحاً لسلطة صالحة حسب المصلحيات العادلة الفاضلة .

وترى كلهم كانوا ظالمين يستحقون العذاب ؟ وتقسيمهم في الجواب « أما من ظلم . . واما من آمن . . » يطارده ! أم جلّهم والباقون لا يستحقون العذاب ؟ فلكل حكمه ولا تخيير !

إنهم جُلّهم وليس التخيير إلاّ فيهم ، فلم يقل « إما أن تعذبهم » وإنما « تعذب » يعني من يستحق العذاب منهم « وإما ان تتخذ فيهم » هم أنفسهم « حسناً » .

﴿قال أما من ظلم فسوف نعذبه . .[٨٧]﴾ يعني استمرارية الظلم من قبل وحتى لقاء ذي القرنين دون ان يفيق فيؤمن[١] فلا مجال له إلاّ عذابه « واما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى . . » آمن بعد كفره توبة عما سلف فحسنٌ ، ام آمن من قبل واستمر في ايمانه فأحسن ، ولكلٍّ حسب ايمانه وعمله الصالح عِدّةٌ وعُدةٌ ومُدةٌ « جزاء الحسنى » : أحسن مما آمن وعمل صالحاً فضلاً من ربك عطائاً حساباً ! .

والتخيير بين التعذيب واتخاذ الحسن ليس إلاّ في فيمن آمن بعد ظلمه ، وقد يشمل المستمر على كفره في فرض بعيد ، اللّهم إلاّ في غير الواجب قتله جوازاً في قتله والسماح عنه ، تخيراً عاقلاً عادلاً دون فوضى وكما في المحاربين والمفسدين في الأرض : « إنما جزاء الذين يحاربون الله

---

(١) نور الثقلين ٣ : ٢٩٨ ح ٢١٥ عن امير المؤمنين (عليه السلام) « أما من ظلم » ولم يؤمن اقول : يعني لم نومن عند ذي القرنين بعد كفره قبله ، ولم يقل واما الظالم لكيلا يشمل الذي ظلم سابقاً ثم تاب عن ظلمه فآمن .

ورسوله ويسعون في الارض فساداً أن يقتلوا او يصلّبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفسوا من الارض . . » فالتخير هناك كالتخير هنا راجع الى ما يختاره الحاكم الشرعي وفق مختلف الموازين في مختلف المجرمين دون ان يكون اعمى وفوضى ان يجزى اقل الساعين في الأرض فساداً قتلاً ، ثم ينفى اشد المحاربين حبساً !

المعذب هنا يعذب حسب مرسوم الشرعة الإلهية بيِّناً وعرفا : « فسوف نعذبه » ومن ثم نُكراً : غير معروف ولا منتظر هنا «ثم يرد الى ربه فيعذبه عذاباً نكراً» حيث ظلم دون إفاقة بعد الذكرى ورؤية البأس ، واما التائب عند رؤية البأس فقد لا يُعذب هنا إذا كانت توبة صادقة او تُحتمل ، ثم أمره الى ربه !

فالظرف هنا للظالمين الجُلُّ بمختلف ظلمهم ، وتوبتهم وعدم توبتهم ، هو يقتضي تخيّر الحاكم فيهم كما اختار ذو القرنين وما أحسنه ، وحسب مرسوم الشرعة العادلة والفاضلة الإلهية : اعلاناً في هذه الإذاعة القرآنية أن للظالمين المعتدين عذابهم عاجلاً ، وآجلاً يزيد نكراً ، ولغير المعتدين منهم إمهال دون إعجال رجاء الرجوع الى عدلهم ، وللتائبين الآئبين قول يُسر دون عُسر « وسنقول له من أمرنا يسراً » دون تعذيب ولا تأنيب في قولة لاذعة ، فالإسلام يَجُبُّ ما قبله ! وانما قول يُسر حيث تاب عما سلف : « قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوافقد مضت سنة الاولين » (٨ : ٣٨) ثم قولٌ يسرٌ فيما يتوجب عليه تداركاً لما قد سلف،والأمر في « من إمرنا » شرعيٌ للحاكم المتمكن ، إشارة الى أنني لست ممن يتذرع الحكم للقول العسر والتكليف العسر ، وإنما يسرٌ في يسرٍ .

ثم مقابلة « من ظلم » بـ « الذين آمنوا وعملوا الصالحات » يوسع نطاق الظلم الى كفر عقائدي وعملي لازماً او متعدياً ، والى فسق عملي لمن آمن على مراتبهما بأحكامهما الجزائية .

وما هو « جزاء الحسنى » للذين آمنوا وعملوا الصالحات ؟ انه جزاء أحسن مما عمل ومما يجزى في الحياة الدنيا ، فهناك تصريحة بعذاب الدنيا لمن ظلم « فنعذبه » لانه ثابت حكماً على أية حال وعملاً لمن مُكن في الأرض ، وهنا تلميحة للجزاء الحسن وتصريحة بالأحسن حيث الثواب يوم الدنيا غير ثابت ولا موعود إلّا احياناً!.

ولماذا « جزاءً » منصوباً » لان الحسنى مبتدءٌ لـ « له » وقدم الخبر للحصر « له لا لسواه » : فله الحسنى جزاءً ، وَالنصب على التمييز ، دون حاجة الى تكلفات أدبية اخرى لا يرضاها أدب القرآن ! : فله ـ فقط ـ من حيث الجزاء المثوبة الحسنى أحسن مما قدم ويستحقه في الحياة الدنيا[1].

وهذه طريقة مثلى ومعاملة حسنة مع فريقي الظلم والايمان ، تخيراً للحاكم المبسوط اليد بالتي هي أحسن في « إما . . وإمّا » دون تخير فوضى وأعمى ، وإنما عدل صارمٌ عقاباً لزاماً ، وفضل كارم ثواباً كراماً !

إنه ليس الحكم والسلطة الإلهية ظلما وزوراً وغروراً ما وجدتَ لها سبيلاً ، وإنما هي رحمة على المجموعة وقضيتها القضاء على المعتدين ، فإمهالهم اعتداءٌ على المظلومين ، فهي رحمة ما وجدت لها سبيلاً وحتى للذين ظلموا اذا كان السماح عنهم لا يضر بالمجموعة وان لم تنفعهم توبة ، فضلاً عمن يفيق ويتوب ، دستور إصلاحي بكل معانيه ، يتبني الصلاح بكل مبانيه !

نرى القمة الرفيعة من هذا الدستور في الشرعة الإسلامية ، وتدلنا سيرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة من آل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على مدى هذه الأخلاق الفاضلة ومن نماذجها « إدفع

---

(١) فالحسنى وصف لمقدر المثوبة وجزاء تمييز عن سائر ما له في الأخرى ، وتقديم جزاءً لافادة تهيء اكثر من العادة ، وما أحسنه لفظاً ومعنى ! . .

بالتي هي أحسن السيئة » (٢٣ : ٩٦) فقد يُدفع السيّء بالسماح ، أم إذا لزم الأمر لدفع ظلمه بتاديب وتأنيب كما يصلحه او يحجز عن ظلمه ، وأخيراً كآخر الدواء الكي ، القتل ، إذا كانت حياته على أية حال ظلماً على المجموعة ، فكل ذلك الدفع ليس إلاّ بالتي هي أحسن ، وكصورة اولى « . . فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » (٤١ : ٣٤) ! .

ان التعذيب في « إما ان تعذب » يشمل مراتب النكال هنا اعتداءً بالمثل او دون ذلك ، من ضرب الى قتل وبينهما متوسطات ، وكما أن حسن الجزاء وحسناه في الاولى والاخرى له درجات حسب الدرجات « ولا يظلم ربك أحداً » .

وبصيغة اخرى إن تحقيق ذلك التخيّر في مراتب التعذيب وحسن الجزاء هو يمثل « وإما ان تتخذ فيهم حسناً » فان تعذيب الظالمين إحسان بالمجموعة وحتى بالنسبة للظالمين رجاء رجوعهم ام ـ لاقل تقدير ـ تقليلاً لظلمهم . فلو ظلوا طويلاً لأضلوا وظلموا كثيراً !

كما ومن اتخاذ الحسن فيهم إرشادهم عن غيّهم ومساعدتهم عن عيّهم ولكي يجيدوا الايمان وعمل الصالحات ويحيدوا عن الطالحات .

﴿ ثم أتبع سبباً(٨٩) حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً كذلك وقد أحطنا بما لديه خبراً »(٩١).

خطوة ثانية في مثلث الرحلة كانها أطولها فانها من أقصى المغرب الى أقصى المشرق طوال اليابسة الأرضية مهما كانت بينهما بحار وأنهار !

و « ثم » هنا تلمح للتراخي بين وصوله الى اقصى المغرب ومغادرته عنها ، وهذه طبيعة الحال في سفرة اصلاحية كهذه ، وفي قوم لم تسبق لهم سابقة إصلاح كهذه السابغة اللائقة ، هذا وإن كنا لا ندري زمن ذلك المكوث اللّهم إلاّ لمحة ثمة من « ثم » .

« ثم اتبع سبباً » وتنكير « سبباً » يدلنا انه غير السبب الاوّل شخصاً ، مهما كان من جنسه امّاذا ؟ فلا يهمنا شخص السبب ولا جنسه ونوعه ، وإنما « سبباً » إلهياً لم يحصل إلاّ بما آتاه الله .

اتبعه لحوقاً سريعاً « حتى إذا بلغ مطلع الشمس » مطلعها من أقصى الآفاق الشرقية في عين الرائي ، وكما في مغربها لاقصاه ، في يابسة المعمورة بجانب البحر المحيط ، فما قيل عن مغرب الشمس يقال عن مطلعها دون اختلاف بينهما إلا فارق المغرب عن المشرق وعين حمئة .

﴿ . . وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً ﴾ لا ستراً خلقياً من مرتفعات غابات وجبال واشجار واتلال ، ولا سترا مصطنعاً من بيوت[1] او خيام امّاذا فتنكير « ستراً » يستغرق نفي الستر ايا كان وحتى الملابس[2] فانها سترٌ عن الحر والقرّ ! ومهما كان جعله إلهياً دون وسيط من سكان الشرق الأقصى حينذاك ، كالأوّل ، ام بوسيط كالثاني ، فهما على أية حال راجعان إلى الله !

إذاً فهم قوم بدائيون ومن أبداهم ، كانوا يسكنون في أرض مستوية

---

(١) نور الثقلين ٣ : ٣٠٧ ح ٢٢٢ في تفسير العياشي عن ابي بصير عن ابي جعفر عليه السلام) في قول الله عز وجل « لم يجعل لهم من دونها شراً كذلك . . » قال : لم يعلموا صنعة البيوت

وفي الدر المنثور ٤ : ٢٤٩ ـ اخرج ابن المنذر وابن ابي حاتم وابو الشيخ في العظمة عن ابن جريح في قوله « حتى اذا بلغ مطلع الشمس الآية قال : حدثت عن الحسن عن سمرة بن جندب قال قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) « لم نجعل لهم من دونها ستراً » انها لم يبن فيها بناء قط كانوا اذا طلعت الشمس دخلوا أسراباً لهم حتى نزول الشمس اقول : وقد لا يلائم هذا الحديث استغراق النفي في « ستراً » حيث الاسراب ستر كما البيوت .

(٢) المصدر في تفسير القمي في الآية قال « لم يعلموا صنعة الثياب » اقول : تشمل الخيام .

مكشوفة لاتظلهم إلاّ شمسهم ولا تقلهم إلاّ ارضهم ، دون اي ظِلٍّ اوقِلٍّ سواهما ! فـ « قد احرقتهم الشمس وغيرت أجسادهم وألوانهم حتى صيرتهم كالظلمة »[1].

فهل كانوا كلهم مؤمنين ؟ وهو في العادة مستحيل ولهذه البدائة القاحلة البعيدة عن الدعوات الإلهية ام وسواها ! ثم ولماذا لم يحدِّث لنا بحديثهم البارع او حديثه لهم !

ام كانوا كلهم فاسقين ؟ فأحرى بهذا المصلح إصلاحاً لهم او تعذيباً ولم يلمح هنا بشيء في هذا البين !

ام كالقوم الاول : منهم مؤمنون ومنهم دون ذلك ؟ فلماذا لم يكرر لهم ما حصل لهؤلاء « تلك اذاً قسمة ضيزى »!

واذا هم خارجون عن هذا المثلث من المكلفين فمن هم إذاً ؟ ولماذا يتحمل هذا المصلح العالمي الكبير هذه السفرة البعيدة المدى ، وهي ابعد من الاولى والاخرى ، دون انتاج له ولهم ؟ !.

يبدو كما تلمّحناه أنهم من أبدى البدائيين ، كانوا ضُلاّلاً غير عارفين ، لا مؤمنين ولا فاسقين ، ومهما كانوا هم من المكلفين ، فهم ممن لا يهتدون سبيلاً ، منقطعين عن وحي الرسالات أم بلهاء لا يعرفونها ، إذاً فهم مُرجَون لأمر الله في مختلف الدرجات تكليفاً وجزاءً : ١ ـ « والسابقون الاولون »[100] ـ ٢ ـ ومن اهل المدينة مردوا على النفاق . .[101] ـ ٣ ـ وآخرون اعترفوا بذنوبهم . .[102] وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله . . فينبئكم بما كنتم تعملون[105] » فهؤلاء الثلاث من قمة الايمان ودرك الكفر والمتوسط بينهما ، له ما اصلح وعليه ما أطلح ، ومن ثم رابع

---

(١) من حديث الاصبغ بن نباتة عن امير المؤمنين (عليه السلام) .

« وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وأما يتوب عليهم والله عليم حكيم » (٩ : ١٠٦) .

وقد يكون القوم في أقصى المشرق حينذاك من أبدى البدائيين من « وآخرون » فليس لذي القرنين كثير شغل معهم مهما أرشدهم كما يسطعون ، كما قد يلمح له « وقد أحطنا بما لديه خبراً » وكما يلمح لغاية أخرى من هذه السفرة أن يحيط خبراً بأدنى المكلفين في المعمورة .

« أحطنا » هنا تضرب إلى أعماق الماضي لحد الحال والاستقبال في ذي القرنين على أية حال، ولكن الخبر المحاط لربنا قد يخبرنا به وقد يسكت عنه دون ضِنَّةٍ ، وانما بحكمة كما هنا ، وعلّنا نستعمل نحن ما لدينا من طاقات واستنباطات كالذي قلنا .

﴿ ثم اتبع سبباً[٩٢] حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً[٩٣] قالوا يا ذا القرنين . ﴾[٩٤] .

خطوة ثالثة هي الأخيرة من هذه الرحلة العالمية ، يُتبع فيها سبباً ثالثاً نقول فيه مثل الذي قلناه في الثانية ، فهي غير الاولى والثانية ، وعلّه من نوعه لمكان التنكير « سبباً » :

﴿ حتى اذا بلغ بين السدين ﴾ سفرة بسببه من أقصى المشرق الى « بين السدين » فاين هو ؟ لحد الآن لا ندريه ! وأما من هم « قوماً لا يكادون يفقهون قولاً »؟ وإذا لا يفقهون فكيف « قالوا يا ذا القرنين . . ؟!

نحن لا نعرفهم ولا مكانهم إلّا ما عرّفه القرآن أنه « بين السدين » وهو طبعاً بين اقصى الشرق والغرب شمالاً او جنوباً امّاذا ؟ فانه قطعاً ـ ليس مشرق الشمس او مغربها حيث بلغهما قبل هذه .

ثم « السدين » هما ما يسدان ويحجزان ، أهما صناعيان ؟ وانما

الصناعي لغرض صد الماء دفعاً لضره او انتفاعاً من جمعه ! والفتحة ناقضة لهذا القصد، او صد الهجمات عمن وراء السدين ؟ وهذان السدان لم يكونا صدين لأيّ هاجم ، حيث الفتحة بينهما ممرٌّ لكل مارٍّ ، وقد طلبوا إليه أن يجعل بينهم وبين المفسدين سداً ! ثم وهم على سذاجتهم لحد لا يكادون يفقهون قولاً لم يكونوا ليفقهوا صناعة سدّ وقد فقهها المهندسون في دور التقدم والرقي ، ثم وَلِمَ يكملوا الصد في السدين طمّاً للفتحة بينهما ؟ !

اذاً فهما حاجزان طبيعيان لا يُظهر عليهما ولا يُنقبان « فما اسطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقباً » وان كان يختص هنا بالردم ، ولكن السدين ان لم يكونا في هذا الإختصاص كالردم ، كان جعل الردم دون فائدة !

اذاً فهما جبلان[1] صلبان شاهقان ، لا ينقصهما حجزاً عن الهاجمين إلاّ ردمٌ بينهما وقد طلبوه إليه ! وقد يلمح لذلك « حتى إذا ساوى بين الصَدَفين » : الجانبين الصلبين .

﴿ لا يكادون يفقهون قولاً ﴾[٩٣] لا يعني إلاّ النفي المعمّق لفقه القول ، لا نفي القول ، فرب قائل لا يفقه ما يقال له ولكنه يفقه ما يقول ! او يكاد يفقه قولاً .

ثم « قولاً » قد يعني معنى صالحاً من قوله ، لا لغة ، فانهم ـ لأقل تقدير ـ يفقهون لغتهم وقد تكلموا بها « قالوا يا ذا القرنين . . » ولا يرجى من أهل كلِّ لغة إلا تفهم لغته دون اللغات الاخرى .

فعلّهم كانوا في بساطتهم وسذاجتهم لحدٌّ لايفقهون قول اي قائلٍ سواهم اللّهم إلاّ من هو في مستواهم ، وذو القرنين كان يتحدث مع أهل

---

(١) في حديث الاصبغ عن امير المؤمنين (عليه السلام) « قالوا يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج » خلف هذين الجبلين وهم يفسدون في الارض .

كل لغة بلغتهم بسبب إلهي آتاه الله من كل شيء ومنه شيءٌ اللغة ، ولكنهم « لايكادون يفقهون قولاً » فقد لا يفقه الإنسان قولاً ولكنه يُفَقَّه لاستعداده ان يفقه بمحاولة ، وقد لا يستعد التفقه ولكنه يكاد أن يستعد فيفقه ، ولكن هؤلاء كانوا في البساطة وخفة الفهم لحد « لا يكادون يفقهون قولاً » ايّاً كان هذا القول إلاّ ممن هو في مستواهم ، ويردد عليهم مفاهيمهم دون ان يخطوها الى سواها ، وذو القرنين يريد ليحدثهم بلغتهم وبكل بساطة ، إلاّ أنهم « لا يكادون » حيث الفقه هو التوصل بعلم حاضر الى علم غائب ، وهم غيّبٌ عن تفهم اي غائب فـ « قولاً » يعني قولاً يحتاج الى تأمل وتفقه .

هنا ييأس هذا المصلح العالمي ان يفيدهم فقهاً ويزيدهم علماً ، فهل يذرهم بعد وعثاء السفر دونما افادة ؟ كلاّ ـ إنه أصغى اليهم ما هي متطلباتهم فـ « قالوا يا ذا القرنين . . » ! فهم مهما لا يفقهون قولاً فقد يفقهون الخطر الحادق عليهم ليل نهار من « ياجوج ومأجوج » فلما رأوه صالحاً قوياً مصلحاً تطلّبوا إليه صد المفسدين أن يجعل سداً .

﴿ قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً ﴾[٩٤] :

إنهم على بساطتهم يرون فيه فاتحا عدلاً قوياً صارماً يتوسمون فيه الصلاح والاصلاح وهم مستضعفون تحت وطأة الإفساد الدائب من وراء السدين من « ياجوج ومأجوج » حيث كانوا يهاجمونهم من وراء السدين فيعيثون في أرضهم فساداً وهم ضعاف عن مقابلتهم ، إفساداً في النسل والزرع[١] اماذا ؟

---

(١) في حديث الاصبغ عن امير المؤمنين (عليه السلام) . . اذا كان ابان زروعنا وثمارنا خرجوا علينا من هذين السدين فرعوا من ثمارنا وزروعنا حتى لايبقون منها شيئاً . . » .

﴿فهل نجعل لك خرجاً﴾؟ ذات دلالتين على التماسهم منه ١ ـ «أن تجعل بيننا وبينهم سداً» ٢ ـ هل تجعل سداً ـ واذاً فهل نجعل لك خرجاً: اجراً نُخرجه عما نُخرجه من مال او قوة؟ دون زيادة عنهما، والأجر أعم من الخرج ، فقد يتأجر أكثر مما يُخرج اعتباراً بلباقة الرأي ولياقة صاحب الرأي ، وهو عدل ما لم يُجحف ، او يسوي بين خرجه وأجره وهو فضل إذ لم يأخذ على تخصصه شيئاً ، ام لا يأخذ خرجاً وإنما يساعد طالب العمل العاجز بنفسه فيه ، يساعده في طلبه ، وهو فضل حيث اشتغل دون عوض ، وتفضل على صاحب العمل حيث استعمله كما يسطع دون بطالة ، وهكذا يفعل ذو القرنين ، كأفضل ما يمكن ان يقدِّمه مصلح قوي حكيم لمستضعفين مظلومين ، يتعاون معهم في صالحهم ، دون أن يأخذ أجراً أو خرجاً إلّا ان يستعملهم لما يطلبون إعانة بقوة ومال هما خرج للردم ودون أن يكون له شيء إلّا أجر من ربه .

فذو القرنين يبلغ بين السدين ، ويُطلب منه ان يجعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج سداً ، ان يصد بين السدين تخلصاً لهم عن افسادهم في ارضهم ، مما يبين كونهم مستضعفين وغير ظالمين ، وإلّا تطلبوا إليه صد الافساد فيما بينهم كما بينهم وبين المفسدين وراء السدين ، وبطبيعة الحال هؤلآء البله الذين لا يكادون يفقهون قولا لا يسطعون الإفساد ، أم إذا اسطاعوه لم يكونوا ليفسدوا فيما بينهم ، يدل على كل ذلك تطلبّهم إلى هذا المصلح العظيم ان يجعل سداً هو صدٌّ عن الإفساد في أرضهم !

من هذه الدعوة على بساطتها ومن تلكم الاجابة الخارقة في ذلك التعاون الصارم ندرس مدى وجوب صد الافساد من اي كان وأيا كان وأيان ! تكريساً لكافة الطاقات البشرية مع التوصل بامدادات إلهية ، خروجاً عن الإستضعاف وعيث الفساد ، دون اي مبرر لأية جماعة مستضعفة في تصابرهم على الفساد وتخاذلهم أمام المفسدين ، فصداً صداً أو

سداً سداً ! بعدما كلت كلّ المحاولات للقضاء على المفسدين او على فسادهم ام الهجرة عنهم امّاذا ؟ فلا يتبرّر المستضعف تحت نير الافساد من المستكبرين قولة « انا كنا مستضعفين في الارض » حيث يقال لهم : « ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك مأواهم جهنم ».. اللهم « إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً »(٤ : ٩٨) فما دام هنا سبيل الى التخلص اي سبيل ، كائناً او متمكناً ، فلا يُعذر المستضعف ، وحتى إذا لم يستطع حيلة ولا يهتدي سبيلاً فـ « اولئك عسى الله ان يعفو عنهم . . » ترجياً دون تحتم !

إذ فيهم من كانت له الهجرة او أية مقاطعة فتصابَرَ على تركها بنير الذل حتى زالت استطاعته وحيلته . . !إلاّ من انتشأ وظل بين المستكبرين قصوراً دون تقصير وقليل ما هم ؟

فيا له تكليفاً لزاماً ما أشمله : مجانبة عوامل الفساد قدر المستطاع ، دون سماح لأي هموم او خمول ، سلباً لكل فساد ، ومن ثم محاولة دوافع الصلاح والإصلاح فرضاً لزاماً قدر المستطاع دون سماح لاي هموم او خمول !

ولنكن ثالث ثلاثة من المستضعفين في حياة الجهاد الدموي الدائب . . والى رابع اضلاع الحياة : « ورثة الأرض » لا مستكبرين ولا مستضعفين ، وانما مؤمنين أقوياء في دولة مباركاة عالمية زمن المهدي من آل محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين !

.«ونقول لا قوام يظهرون الزهد ويدعون الناس أن يكونوا معهم على مثل الّذي هم عليه من التقشف : اخبروني أين أنتم من سليمان بن داود ثم ذو القرنين (عليهما السلام) ، عبدٌ أحب الله فأحبه الله ، طوى له الأسباب ، وملّكه مشارق الأرض ومغاربها ، وكان يقول الحق ويعمل به ثم

لم نجد أحداً عاب عليه !(١).

﴿ قال ما مكنني فيه ربي خيرٌ فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً(٩٥)آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصَدَفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال آتوني أُفرغ عليه قِطراً ﴾(٩٦):

«ما مكنني فيه ربي » أن مكنني في الأرض وآتاني من كل شيء سبباً ـ إنه « خيرٌ » من خرجكم . . فأنا أستعين بسبب من ربي علماً وقوة ، ثم « فاعينوني بقوة » بشرية، فليست القوة الخارقة الإلهية لتبطل او تعطّل قوة بشرية ، فمهما كان بالإمكان جعل الردم بسبب آلهي صارم دون تسبب الى قوة بشرية ، ولكنه عُطالة عارمة لهذه القوة ، فانما الخارقة للعادة فيما تقصر عنه العادة قدَره ، ام تثبيتاً لنبوة إلهية ليست لذي القرنين ، ام لحجة إلهية آية باهرة على رحمته .

وهذه سنة الله الدائبة ، عدم التغاضي عن الحول والقوة الخلقية ، فانه بطالة ، واحياناً فعل خارقة إلهية يساند الفعلة الخلقية ، وكما في جعل ذلك الردم .

« فأعينوني بقوة » قدر المستطاع من مال أو حال ، ألأجعل لكم سداً كيفما كان ؟ لا ! بل « ردماً » يسد الثلمة ، فأيسر طريقة وأقواها هي ردم الممر بين السدين ، ليردم الماردين المفسدين ، فلا يستطاعوا ان يظهروه لارتفاعه ، ولا ان ينقبوه لحدَّته ، فكم من سد يُظهر عليه وهو حديد ، وكم من سدّ رفيع يُنقب لانه وهيد غير حديد ، ولكنه ردمٌ يسد الثلمة نقباً وارتفاعاً ! .

---

(١) نور الثقلين ٣ : ٣٠٨ ح ٢٣٤ في الكافي علي بن ابراهيم عن ابيه عن هارون بن مسلم عن مسعدة بن صدقة عن ابي عبد الله (عليه السلام) حديث يقول فيه (عليه السلام) لاقوام . . . .

لم يكن هنالك طريقة أخرى لصدهم عن الإفساد إلاّ بسدهم ردماً ، فهل يقتل او يعذب المفسدين ثم يتركهم؟ فمن ذا يضمن عدم عودة الباقين إلى افسادهم ؟ وماذا يضمن من لا يسطع منهم الإفساد او هو تاركه الآن ألاّ يفسد بعد الآن ؟ او يبيدهم كلهم ؟ فقصاصاً قبل الجناية لبعضهم ! وعلّ في أنسال مفسديهم صالحين او مصلحين : فلا طريقة إذاً ـ امثل من صدهم بسدهم ! « قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكّاء وكان وعد ربي حقاً»(٩٨) .

﴿ آتوني زبر الحديد ﴾ والزُبرة واحدتها وهي القطعة العظيمة ، فقد طلب اليهم ان يأتوه قِطَعاً من الحديد دون تحديد « حتى اذا ساوى بين الصَدَفين » حيث ملأ بينهما من زبر الحديد لحد ساوى بين الصَدَفين : الجانين الصلبين من السدين ، وهي رُكامة حديدية بين الحاجزين فأصبحا كانهما صَدَفتان تغلقان ذلك الكوم الممر حيث الركام سامتَ القمتين ، ومن لطيف الصُدَف تساوي الصَدَفين كما تدل عليه « ساوى » .

وكيف يلحَم بين زبر الحديد حتى تصبح كأنها زبرة واحدة كجبل حديدي بين الجبلين ؟ هنالك نفخ وقِطرٌ يلحِّمان زبر الحديد كأقوى تلحيم ! « قال انفخوا » بمنافخ فنفخوا « حتى إذا جعله » المنفوخ « ناراً » فضمير المفرد رغم جمعية زبر الحديد يلمح الى حِدة الإلتحام بينهما لحد الوحدة أو كأنها زبرة واحدة ، ومن ثم « ناراً » لا نيران ، لمحة مليحة الى وحدة نارية بعد وحدة الإلتحام وحِدتّه ، نارٌ واحدة في شدة الحرارة والإلتحام .

وهل يكتفي بذلك ، وعلّ بين هذه الوحدة النارية فُرَجاً ؟ كلاّ ، إنه القطر : النحاس المذاب ، يفرغ على هذه النار الزبرة الحديدية فيكتمل أمر السد الردم ! .

﴿ قال آتوني افرغ عليه قطراً ﴾ نحاساً مذاباً يتخلل الحديد النار ، ويقويه أقوى من خالص الحديد ، قِطرٌ على حديد ونارٌ على نار .

وهذا الخلط كان من الأسباب القوية لتحكيم الردم ، وقد استخدمت هذه الطريقة حديثاً في تقوية كلٍّ من النحاس والحديد فكلٌ بمفرده أضعف من هكذا خلط يجعلهما كالفولاذ !

كما وان ذلك النفخ وزبر الحديد ومذاب النحاس بعيد عن قوم «لايكادون يفقهون قولاً» حيث البداءة والسذاجة في أبسط مراحلها جعلت منهم بُلهاً لا يعرفون شيئاً ، فكيف لهم باتيان زبر الحديد ، والنفخ فيه لحد جعله ناراً والنحاس المذاب ، فلم يكن لهم شغل في هذه الثلاث الآ اتيان زبر الحديد « آتوني . . » دون استخراجها من معدنها ، او نفخ فيها دون المنفخ « قال انفخوا » ثم ايتاءً « آتوني افرغ عليه قطراً » حيث إفراغ القطر من فعله دونهم ، وإنما هم عمّال في هذه الثلاث : ايتاء ونفخ وايتاء ، وأما تحصيل زبر الحديد والمنفخ والنحاس وإذابته فكل ذلك مما آتاه الله من كل شيء سبباً !

فهناك معدن للحديد دلّهم ذو القرنين على استخراجه ، ومنفخ دل على اصطناعه امّاذا ، ومعدن للقطر ثم مذيبٌ ، كل ذلك باسباب خارقة إلهية وهم عمّال يؤمرون لا مصطنعون ومخترعون !

﴿ فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً ﴾[٩٧] فقد صدهم هذا السدّ ، إذ حاولوا أن يظهروه فما اسطاعوا، وحاولوا له نقباً لينفذوه فما استطاعوا ، فاستراح هؤلآء المستضعفون عن إفسادهم وكأنهم سألوه من اين هذه الكرامات الخارقة فـ :

﴿ قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكّاء وكان وعد ربي حقاً ﴾[٩٨] .

ذلك الملِك العدل الرؤف يجتاح الأرض مشارقها ومغاربها ممكّنا متمكّنا ميسَّراً له من كل الأسباب ، ولا تأخذه العزة بالاثم والكبرياء بالخيلاء ، ولا يطغى تبطراً ، ولا يبغي من القدرة مغنماً ، ولا يستغل السلطة استعباداً ، وإنما ينشر عدلاً ورحمة ، ويأتي بخارقة تلو الأخرى ، وعند انتهاء هذه الحلقة « قال هذا رحمة من ربي » يسند كل ما أتى به الى رحمة ربه دون سناد إلى نفسه إلّا كواسطة في هذه وتلك الخارقة .

ولكيلا يخلد الى خَلَدٍ خلود ردْمه الفولاذي يدكّه بوعد ربه : « فاذا جاء وعد ربي » تدميراً بعد تعميره « جعله دكّاء » : ليِّنة سهلة ، بعد ما كانت فولاذية مرتفعة صلبة « وكان وعد ربي حقاً » في دكّها .

ترى وما هو ذلك الوعد ؟ هل هو الوعد العام بدكداك الأرض وما عليها وبضمنها ذلك الردم : « إذا دكت الأرض دكاً ،وبست الجبال بساً » ؟

﴿ وتركنا بعضهم يومئذٍ يموج في بعضٍ ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً[٩٩]وعرضنا جهنم يومئذٍ للكافرين عرضاً ﴾[١٠٠]

تدلنا على تماوج الأحياء بعد دكداك الردّم ، ثم بعدهما نفخ الصور وجمع الجمع ! ثم وآية الأنبياء قد تناصرها أن وعد الدكداك هذا قبل القيامة الكبرى : « وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون ، حتى إذا فتحت ياجوج ومأجوج وهم من كل حَدَب ينسلون . واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين » (٢١ : ٩٧) .

ففتح ياجوج ومأجوج بدكّ الردم ، والدك الفتح هما في الآيتين قبل جمع الجمع ، فهناك « ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً » وهنا أدل منها واقرب « واقترب الوعد الحق » فجمع الجمع والوعد الحق هما بعد وعد الرب ودكّ الردم .

وعدٌ اوّل خاص يشمل دك الردم ، ففتح ياجوج وماجوج كشرط من أشراط الساعة الوعد العام .

ثم الوعد الحق في قيامتي التدمير والتعمير هو مقترب ـ لا واقع ـ عند وعد الرب بهدم الردم وفتحهم وتركهم يومئذ يموج بعضهم في بعض وهم من كل حدب ينسلون ، فـ « ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً » الرامي إلى نفخة الإحياء ليس إلاّ بعد نفخة الإماتة ، وهي بعد اقتراب الساعة بأشراطها التي منها : « فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء : : »!

وترى من « هم » في « وتركنا بعضهم . . » ؟ أهم يأجوج ومأجوج ؟ وهم كان بعضهم مائجاً في بعض قبل دكّاء الردم !

ام هم المجموعة منهم والقوم الذين كانوا لا يكادون يفقهون قولاً ، مستضعفين ومستكبرين ، اذ انفتح الردم ففتحوا كما كانوا قبل سد الردم ، فاصبحوا كأمواج البحر الملتطم يتلاطمون في تماوج عارم وتهارج صارم ، وهو الصحيح !

او هم مجموعة المكلفين من الجنة والناس اجمعين ، يتركهم يومئذٍ يموج بعضهم في بعض ، في هَرْج ومَرْجٍ وفساد دائم وظلم عارم ، وعلّه الأصح !

ان ياجوج ومأجوج ـ ايأً كانوا ـ إنهم بعد ذلك الفتح من كل حدب ينسلون ، ولأن « حَدَبَ » هو المرتفع ، فكلُّ حدب يعم كلَّ مرتفع يمكن أن يرتفع : من مرتفعات بحرية وبرية او جوية ، محلّقين على كل محلق ، دون اختصاص بحدب الردم ولا حَدَب له بعد دكّه ! .

وان « ينسلون » هو : ينفصلون مسرعين ، ويلدون ، فـ « هم من كل حدب ينسلون » قد يعني الهرج والمرج العالمي من قبيل يأجوج ومأجوج ، مسيطرين على كل مرتفع ، مسرعين في الإنفصال عنه الى الناس

المستضعفين ، ناسلين ولداً به يكثرون ، وعند ذلك الطامة الوسطى : ان تملأ الأرض ظلماً وجوراً نظرة ان يملأها الله بعده قسطاً وعدلاً بالقائم المهدي عجل الله تعالى فرجه وسهل مخرجه .

ولان « المَوَجان » من صفات الماء الكثير ، فـ « يموج بعضهم في بعض » توحي بشدة اختلافهم ، ودخول بعضهم في بعض لكثرة اضدادهم ، تشبيها بموج البحر المتلاطم ، والتفاف الدبا المتعاظل، تماوج مختلف المياه عذباً ومالحاً ومُراً أجاجاً .

وهكذا تكون الفتنة العالمية حيث تُملأ الأرض ظلماً وجوراً ، فلا يبقى موضع قدم إلاّ وفيه هرْج ومرْج !

﴿ اين ردم ذي القرنين ؟

لان ذلك الردم بدكّه وفتح ياجوج ومأجوج هما شرطٌ من أشراط الساعة : « اقترب الوعد الحق . » فلنحاول في الحصول على معرفة عنها قدر المستطاع على ضوء القرآن ، وما يلائمه او يثبت من السنة والتأريخ الجغرافي وسواه .

فهل إن ذلك الردم هو جدار الصين ؟ وليس سدّاً ولا ردماً ! وليس حديدياً وذلك الردم حديد بقطر ! وليس بين جبلين ، بل بين سهول وجبال عدة والردم بين جبلين ! وقد بناه ذو القرنين وجدار الصين بناه « شين هوانك تي » في طول ألف كيلو متراً وعرض تسعة امتار وارتفاع خمسة عشر متراً بالأحجار ، وهو قاطن الصين دون سفر إليه لبناء جداره و ذلك بنى ردمه في سفرة بعيدة .

ثم وبناء سد في حجم ١٣٥٠٠٠,٠٠٠متراً بحاجة الى ملايين الأطنان من خليط القطر والحديد ، فاين سدٌ من جدار وبانٍ من بان ؟

فهل هو بعدُ سد باب الحديد في عمالة بلخ وراء جيحون بمقربة من مدينة ترمذ كما جاء في بعض المؤلفات[١] ؟ولم يتضح لنا بعدُ وجود هجمات تصدّ بذلك السد وهو خلاف اسمه ليس فيه حديد وقد بناه كسرى نوشروان .

ام سدّ ثان في مضيق جبال قفقاز الممتدة من بحر الخزر الى البحر الأسود ، المسمى بمضيق داريال[٢]بين بلدة تفليس وولادي كيوكز .

وهذا السد المسمى باللغة المحلية «دمير قاثو» اي : باب الحديد : يقع في ذلك المضيق بين جبلين شاهقين يمتدان من جانبيه ، وهو الفتحة الوحيدة الرابطة بين جانبي الجنوبي والشمالي مع ما ينضم إليها من بحر الخزر والبحر الأسود ، حاجز طبيعي بطول الوف من الكيلومترات يحجز جنوب آسيا من شمالها .

وكان يهجم في تلك الأعصار أقوام شريرة من قاطني الشمال الشرقي من آسيا من مضيق جبال قفقاز الى مايو اليها من الجنوب ، فيغيرون على ما دونها من أرمينستان ثم ايران حتى كلدة والأشور ، كما هجموا حوالي المائة السابعة قبل الميلاد فعمموا البلاد قتلاً وسبياً ونهباً حتى بلغوا نينوى

---

(١) في مجلة المقتطف المصري ١٨٨٨ كما نقله في الجواهر انه اتضح لنا من المصنفات العربية وجود سد وراء جيحون في عمالة بلخ واسمه سد باب الحديد بمقربة من مدينة ترمذ وقد اجتازه تيمورلنك بجيشه ودعا مؤرخه شرف الدين اسم المحل « خلوجة » ومر به ايضاً شاه روح وكان في خدمته ومن بطانته الالماني: سيلد برجر ـ وذكر السدّ في كتابه وذلك في اوائل القرن الخامس عشر وذكره الاسباني : كلما فيجو في رحلته سنة ١٤٠٣ وكان رسولاً من ملك كستيل (قشتاله) بالاندلس الى : تيمورلنك ـ قال : ان سد مدينة باب الحديد على الطريق الموصل بين سمرقند والهند .

(٢) لعله من اصل داريول بمعنى المضيق بالتركية ويسمى باللغة المحلية «دمير قاپو» اي : باب الحديد .

عاصمة الأشور وذلك في عهد كورش .

ويذكر المؤرخون في كهردوت اليوناني سير كورش الى شمالي ايران لاخماد نائرة الفتن المشتعلة هناك، وكأنه هو باني ذلك الردم في هذا المضيق، وهو الردم الوحيد الذي بُني بالحديد بين جبلين ، ويذكره يوسف اليهودي المؤرخ عند ذكر رحلته الى شمالي قفقاز[١] وبينه وبين كسرى باني سد باب الحديد قرون !

ثم هناك نهر بالقرب منه يسمى « سايروس » وهو اسم كورش عند الغربيين[٢].

ولانه الردم الوحيد الذي نعرفه حتى الآن فعلّه هو الذي بناه ذو القرنين، او سوف يكتشف ردمه، لا نتأكد الآن شيئاً، والظاهر لحد الآن أنه « باب الحديد » هذا ، حيث يوافق الردم إسماً ومسمى وموقعاً جغرافياً ، وهو الوحيد فيما نعرفه ! ثم ولا غرض عقلائياً ولا قوة عادياً ولا موقع جغرافياً في بناء ردم فتولاذي إلّا كما يقصه القرآن ، واذ لا نجد غير «دمير قاثو» في نفس الموقع والهدف والقوة فليكن هو الردم المذكور في القرآن والله اعلم[٣].

---

(١) الدر المنثور ٤ : ٢٥٠ ـ اخرج ابن المنذر عن علي بن ابي طالب (عليه السلام) انه سئل عن الترك فقال : هم سيارة ليس لهم اصل هم من يأجوج ومأجوج لكنهم خرجوا يغيرون على الناس فجاء ذو القرنين فسد بينهم وبين قومهم فذهبوا سيارة في الارض

(٢) هذا التاريخ ننقله عن الميزان ج ١٦ ص ٣٩٤ والتحليل والمقالسة منا .

(٣) الدر المنثور ٤ : ٢٥٠ ـ اخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابي بكرة النسفي ان رجلاً قال : يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ! قد رأيت سدياجوج : قال : (صلى الله عليه وآله وسلم) : انعته لي ـ قال : كالبرد المجر طريقة سوداء وطريقة حمراء ـ قال : (صلى الله عليه وآله وسلم) قد رأيته .

ومن هم ياجوج وماجوج ؟

لقد كثر القيل والقال حولهما ، ما يحمل تناقضات من أسطورات تدهش العقول وتوحش الحقول ، ولأن فتح ياجوج ومأجوج من أشراط الساعة كما في الكتاب والسنة[1] فعلينا النقب والتنقير الكثير حول « من هما

---

(١) نور الثقلين ٣ : ٣٠٩ ج ٢٣٩ في كتاب الخصال عن ابي الطفيل عامر بن واثلة عن حذيفة بن اسيد الغفاري قال : كنا جلوساً في المدينة في ظل حائط قال : وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في غرفة فاطلع الينا فقال : فيم انتم ؟ قلنا : نتحدث ـ قال : عماذا ؟ قلنا عن الساعة ـ فقال : انكم لا ترون الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات : طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض وثلاثة خسوف يكون في الارض : خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وخروج عيسى بن مريم وخروج ياجوج وماجوج ويكون في آخر الزمان نار تخرج من اليمن من قعر الارض لا تدع خلفها احداً الا تسوق الناس الى المحشر ، كلما قاموا قامت ثم تسوقهم الى المحشر .

وفي ح ٢٤٠ حديث حذيفة قال سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : عشر آيات بين يدي الساعة : خمس بالمشرق وخمس بالمغرب فذكر الدابة والدجال وطلوع الشمس من مغربها وعيسى بن مريم وياجوج وماجوج وانه يغلبهم ويغرقهم في البحر ولم يذكر تمام الآيات

وفي الدر المنثور ٣: ٢٥٢ ـ اخرج الحاكم وصححه عن حذيفة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) انا اعلم بما مع الدجال معه نهران احدهما نار تاجج في عين من رآه والآخر ماء ابيض فان ادركه احد منكم فليغمض ويشرب من الذي يراه ناراً فانه ماء بارد واياكم والآخر فانه الفتنة واعلموا انه مكتوب بين عينيه كافر يقرءه من يكتب ومن لا يكتب وان احدى عينيه ممسوحة عليها ظفرة انه يطلع من آخر امره على بطن الاردن على ثنية افيق وكل احد يؤمن بالله واليوم الآخر ببطن الاردن وانه يقتل من المسلمين ثلثاً ويهزم ثلثاً ويبقى ثلث ويجن عليهم الليل فيقول بعض المؤمنين لبعض ما تنتظرون ان تلحقوا اخوانكم في مرضات ربكم من كان عنده فضل طعام فليفد به على اخيه وصلوا حتى ينفجر الفجر وعجلوا الصلاة ثم اقبلوا على عدوكم فلما قاموا يصلون نزل عيسى بن مريم امامهم فصلى بهم فلما انصرف قال هكذا فرجوا بيني وبين عدو الله فيذوب وسلط الله عليهم من المسلمين فيقتلونهم حتى ان الشجر والحجر لينادي يا

واين هما وهل فتحوا حتى الآن أمّاذا»؟ فلنجعل الكتاب الإمام أمامنا ، فندرس آيتي ياجوج ومأجوج نبراساً ينير لنا الدرب الى معرفتهما ، ومتراساً يبير كل ياجوج ومأجوج اختلقتها ايدي الدس والتجديف ، وتقولتها ألسنة التحريف .

﴿ فما اسطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقباً[٩٧]قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقاً[٩٨]وتركنا بعضهم يومئذٍ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً ﴾[٩٩] .

« وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون[٩٥]حتى إذا فتحت ياجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون[٩٦]واقترب الوعد الحق فاذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين » (٢١ : ٩٧) .

قد تعني مقابلة «جعله دكاء» لـ «ما اسطاعوا أن يظهروه وما

=عبد الله يا عبد الرحمن يا مسلم هذا يهودي فاقتله فيقتلهم الله وينصر المسلمون فيكسرون الصليب ويقتلون الخزير ويضعون الجزية فبينما هم كذلك اخرج الله ياجوج ومأجوج فتشرب اوائلهم البحيرة ويجيء آخرهم وقد انتشفوا ولا يدعوا فيه قطرة فيقولون ظهرنا على اعدائنا قد كان ها هنا اثر ماء فيجيء نبي الله واصحابه وراءه حتى يدخلوا مدينة من مدائن فلسطين تقال لها : لدّ فيقولون ظهرنا على من في الارض فتعالوا نقاتل من في السماء فيدعو الله نبيه عند ذلك فيبعث عليهم قرحة في حلوقهم فلا يبقى منهم بشر فيؤذي ريحهم المسلمين فيدعو عيسى فيرسل الله عليهم ريحاً فتقذفهم في البحر اجمعين.

وفيه اخرج نعيم بن حماد في الفتن وابن مردويه بسند رواه عن ابن عباس قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعثني الله ليلة اسري بي الى ياجوج ومأجوج فدعوتهم الى دين الله وعبادته فابوا ان يجيبوني فهم في النار مع من عصى من ولد آدم وولد ابليس .

استطاعوا له نقباً » إضافة إلى دكداك الردم نفسه ، أنهم سوف يستطعون ان يظهروه او يستطيعون له نقبا فينقبونه ، ظهور الغلبة عليه هدماً ام التحليق عليه دون هدم !

لذلك ترى آية الأنبياء تنسب الفتح الى ياجوج ومأجوج ، دون تصريحة او تلويحة لدكداك الردم هدماً ، بل « وهم من كل حدب ينسلون » قد تلمح أنهم يظهرون على حَدَب الردم ضمن كل حَدَب دون دكّ لايٍّ حَدَب حتى الردم .

فان ثبت لدينا فتح لياجوج ومأجوج والردم باق ، لم يثبت تهافت بين آيتي الكهف والانبياء !

كما ومقابلة « وعد ربي » بـ « رحمة من ربي » تعني رجعة الإفساد من يأجوج ومأجوج كوعد للعذاب بعد الرحمة ، سواء أبقى الردم ام دُكَّ بدكاء الوعد العذاب .

وذلك الوعد هو قبل القيامة الكبرى وهو من أشراطها ، حيث « نفخ في الصور فجمعناهم جمعاً » بعده ، وفتح ياجوج ومأجوج عند اقتراب الوعد الحق !

وترى إن « وعد ربي » شرطاً من أشراط الوعد الحق ، هل يختص بردح خاص من الزمن او قد يتكرر ؟

آيات الإفساد العالمي الاسرائيلي مرتين كما شرحناها في « الأسرى » تدلنا على كرور الوعد ، فعلّ العالمي منه اثنان ثم هناك وعدٌ أم وعود جانبية ومنها الهجمة الجنكيزخانية التي سودت وجه التاريخ الانساني !

ومهما كان ياجوج ومأجوج في البداية أمتين من بني الإنسان في سالف الزمن ، فقد تعني ، «حتى إذا فتحت ياجوج ومأجوج » كل امة مفسدة

تؤجج نيران الفساد في هذه المعمورة ومن أفسدها « اسرائيل » : لتفسدن في الأرض مرتين . . » ! مهما كان الاوّلون من المغول والتتار امّن ذا ؟

آية الانبياء الأولى : « وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون » تحرم الرجعة الى الدنيا بعد الموتة فهي من آيات الرجعة[١] والثانية : « حتى إذا فتحت» تقرر أمد هذه الرجعة أنها بعدما فتحت ياجوج ومأجوج، وعلّه الإفساد العالمي الثاني الإسرائيلي قبيل الرجعة، أو الأوّل قبلها، ام الهجمة الجنكيزية قبلهما ، ام تعنى الثلاثة تعميماً ليأجوج ومأجوج الى مؤججي نيران الفساد اياً كانوا وأهمه الإفسادان العالميان « وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين » او ان بني اسرائيل هم رؤوس الفساد في هذين ، ويأجوج ومأجوج يؤججانه امّاذا ؟

ياجوج ومأجوج هما كلمتان أعجميتان معربتان حيث هما ممنوعا الصرف ، ولا شك أنهما أمتان من امم البشرية هما أمثولة الإفساد طول التاريخ بمن يساندهما .

وقد يلمح « وهم من كل حدب ينسلون » إلى انتشارهم في أرجاء المعمورة بعدما صدهم ذو القرنين بسدّهم ، وقد سئل الامام علي (عليه السلام) عن الترك فقال : هم سيارة ليس لهم أصل ، هم من يأجوج ومأجوج ولكنهم خرجوا يغيرون على الناس فجاء ذو القرنين فسد بينهم وبين قومهم فذهبوا سيارة في الأرض »[٢].

---

(١) تفصيل البحث حول آية الانبياء تجده عند تفسيرها ، ومن الوجوه الراجحة ان اهل قرية اهلكناها حرام عليهم الرجوع لتكملة الحياة حتى اذا فتحت . . فاذا فتحت يرجعون لا لتحصيل السعادة وانما لتكميل الشقاوة فانهم ممن محض الكفر محضاً ، فالآية اذاً من آيات الرجعة وتدل على ان فتح ياجوج ومأجوج قبيل الرجعة فيناسب قبلها القريب كالإفساد العالمي الثاني الاسرائيلي ، والبعيد كفتنة المغول ، او انهما معنيان .

(٢) الدر المنثور ٤ : ٢٥١ ـ اخرج ابن المنذر عن علي بن ابي طالب . . .

وكذلك نرى الامة الاسرائيلية كانوا طول قرونهم والى احتلال فلسطين، كانوا سيارة في الأرض مفسدين اياً كانوا .

لست اقول انهم من أصل الترك وياجوج ومأجوج ، فانما كونهم سيارة الأرض المفسدين يجعلهم مع ياجوج ومأجوج أمة الإفساد في التاريخ ، بل هم لعلهم اشد منهم وانكى او هم الأصل في الإفساد منذ كانوا وعلى هوامشهم سائر الامم المفسدة .

ولان اللغات متطورة كما المجتمعات ، فقد يقرب القول أنهما المغول والتتار وهما من الترك ، والمغول في الصيني « منكوك » او « منجوك » وكأن الكلمتين نقل عبراني وهما في التراجم اليونانية وغيرها للعهد العتيق « گوك » و « ماكوك » والمشابهة الكاملة بين « ماكوك » و « منكوك » يقضي انها متطورة من « منكوك » كما اشتق منه « منغول » و « مغول ».

فلعل ياجوج هو « كوك » ومأجوج هو « ماكوك » فهذا المغول وذلك التتار ، وقد ذكر بعض المدققين أن المغول والتتار من رجل واحد يقال له « ترك » وهو الذي سماه أبو الفداء باسم يأجوج ، وقد كانوا يشغلون الجزء الشمالي من آسيا ، تمتد بلادهم من « التبت والصين » إلى المحيط المنجمد الشمالي وتنتهي غرباً بما يلي بلاد « تركستان »[1].

ويذكر المؤرخون المسلمون والإفرنج أن هذه الامة النكدة كانت تغير قديماً وفي مختلف الزمن على الأمم المجاورة لها ، ومنهم المتوحشة كالسيول الجارفة التي انحدرت من الهضبات المرتفعة من آسيا الوسطى وذهبت الى أوروبا قديماً، فمنهم أمة السيت والسمرياق والمسجيت والهون ، وكم أغاروا

---

(١) كما في (فاكهة الخلفاء) وابن مسكوية في (تهذيب الاخلاق) وفي (رسائل اخوان الصفا) فقد ذكروا ان هؤلاء هم ياجوج ومأجوج .

على بلاد الصين وعلى أمم آسيا الغربية التي كانت مقر الأنبياء ، فكانوا يحذرون قومهم من هؤلاء . .[١].

طلب من ذي القرنين أن يجعل بينهم وبين قاطني الشرق الأقصى سدّا فعمل رَدماً فظلوا محجوزين ردحاً من الزمن « حتى إذا فتحت ياجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون » في مثلث الإفساد العالمي ، يتكفل أولاه في داهية دهياء وغارة عشواء « تموجين » الملقب نفسه « جنكيزخان »ـ

إنه ـ وكما في القرآن : « وهم من كل حدب ينسلون » خرج بجيشه الجرار من الهضبات المرتفعة والجبال الشاهقة التي في آسيا الوسطى في اوائل القرن السابع من الهجرة ـ

جنكيزخان بعدما يجمع أمة التتار تحت حكمه العارم يخضع الصين الشمالية ثم يذهب إلى البلاد الإسلامية ويخضع سلطان محمد السجلوقي ملك خوارزم ، وكان يمتد ملكه على بلاد تركستان والفرس ، فسقطت هذه الدولة بعد عشر سنين من الحرب المتواصلة ـ

جنكيزخان المغول الفاتح بعد هذه المدة يرتكب من المنكرات هناك ما لم يسمع مثله في التأريخ ، فقد قتّلوهم رجالاً ونساء وأطفالاً ، وارتكبوا من الفواحش ما سوّد وجه التأريخ ـ

في مدينة خوارزم وحدها ، يفتك بها هدماً واحراقاً وإهراقاً لدماء الأبرياء فأصبحت أنهاراً من الدماء ، كما فعلوا مثلها بسمرقند وبخارى

---

(١) لقد فصل في رسائل قديمة ألفت في القرنين الثالث والرابع ان امة ياجوج وماجوج هم سكان تلك الجبهة المتقدمة شمال الصين وحددت بلادهم بانها من نحو سبع وعشرين درجة من العرض الشمالي الى نحو خمسين درجة مثه وهذه البلاد الآن جزء عظيم من الصين وفيها بكين عاصمتها الآن ولقد كانوا أغا روا على الامم جميعاً وكانوا كفاتحين للعالم كله .

وغيرهما ، وفتكوا بأهالي نيسابور وأفنوهم عن آخرهم حتى الأطفال والحيوان وأحرقوا البلد ، وأصبحت القتلى في واقعة مرو مليوناً وثلاثمائة وثلاثين الفاً !

وهذه نبذة يسيرة من بحر فظايعهم هناك[1] ومن ثم كافة البلاد إلاّ شذراً : فقد أخضعوا بلاد الهند فمات « جنكيزخان ».

ولما ملك ابنة (اقطاى) اغار ابن اخيه (باتو) على الـروس (٧٢٢) ودمروا (بولونيا) و (بلاد المجر) وأحرقوا وخرّبوا ـ

وبعد موت (اقطاى) قام مقامه (جالوك) فحارب ملك الروم وألجأه إلى دفع الجزية .

ثم مات (جالوك) وقام مقامه ابن اخيه (منجوا) فكلف أخويه (كيلاى وهولاكو) ان يستمر في طريق الفتح ، فيتجه الأوّل الى بلاد الصين والثاني إلى الممالك الإسلامية . ففعلوا ما فعلوا من القتل والتدمير .

أسلمت بغداد سبعة ايام للقتل والسلب والنهب فسالت فيها أنهر الدماء وطرحوا الكتب العلمية في دجلة وجعلوها جسراً يمرون عليه بخيولهم وقتل الخليفة العباسي المستعصم بالله وعلقت جثته في ذَنَب حصان وساروا بها بين أسوار بغداد . . وقد استمرت فتوحات المغول إلى سوريا . .

الفتنة المغولية تفتك بالبلاد كلها من مشارق الأرض ومغاربها إلاّ مكة والمدينة وبيت المقدس ، وعلّه اليها الاشارة في حديث يأجوج ومأجوج أن مقدمتهم في الشام وساقتهم بخراسان ، وكما في تصريحة أخرى انهم لا يدخلون المدن الثلاث .

وقد يعنيه الحديث « ويخرج في آخر الزمان رجل يسمى أمير العصب

---

(١) راجع دائرة المعارف وابن خلدون وفاكهة الخلفاء .

أصحابه محسورون محقرون مقصّون عن ابواب السلطان يأتونه من كل فج عميق كانهم فزع الطريق يورثهم الله مشارق الأرض ومغاربها .

ومن « السبب الظاهر في هذه الفتنة أن سلطان خوارزم يقتل رسل « جنكيزخان » والتجار المرسلين من بلاده ويسلب أموالهم ويغير على أطراف بلاده فيغتاظ « جنكيزخان » ويكتب اليه كتابه يهدّده فيه بما فعل[1].

ذلك إفساد في الأرض مرة شاملة من « يأجوج ومأجوج » وقد تلمح «حتى اذا فتحت » أنها الأولى منهم والأخيرة كشرط من أشراط الساعة ، ومن ثم إفسادان عالميان من بني اسرائيل كما في آية « الاسرى »، فانها تخص إفسادهم في مرتين لا كل إفساد من ايٍّ كان ، كما وآية الفتح ليأجوج ومأجوج تخص فتحهم في افسادهم الظاهر في مرة .

أو أن فتحهم يعني جنسه الشامل للمرات الثلاث ، مرة تخصهم كما

---

(١) نص الكتاب هكذا : « كيف تجرأتم على اصحابي ورجالي واخذتم تجارتي ومالي ؟ وهل ورد في دينكم او جاز في اعتقادكم ويقينكم ان يريقوا دم الابرياء او تستحلوا اموال الاتقياء او تعادوا من لم يعادكم وتكدروا صفو عيش من صافاكم ، وتحركون الفتنة النائمة وتنبهون الشرور الكامنة او ما جاءكم عن نبيكم سريكم وعليكم ان تمنعوا عن السفاهة غويكم وعن الظلم الضعيف قويكم او ماخبركم مخبروكم وبلغكم عنه مرشدوكم ونبأ محدثوكم « اتركوا الترك ما تركوكم » وكيف تؤذون الجار وتسيئون الجوار ونبيكم قد اوصى به مع انكم ما ذقتم طعم شهده او صابه ولا بلوتم شدائد اوصافه او صابه ألا إن الفتنة نائمة فلا توقظوها وهذه وصايا اليكم فعوها واحفظوها وتلافوا هذا التلف قبل ان ينهض داعي الانتقام وتقوم سوق الفتن ويظهر من الشر ما بطن ويروج بحر البلاء ويموج وينفتح عليكم سد يأجوج ومأجوج وسينصر الله المظلوم والانتقام من الظالم امر معلوم ولا بد ان الخالق القديم والحاكم الحكيم يظهر سر ربوبيته وآثار عدله في بريته فان به الحول والقوة ومنه النصرة مرجوة فلترون من جزاء افعالكم العجب ولينسلن عليكم يأجوج ومأجوج من كل حدب (جنليز خان) (تفسير الجواهر ٩ : ٢٠٤) .

مرت ، ثم هم يشتركون في المرتين الإسرائيليتين العالميتين ، طالما هم فيها أصلاء ، وياجوج ومأجوج هوامش عملاء ، كسائر المفسدين الهوامش اللُّعناء .

فكل من يشارك إسرائيل في مرتي الإفساد العالميين من عمال الفساد هو في سجيته وعلانيته وسريرته ، إنه اسرائيلي مهما كان من ياجوج ومأجوج امّن ذا ؟

كما الفتنة اليأجوجية تشمل كل عميل من غيرهما أياً كان وأيان !

وطبيعة الحال قاضية أن الإفساد العالمي الإسرائيلي في مرّتيه ، لا يخص بني اسرائيل إلّا كأصول ، فكل مفسد في الأرض يشاركهم أصيلاً وبديلاً وعميلاً أمّن ذا ؟ :

نحن نعيش الآن الإفساد الاسرائيلي العالمي الاوّل ، فالمفسدون الأصلاء هم اسرائيليون ، والمفسدون العملاء او البدلاء من كفار الشرق والغرب ، ومن يساندهم من زعماء المسلمين امّن ذا ـ هؤلاء كلهم اسرائيليون فروع ! فالكفر ملة واحدة !

او قد يعني « إذا فتحت ياجوج ومأجوج » الإفساد العالمي الثاني بعلوّه الكبير من إسرائيل ، وياجوج ومأجوج وهما أمثولة الإفساد شرقاً وغرباً يعملون عِمالاتهم الإسرائيلية في مشارق الأرض ومغاربها ؟ كلٌ محتمل ! مع الحفاظ على ان هناك مراحل ثلاث من الإفساد العالمي طول التاريخ الرسالي يتكفل أولاها « ياجوج وماجوج » كأصلين اصيلين في ذلك الإفساد ، والأُصَلاء في الأخريين هم الاسرائيليون وغيرهم عملاء من يأجوج ومأجوج وسواهم !

وايأ كان إفساد يأجوج ومأجوج فاللائح من آيتي الكهف والأنبياء وحدته فيما هم فيه أصلاء : «وتركنا بعضهم يومئذٍ يموج في بعض » فهو يوم

وزمن واحد « حتى إذا فتحت ياجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون » فهو فتح واحد بنسل واحد ! مهما كانوا في المرتين الإسرائيليتين فروعاً عملاء ، كما قد يكون هؤلاء عملاء في المرة التي يأجوج ومأجوج فيها أصلاء .

وقصارى الإقتصار على المرتين الإسرائيليتين أن ياجوج ومأجوج في الثانية أصلاء كما الاسرائيليون لا عملاء ، ولكنهم الأصل الاول وهما الاصل الثاني .

وقصارى المستفاد من الآيتين في الزمن التقريبي لفتحهما أنه قبيل الرجعة وقيام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) حيث عقّب قيام الساعة : « ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً » بـ « وتركنا بعضهم يومئذٍ يموج في بعض» في آية واحدة، ولولا آية الأنبياء «حتى اذا فتحت . . واقترب الوعد الحق . . » بعد « وحرام على قرية . . » لاحتملنا قريباً او قلنا أن فتحهم بين الرجعة والقيامة !

فهنالك قرب قريب إلى الوعد الحق هو الرجعة وقيام المهدي (عليه السلام) وقبلهما قرب ابعد منه هو فتح يأجوج ومأجوج ، مما يقرّب احتمال أنه من الافساد الاسرائيلي العالمي !

ثم «وتركنا بعضهم يومئذٍ يموج في بعض» يعني ترك المستضعفين والمستكبرين المفسدين يموج بعضهم في بعض ، وبه تملأ الأرض ظلماً وجوراً ومن ثم يملأها قسطاً وعدلاً بالقائم المهدي من آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ومما يؤيده او يؤكده أن هناك وعدين لا ثالث لهما ، الوعد الاوّل يخص فتح ياجوج ومأجوج: « فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء . . » والوعد **الثاني هو القيامة الكبرى « واقترب الوعد الحق » اذاً فقبل الوعد الحق كانه**

وعدٌ واحدٌ، رغم ان الإفسادين العالميين الإسرائيليين هما وعدان قبل الوعد الحق « فاذا جاء وعد اولاهما . . فاذا جاء وعد الآخرة . . » فليكن الوعد اليأجوجي مع الوعد الثاني الإسرائيلي !

اللّهم إلاّ أن الوعدين هذين متجهان الى الاسرائيليين ، وذلك الوعد اليأجوجي متجهة الى غيرهم حيث هم بفتحهم وعدُ العذاب على العالم أجمع ؟ وقد يكون الإفساد الثاني الإسرائيلي محط الوعدين ضد اسرائيل وعملاءه ، وضد العالم اجمع !

ومهما يكن من شيء فلا ريب أن الافساد الثاني والأخير العالمي يشترك فيه كافة المفسدين ، يفتح فيه كل ياجوج ومأجوج والإسرائيليون وكافة العملاء ، وفيه العلو الكبير « لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علواً كبيراً » .

ولانه من أقرب أشراط الساعة لحد تلحقه القيامة « وتركنا . ونفخ . . » « فإذا جاء وعد الآخرة ليسوئوا وجوهكم . . وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً » !

وأن الإفساد العالمي يتطلب نسل المفسدين من كل حدب دون ايّ صدٌ او سدٌ « وهم من كل حدب ينسلون » وأن كلاً من إسرائيل ويأجوج ومأجوج أصل في هذه الفتنة العالمية ، فقد يقرب ما قربناه !

ولكنما الفتنة المغولية التي هي من يأجوج ومأجوج قد تجعل نسلهم من كل حدب لمرات ثالثتها اقواها وهي في الإفساد الاسرائيلي الثاني .

وقد يظهر من حديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) « ليحجّن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج »[1] أن افسادهم يمنع الحج

---

(١) رواه البخاري في صحيحه .

والعمرة ثم الله يفرج عن المستضعفين ويبدلهم من بعد خوفهم أمناً ، وليس هذا إلاّ في الإفساد الاسرائيلي الثاني حيث تملأ الارض ظلماً وجوراً ثم تملأ قسطاً وعدلاً .

وكما يظهر من حديثه الآخر « فاذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله تعالى جبرئيل فرفع من الأرض القرآن والعلم والحجر من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه . .[1] يظهر أن الارض يومئذٍ تملأ ظلماً حتى فيما بين المسلمين لحد كأن القرآن رفع عنهم والعلم ، ولن يرفع عن كونه بينهم وإنما عن كيانه !

وقد يعني حديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن فتح الردم أن لفتحه مراحل أخيرتها المرة الأخيرة من الإفساد الإسرائيلي اليأجوجي : « لا إله إلاّ الله ويلٌ للعرب من شر قد اقترب فُتِح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق ـ قلت يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ! أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم إذا كثر الخبث[2] .

فـ « يأجوج ومأجوج » مثالٌ عن كل أمة شريرة ، ولفتحهم مراحل عدة اخيرتها التي هي اوسعها تواطىءُ الإفساد العالمي الاخير الإسرائيلي ، « اذا كثر الخبث » لحد ملئت الأرض ظلماً وجوراً !

فلقد اخذ ذلك الفتح يتسع منذ الرسول كلما كثر الخبث حتى القرن السابع من الهجرة ففتحٌ شبه العالمي بالمغول والتتار ، ثم يتسع اكثر واكثر

---

(١) سفينة البحار للمحدث القمي ج ١ ص ١١ ويدلج ، النبوي .

(٢) الدر المنثور ٤ : ٢٥١ ـ اخرج البخاري عن زينب بنت جحش قالت استيقظ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من نومه وهو محمر وجهه وهو يقول : لا إله إلا الله . . . » واخرج ابن ابي شيبة عن ابي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وعقد بيده تسعين .

في هذين الإفسادين العالميين وأقواهما الأخير بعلو كبير، تتساعد فيه كافة السواعد الطاغية من مشارق الأرض ومغاربها مهما كان الإسرائيليون هناك أصلاء أم أقوى الأصلين أم ماذا ؟

﴿ فإذا جاء وعد ربي جعله دكّاء وكان وعد ربي حقاً(٩٨)وتركنا بعضهم يومئذٍ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً(٩٩)وعرضنا جهنم يومئذٍ للكافرين عرضاً﴾(١٠٠).

ان النفخ في الصور هو الناقور مرتان ، أولاهما هي نفخة الإماتة واخراهما نفخة الإحياء(١): «ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلاّ من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون » (٣٩ : ٦٨) وعلّ هذه نفخة الإحياء « فجمعناهم جمعاً » او ان « جمعاً » يعني جمعي الإماتة والإحياء كما النفخ يجمع الجمعين ، نفخة أولى يجمعهم الى الموت ، ونفخة اخرى يجمعهم بعد جمع الموت إلى الحياة ، فيوم القيامة ككل ـ قيامة الإماتة والإحياء ـ إنه يوم الجمع « يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن » (٦٤ : ٩) « وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه » (٤٢ : ٧) جمعاً الى موت ثم جمعاً الى حياةٍ ومن ثم جمع الحساب فالثواب والعقاب :

﴿ وعرضنا جهنم يومئذٍ للكافرين عرضاً(١٠٠)﴾

في جمع الإحياء وبين جموع الأحياء تعرض جهنم للكافرين عرضاً للعقاب بعد العرض على الرب للحساب : « وعُرضوا على ربك صفاً لقد جئتمونا كما خلقناكم أوّل مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعداً » (١٨ : ٤٨) « اولئك يعرضون على ربهم » (١١ : ١٨) ثم لا عرض

---

(١) راجع ج ٣٠ ـ الفرقان ص ٣٤ حول الآية « يوم ينفخ في الصور » .

للمؤمنين على الرب ! .

ومن ثم الكافرون يعرضون على جهنم النار : « وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل » (٤٢ : ٤٥) ثمة عرض الحساب وهنا عرض العقاب ولمًا .

فلماذا العرض وليس الدخول ؟ حيث الدخول الحسبان لزامه الحجة العيان ، فليعرض الكافر على ربه ليرى هل تربّى بما رباه؟ ثم عرضاً على جهنم هل عمل لها وهو من أهلها ؟ فلما رأى اللاّ تربية هناك في نفسه ، ورأى مجانسته مع النار هنا فليدخل ـ إذاً ـ النار بحجة باهرة : « ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق » (٤٦ : ٣٤) « . . . أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا وأستمتعتم بها » (٤٦ : ٣٠) فبعرضهم على الرب يعرف ويعرفون أنهم ما تربوا بتربيته ، وبعرضهم على النار أنهم من أهل النار إذ لم تبق لهم طيبات في الحياة !

« عرضنا . . عرضاً » به يفضحون وينكبون ، وبه يدخلون النار ويخلدون ، إعراضاً عن الرب هنا ، فعرضاً على الرب وعلى ناره هناك !

﴿ الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري وكان لا يستطيعون سمعاً ﴾(١٠١) .

وترى الأعين المغطية عن ذكر الله فلا يستطيع ذكراً ، والسمع المغطية عن إستماع كلام الله فلا يستطيعون سمعاً كيف يعرض أصحابها على الجحيم ، والإستطاعة شرط التكليف ؟

انها الأعين المغطية بما غطّرها تعامياً عن ذكر الله ، أعين الأبصار وأعين البصائر عشواً متعمداً متعامياً : « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين » (٤٣ : ٣٦) فـ « لم يعتبهم بما صنع هو بهم ،

ولكن عابهم بما صنعوا ولو لم يتكلفوا لم يكن عليهم شيءٌ »[١]ثم و « غطاء العين لا يمنع عن الذكر والذكر لا يرى بالعين »[٢]وانما الغطاء على تبصّر العين فهي مفتوحة حيوانياً ومغطية إنسانياً .

فهي السمع المغطاة عن السمع بما غطّوها و : « إنهم عن السمع لمعزولون » (٢٦ : ٢١٢) فلما عشوا عن ذكر الرحمن وصمّوا عن سمعه ، أصبحوا صُمّاً عُمياً بما صموا و عموا فـ « ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون » (١١ : ٢٠) فقد كانوا ينظرون فلا يعتبرون ، او تعرض لهم العبر فلا ينظرون .

ليس ذلك عشو البصر عمىً وصمم الاذن ، بل تعامي البصر وعشو البصيرة وصمم القلب : «أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » (٢٢ : ٤٦) لذلك : « ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون » (٧ : ١٠) « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون » (٧ : ١٧٩) .

---

(١) نور الثقلين ٣ : ٣١٠ ح ٢٤٢ في تفسير العياشي عن محمد بن حكيم قال : كتبت رقعة الى ابي عبد الله (عليه السلام) فيها : اتستطيع النفس المعرفة ؟ قال فقال : لا ـ فقلت يقول الله : « الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعاً » قال : هو كقوله « وما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون» قلت فعابهم ؟ قال : . .

(٢) المصدر ج ٢٤٣ عيون الاخبار باسناده الى ابي الصلت الهروي قال : سأل المأمون ابا الحسن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) عن قول الله تعالى « الذين كانت اعينهم . . . » فقال : ان غطاء العين . . ولكن الله شبه الكافرين بولاية علي بن ابي طالب بالعميان لانهم كانوا يستقلون قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فيه « ولا يستطيعون له سمعاً» . .

فتلك هي اعين في غطاء الغفلة والتعامي « لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد»(٥٠ : ٢٢)وهي آذان لا يسمعون بها ، فلا يستطيعون بعد ذلك سمعاً ولا إبصاراً بما ختم الله على سمعهم وعلى أبصارهم كما ختموا « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم » (٢ : ٧) .

ثم و « كانت أعينهم . . وكانوا » يضربان الى اعماق الماضي ، أنهم كانت أعينهم في غطاء منذ كانت لهم اعين ، وكانوا لا يستطيعون سمعاً منذ كانت لهم سمع ، امتناعاً بالاختيار ، ثم « جهنم يصلونها وبئس القرار » .

ومن ثم « في غطاء عن ذكري » تجعل أعينهم غارقة في غطاء حيث غطتها من كل جانب ، فلا منفذ إذاً لمعاينة الحق وذكره وهذه أعمى العمى !

« وكانوا لا يستطيعون سمعاً » تجعل على آذانهم وقراً وصمماً محيطاً لحدٍّ لا يستطيعون سمعاً لو أرادوا سمعاً وهذه أصم الصمم ! حيث الأصم قد يسمع إذا صيحَ عليه وأصغى ، وذلك لا يستطيع سمعاً !

وكما لمعاينة الآيات وذكر الله وسمعها درجات ، كذلك لغشاء الأعين وصمم السمع دركات وهذه اسفل الدركات .

و « عن ذكري » تلميحة كتصريحة أن غطاء الأعين لم تكن على الحقيقة في غطاءٍ يسترها ، وحجاز يحجزها ، بل كانوا ينظرون فلا يعتبرون ، أو تعرض لهم العبر فلا يعبرون ، فقد كانت اعينهم تذهب سدى وصفحاً عن مواقع العبر ، فلا يفكرون فيها ، ولا يعتبرون بها فيذكرون الله سبحانه وتعالى عند إجالة افكارهم ، وتصريف خواطرهم .

قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾
الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ
يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ
وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا
آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾
خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُلْ لَوْ كَانَ
الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ
كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا
بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ
كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ

بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

« افحسب الذين كفروا » بي الحاداً ونكراناً لي ، ام بتوحيدي إشراكاً « أن يتخذوا عبادي » الذين هم « من دوني » او « يتخذوا عبادي » دون إذني « من دوني اولياء » يتولونهم كآلهة ام شركاء لي او مخولين في ولاية شرعية اماذا ؟ « إنا اعتدنا » تحضيراً « جهنم للكافرين نزلاً » نزولاً إليها كما نزّلوني عن وحدتي وربوبيتي في زعمهم .

﴿ قل هل أنبئكم بالأخسرين أعمالاً(١٠٣) الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً(١٠٤) .

« الأخسرين أعمالاً » هم في الدرك الأسفل من ضلال السعي وخسار الأعمال ، لا يوازيهم أحدٌ من الخاسرين حيث الأفعل هنا مطلق فلا يُساوى أو يُسامى ، كما لا يفوقهم أحدٌ في الخسران ! وأصل الضلال ذهاب القصد عن سنن طريقه، فكأن سعيه لما كان في غير طريقه المؤدي الى مرضاة ربه ، فهو ضال في سعيه ، خابط في غيّه وحابط في عمله .

فقد يكون الانسان بطّالاً لا يسعى في الحياة الدنيا ، لا لها ولا للأخرى، او يسعى للدنيا ، مهتدياً الى منافعها دون الاخرى ، او يسعى دونها ضالاً في سعيه للدنيا وهو عارف بضلاله ام يسعى لها ضالاً في سعيه وهو يحسب أنه يحسن صنعاً دركات بعضها سفل بعض والرابعة سفلاها ، حيث يحرم الآخرة إذ لم يسع لها ، ويحرم الدنيا لضلال سعيه لها ، ويحرم الإهتداء إلى ضلاله إذ يحسب أنه يحسن صنعاً « خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين » !

وترى « في الحياة الدنيا » ظرف لضلاله ؟ أن سعيه ضل عن الحياة العليا في الحياة الدنيا ، فظل يسعى لها دون الأخرى ، وقد يكون ناجحاً في هذه الأدنى مهما حُرم الأخرى ؟ وليس من الأخسرين أعمالاً ، حيث الأخسر منه من زاد ضلالاً على ضلال ، ١ ـ ضل سعيه عن الآخرة ـ ٢ ـ ثم ضل في سعيه للدنيا ، أن تكون « في الحياة الدنيا » ظرفاً لسعيه ، فسعيه في الحياة الدنيا ضل ، ضلال في ضلال ، ومن ثم « وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً » ضلال ثالث ، فهنالك يتم ثالوث الضلالة !

فطالما البطّالون خاسرون ولكنهم قد يهتدون ، وكما الساعون للدنيا المهتدون الى منافعها ، فقد يفيقون عن غفوتهم ، ويستقيمون عن زلتهم ، بل والضالون في سعيهم لها ، العارفون بضلالهم ، مهما كانوا بعاداً عن الهدى ، ولكن الذي ضل في سعيه عن الحياة العليا إلى الحياة الدنيا ، ثم ضل في سعيه للدنيا ، وهو يحسب انه يحسن صنعاً ، غارقاً في ثالوث الضلالة ، فانه دائب في سعيه الى خساره في الأولى والأخرى ، ولا ترجى إفاقته عن غفوته وضلاله إذ لم يبق له منفذ إلى صالحه ، فهو من الأخسرين أعمالاً !

إنه بسعيه الهادف إلى فوائده في الدنيا يخسرها كما خسر الأخرى ، كادحاً إلى خسران ، منفقاً حياته في تعب هدراً دونما عائدة إلّا الخسران ، كمن يذبح نفسه بذات يده وهو يحسب انه ذابح خروفاً يشويه لطعامه : مكداً مجداً في ذبحه !

قد يصبح الساعي بضلاله فيما يعمل من الأخسرين أعمالاً في الآخرة وهو في الدنيا رابح حياتها : « . . ألا لعنة الله على الظالمين . الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً وهم بالآخرة هم كافرون : اولئك لم يكونوا معجزين في الأرض وما كان لهم من دون الله اولياء يضاعف لهم

العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون ، اولئك الذين خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون . لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون » (١١ : ٢٢) « إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زيّنا لهم أعمالهم فهم يعمهون . اولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الأخسرون » (٢٧ : ٥)

هؤلاء وهؤلآء من الأخسرين في الآخرة ، ومنهم من لم يخسر دنياه ، فليس من الأخسرين اعمالاً في النشأتين إلاّ في الأخرى ، فاما الذي ضل سعيه في الحياة الدنيا وهو يحسب أنه يحسن صنعاً فقد خسر الاولى كما الاخرى وقد تكون خسراه في عقباه أقوى حيث هو في أولاه أغوى .

لا أخسَر مطلقاً في سائر القرآن إلاّ هنا وفيمن كادوا بابراهيم « وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين » (٢١ : ٧) ولكنهم الأخسرون في الآخرة كالأوّلين ، وفي دنياهم في الكيد الذي كادوا به إبراهيم وهم في سائر دنياهم رابحين .

لأية الاخسرين مصاديق من ضُلاّل أهل الكتاب والمسلمين ـ الغارقين في ثالوث الضلالة في الدنيا والدين كـ « الرهبان الذين حبسوا انفسهم في السواري »[١] وكفرة أهل الكتاب المبتدعين[٢] « ولا اظن إلاّ أن الخوارج منهم »[٣] وكل من يتقشف فيما يظنه شرعة إلهية وهو خطرٌ على الدين والدينّين .

---

(١) الدر المنثور ٤ : ٢٥٣ ـ اخرج ابن المنذر وابن ابي حاتم عن ابي خميصة عبد الله بن قيس قال سمعت علي بن ابي طالب (عليه السلام) يقول في هذه الآية انهم . .

(٢) نور الثقلين ٣ : ٣١٢ ح ٢٥٠ في كتاب الاحتجاج عن الاصبغ بن نباتة قال ابن الكوا لامير المؤمنين (عليه السلام) اخبرني عن قول الله عز وجل : « الآية » قال : كفرة اهل الكتاب اليهود والنصارى وقد كانوا على الحق فابتدعوا في اديانهم وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً .

(٣) الدر المنثور ٤ : ٢٥٣ ـ اخرج عبد الرزاق والفريابي وابن المنذر وابن ابي حاتم

وكما لها مصاديق من المكذبين بآيات الله الصادين عن سبيل الله ، وقد يكون المتظاهر بالدين ، والمتقشف الجاهل أخطر منهم وأضل سبيلاً !

فالأخسرون اعمالاً دركات بعضها سفل بعض ، مهما كان الغارقون في ثالوث الضلالات كلهم من الأخسرين ، ولكنما الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه هم الأسفلون وكما جرت عليهم الآية وتتلوها :

﴿ اولئك الذين كفروا بآيات ربّهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً ﴾(١٠٥):

« كفروا بآيات ربهم » عشواً عنها وتعامياً ومدّاً في كفرهم بقرن شيطانهم فضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون ، كفرٌ مطلق لا مَخلصَ عنه « كفروا بآيات ربهم ولقائه » يوم الدنيا بما يقربهم الى الله زلفى ويوم الآخرة بنكرانها فلقاء الرب هو لقاء ربوبيته ، في الأولى ربوبيته التكليف التكميل فزلفى المعرفة ، وفي الأخرى ربوبية الحساب ومن ثم الثواب والعقاب فإلى جنة او نار ، في دار ليس الأمر فيها إلّا لله ، يصيرون إليها ولا محيص لهم عنها ، وإذ لا أحد فيها يستطيع إنصرافاً عن الوجهة التي أمر الله سبحانه بجمع الناس إليها وحشرهم نحوها سمي ذلك لقاء الرب .

﴿ فحبطت اعمالهم ﴾ ومساعيهم فأصبحت «كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفّاه حسابه » فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً » إذ لا أعمال لهم صالحة حتى توزن ولا وزن للطالحة فتوزن !

« اولئك . . » تعريف ثالث بالاخسرين اعمالاً بعد « ومن يعش » و

وابن مردويه من طريق عن علي (عليه السلام) انه سئل عن هذه الآية فقال : لا اظن . .

و«قل هل ننبئكم » ثالوث الضلالة في مثلث التعريف باهل الدرك الاسفل من النار .

فكفرهم مطلق لا مخلص عنه ولا مناص حيث يشمل آيات ربهم كلها ، آفاقيا وانفسيا ، تكوينياً وتشريعياً ، رسالياً ورسوليا امّاذا ، حيث عشوُهم عن ذكر الرحمٰن مطلق ، وآيات الرحمن تذكّر الرحمن لغير العاشين عنها .

ثم الكفر بآيات الرب كفرٌ بلقاءه ، والكافر بآيات ربه ولقائه لا أعمال له ثابتة إلّا زائلة خابطة حابطة ، واصل الحبط انتفاخ بطن الدابة بنوع سامٍّ من الكلإ فتلقى حتفها ، فالجاهل يراها سمينة شبعانة ، وهي في سبيل الموت ! وهذا أنسب وصف لأعمال الكفار ، أنها تنتفخ ويظنها أصحابها رابية رابحة وهي بائرة رايحة .

اترى اعماله الحابطة هي الطالحة ؟ وهي ثابتة كما الصالحة ! « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » !

ام الحابطة هي الصالحة ؟ وليست للأخسرين اعمالاً اعمال صالحة ! لكفرهم المطلق !

الحبط هنا يعني زوال الوزن ، فصالحة أعماله خاوية عن وزنٍ للكفر المطلق ، مهما انفق وسعى في إصلاح الحياة ، فتحبط أعمالها عن وزن ، وطالحة اعماله خفيفة حابطة بلا إحباط « فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً » حيث تبقى أعماله كلها طالحة خفيفة ليس لها وزن ، فكيف يقام له وزن ؟

وذلك الحبط يشمل الدنيا والآخرة « فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة»(٢ : ٣١٧) في ميزان الله ، فلا وزن لهم في الدنيا كما الآخرة ، إذ لا تحسب صالحاتهم صالحات ، ولا فلاح لهم في طالحات ، فهم أخفّاء عند الله وعند أهل الله في الأولى كما الاخرى : «والوزن يومئذٍ الحق فمن

ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون » (٧ : ٩) .

فهنالك الوزن محصور في الحق[١]، فلا وزن للباطل حتى يقام له وزن، سواء أكان الباطل حابطاً من أصله كسائر الباطل، ام محبطاً كان فيه شائبة الحق فأحبطه الله لخبطه في شاكلته ، كصالحات الكفار من خدمات بشرية تصلح الحياة : « من كان يريد الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لايبخسون . أولئك ليس لهم في الأخرة إلّا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطلٌ ما كانوا يعملون » (١١ : ١٦) .

ليس الوزن عند الله إلّا ما يقرب إلى الله فـ « ليؤتين يوم القيامة بالعظيم الطويل الأكول الشروب فلا يزن عند الله تبارك وتعالى جناح بعوضة »[٢] .

« ومن أخفهم وأخسهم ائمة الكفر وقادة الضلالة فاولئك لا يقيم لهم يوم القيامة وزناً ولا يعبأ بهم ، لأنهم لم يعبأوا بأمره ونهيه . . »[٣] .

﴿ قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً ﴾[١٠٩] .

هذه تحيل مداد كلمات الرب ولو كان ضعف البحر ، وأخرى تحيل

---

(١) لم يقل « الوزن يومئذ حق » وانما « الحق » تدليلا على ان الوزن هو الحق فلا وزن للباطل حتى يوزن اويقاس بوزن الحق !

(٢) الدر المنثور ٤ : ٢٥٤ ـ اخرج ابن عدي والبيهقي في شعب الايمان عن ابي هريرة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . . . اقرؤا ان شئتم « فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا .

(٣) نور الثقلين ٣ : ٣١٢ ح ٢٥٣ في كتاب الاحتجاج للطبرسي عن امير المؤمنين (عليه السلام) حديث طويل يذكر فيه اهل الموقف واحوالهم وفيه ومنهم ائمة الكفر . .

مداد كلمات الله ولو كان ثمانية أضعاف البحر : « ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم » (٣١ : ٢٧) .

فما هو البحر ؟ ثم مداد مثله ، او من بعده سبعة أبحر ؟ وما هي كلمات ربي ؟ وكلمات الله ؟ ثم ولها حدٌّ بعدُ ام لا حد لها ؟

علّ « البحر » فيهما هو مجموعة بحار الأرض ، فانها هي المعروفة لدينا عينياً وقرآنيا[1] دون سواها من بحار ، و « ما في الأرض من شجرة أقلام » لا تجاوب إلّا ما في الأرض من بحار ، حيث البحر المحيط في الكون تناسبه الشجر المحيط في الكون ! فلا هو مطلق البحر في الكون ، ولا بحر بعينه في الأرض ، حيث اختلاف بحار الأرض ينافي تعريف « البحر » الّا جنسه الشامل لكل بحر ، فـ « البحر » إذاً عوانٌ بين البحرين لمطلق الكون أو خاص من الأرض .

والمداد ما يمدّ به من مادةٍ للمدّ او قلم يمدّها ، فهناك البحر مداد وما في الأرض من شجرة أقلام المداد .

ثم « كلمات ربي » هي الدالات لفظياً وعلمياً وعينياً على الربوبية العليا كما « كلمات الله » هي الدالات على الألوهية وهي أشمل من كلمات الربوبية ، فالكلمة ما تدل على معنى في أيّة زاوية من الثلاث أماهيه ، واذا كانت نعمة الله لا تحصى وهي محدودة في الواقع لحدوثها « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » فاحرى بكلمات الرب وكلمات الله ألّا تُحصى !

ثم « لو » في آيتي مداد الكلمات تُحيل ان يكون البحر مداداً لكلمات

---

(١) لا نجد في ٤٠ موضعاً فيها البحر بصيغه موضعاً يدلنا على بحر في غير الارض ، اللهم إلا ما يصلح التعميم وهذا ليس دلالة على بحر في غير الأرض يستدل بها ! مهما دلت احاديث عدة أن في السماء بحار .

ربي وكلمات الله ، و « لو » الثانية في الأولى إحالة ثانية دون وقفة عليها ، « ويمده من بعده سبعة أبحر » في الثانية تعني استمرارية الإستحالة دون وقفة على السبعة الزائدة ، الرامزة الى الكثرة الكثيرة ، والقصد فيهما إلى استحالة مدّ الكلمات ككلّ باي مداد ، حيث إن مداد البحار والأشجار هي ايضاً من الكلمات ، اياً كان الكاتب ، وباية سرعة كانت الكتابة وأيان « لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ».

« كلمات ربي وكلمات الله » وهي كل دالة على الله ، ليست هي ذات الله ولا من ذات الله ، وإنما هي مخلوقات الله ولا بد وأنها حادثة محدودة ، كما توحيه « قبل أن تنفد كلمات ربي » ولكنها ليست بالتي تعد أو تحصى ، فضلاً عن ان تكتب ، إحالة في بعدين : ـ١ ـ ان لا احدَ يمكنه إحصاءها فضلاً عن كتابتها ـ ٢ ـ ولو أمكنه فالكاتب نفسه ، ومداد البحار والأشجار والورق المكتوب فيه ، هي كلها من كلمات الله ، ولو أنها كتبت فيما يكتب فنفس الكتابة بحذافيرها من كلمات الله فتسلسل مستحيل ، او « لنفذ البحر قبل ان تنفد كلمات ربي »!

إن كتابات الوحي وكافة التشريعات الإلهية ، التي تحملها الأصوات والكتابات والمفهومات ، هي من كلمات الرب ، وحملتها الرسل والأئمة وسائر العلماء بالله ، هم من كلمات الرب ، وكافة الرحمات الإلهية رحمانية ورحيمية هي من كلمات الرب ، ومجموعة الكائنات هي آيات الله وكلماته ، فاين مداد البحار والأشجار من مدّ كلمات الله !

فكلمات الرب هي الدالات على ربوبيته، وكلمات الله هي الدالات على الوهيته في ذاته ورحماته رحمانية ورحيمية ، ومن نِعَم او نِقَم امّاذا .

ففيما « إن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » فاستحالة الإحصاء والكتابة التي هي اصعب ، في كلمات النعم والنقم امّاذا هي احرى ! :

واين أنت ايها الانسان الهزيل الجاهل العاجز الذليل ، والغوص في خِضمِّ ذلك البحر الملتطم ، واليمِّ المنسجم من كلمات الرب الله ، إلاّ غرقاً فيها عن سباحتك !

قد يدرك الانسان الغرور بما يسجِّله من مكامن الكون ، فتاخذه نشوة الظفر في ظهور علمي وفي القدرة فيحسب أنه على شيء !

ولكنما الآيات الربانية والإلهية تواجههم بآفاقها المترامية ، فإذا هم على خطوات من الشاطىء ولما يخوضوا البحر . . وحتى لو كان البحر مداداً بيده «لنفذ البحر قبل ان تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً» «او يمده من بعده سبعة ابحر»مداداً! ف « قد أخبرك ان كلام الله عز وجل ليس له آخر ولا غاية لا ينقطع ابداً »[1]فيما نحصيه !

كلمات الله بعد كل مداد تنتظر مداداً يمدها ، ولن يمددها أي مداد ، فطالما هو أيضاً من كلمات الله اذاً « لنفذ البحر قبل أن تنفد كلمات ربي » !

فيا لنا من غباوة وعمىً ، وحماقة كبرى ، نعيش كلمات الله ، غارقين في خِضِمِّها ، ومارقين عن الذي تدل عليه وترشدنا إليه « فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » !

كلمات تذكرنا الرحْمٰن « ومن يعش عن ذكر الرحمٰن نقيّض له شيطانا فهو له قرين »!

---

(١) نور الثقلين ٣ : ٣١٣ ح ٢٥٦ حدثنا محمد بن احمد عن عبد الله بن موسى عن الحسن بن علي بن ابي حمزة عن ابيه عن ابي بصير عن ابي عبد الله (عليه السلام) في حديث قلت : قوله عز وجل « قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً ، » قال : قد اخبرك . .

﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحدٌ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعباد ربه أحداً ﴾[١١٠].

آية يتيمة منقطعة النظير في ساير قرآن التوحيد، تجمع من مجامع التوحيد ما لا توجد في غيرها، لحد يقول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عنها: «لو لم ينزل على أمتي إلاّ خاتمة سورة الكهف لكفتهم»[١] كفاية عن سائر التوحيد في القرآن واصلي النبوة والمعاد! وكأنها تحتصر الوحي في خاتمة الرسالة على ما يتبنى كل الرسالة وتتبناه كل الرسالة: «إنما أنا بشر.. أحداً» إظهاراً لها وتظاهراً بها في عقيدة القلب، ولفظة اللسان وعمل الأركان وتوجيه العالمين أياً كانوا وأيان! وقد جمعت الاصول الثلاثة نبوة: «يوحى الي» وتوحيداً في كافة الجنبات: «أنما الهكم إله واحد» ومعاداً: «فمن كان يرجو لقاء ربه..» وقد تقدمت النبوة السامية المحمدية لأنها أكمل تعريف بنفسها وبأصلي التوحيد والمعاد!

هنا وفي «فصلت» يؤمر الرسول ان يقول «انما انا بشر مثلكم يوحى إلي أنما الهكم إله واحدٌ» كلمة توحيدية احكمت هنا وهناك وفي اضرابهما ثم فصلت في ساير القرآن.

في فصلت يؤمر بعدُ مع العالمين بالاستقامة الى الله «..فاستقيموا اليه واستغفروه وويلٌ للمشركين» (٦) وهنا يكمل كلمة التوحيد «فمن كان يرجو لقاء ربه..»! واحتصار كيان محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في نفسه بانه بشر، كلمة يقولها المرسلون أجمع: «قالت لهم رسلهم إنْ نحن إلاّ بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما

---

(١) الدر المنثور ٤: ٢٥٧ ـ اخرج الطبراني وابن مردويه عن ابي حكيم قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ..

كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلاّ باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون » (١٤ : ١٢) فهو بشر في كل ما للبشر .

ثم ولا يستثنى هو وهؤلاء إلاّ في وحي الرسالة : « يوحى اليَّ » فيستثنى عن بشريته كل خطأ وشر ، دونما استقلال بجنب الإله ، ولا استغلال لشأن من الإله ، وإنما « بشر رسول » : « قل سبحان ربي هل كنت إلاّ بشراً رسولاً » (١٧ : ٩٣) .

إنه بشر كسائر البشر في جسمه وروحه كمحمد ، اللّهم إلاّ في روحه كرسول حيث يمتاز بها عن سائر البشر ! فهو في حاجيات ومتطلبات البشرية كسائر البشر يأكل ويمشي في الاسواق ويتزوج وينام ويفيق . . . ولكنه معصوم بالوحي عن أخطاء البشر وكلما ينافي الرسالة الإلهية من مثلث العصمة : تلقياً للوحي وإلقاءً وتطبيقاً في نفسه وسواه !

إن الرسول البشَر ـ أم أي كائن سوى الله ـ ليس ليشرك بالله أم يشارك الله ، او يخوَّل عنه ما ليس إلاّ لله : « ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله . . » (٣ : ٧٩) كما وأن البشر ليس ليُمنع عن رسالة الوحي لأنه بشر رغم ما يهرفه الخارفون : « وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء » (٦ : ٩١) « ما هذا إلاّ بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم » (٢٣ : ٢٤) « ما هذا إلاّ بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون » (٢٣ : ٣٣) « فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى الله » (٦٤ : ٦) « إن هذا الا قول البشر » (٧٤ : ٢٥) !

إن كيان محمد كرسول يُحتصر فيما يوحى إليه من ربه دون استمداد بمن سواه شوراً وسواه او اجتهاداً من رأيه ، فـ « ما ينطق عن الهوى . إن هو إلاّ وحي يوحى » فلا يتجّه في نفسه او يواجه العالمين ألاّ بالوحي « قل إنما

أنذركم بالوحي » « إن اتبع إلاّ ما يوحى إلي من ربي » !

ثم هذه الآية الوحيدة تحمل توحيدات عدة : ـ١ ـ توحيد محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في البشرية كوناً وكياناً « إنما انا بشر مثلكم » ـ ٢ ـ توحيد نبوته المحتصرة في وحي الله « يوحى الي » ـ ٣ ـ توحيد الله في كافة شؤون الالوهية : «انما الهكم إلّه واحد » ـ ٤ ـ توحيد اللقاء فلا يرجو الموحد إلا لقاءه : « فمن كان يرجو لقاء ربه » ـ ٥ ـ توحيد العمل في الصالح لذلك اللقاء : « فليعمل عملاً صالحاً » : ـ ٦ ـ وتوحيد العبادة لله : « ولا يشرك بعبادة ربه احداً » !

١ ـ فـ « قل إنما أنا في البشرية مثلكم » « يوحى الي » . ولكن خصني بالنبوة دونكم »[1] لا ازيد ولا انقص عن نوع البشر كما يقتضيه « انما » بحصرها كيانه (صلى الله عليه وآله وسلم) في البشرية المماثلة .

٢ ـ ﴿يوحى الي﴾ وانا في النبوة كسائر من يوحى اليه مهما كانت بيننا درجات ، ليس نازلتها خارجة الوحي ، ولا عاليتها أعلى من الوحي ، وليس الوحي إلاّ اتصالاً علمياً معرفياً وعملياً خارق العادة المستمرة بالله .

٣ ـ ومادة الوحي ﴿ أنما الهكم إلّه واحد ﴾ : هي ترك الإشراك في كافة دركاته وهي هي الحجب كلها ، التي تحول دون لقاء الرب ، فاللقاء المعرفي الزلفى للرب ، ولقاء رحمات الرب ، لزامه خرق الحجب الإشراك في كافة دركات الإشراك ! لترقى درجات اللقاء ، فاختراق كل دركة ارتقاء الى درجة ، كما اختلاق كل دركة تنزل عن درجة فهنالك كفر وبعد

---

(١) نور الثقلين في الاحتجاج للطبرسي عن ابي محمد الحسن العسكري قال قلت لابي علي بن محمد عليهما السلام ـ الى ان قال ـ: قل انما انا بشر مثلكم » يعني آكل الطعام « مثلكم يوحى الي انما إلهكم إله واحد » يعني : قل لهم : انا في البشرية مثلكم ولكن ربي خصني بالنبوة دونكم . . . .

مطلق للمشرك والملحد المطلق ، وهنا لقاء مطلق للموحد المطلق ، وبينهما درجات بعضها فوق بض ودركات بعضها تحت بعض .

اترى ان وحيه محتصر في «انما إلهكم إله واحد» ومن وراءه أصول أخرى وفروع؟ علّه لانه الاصل الذي تتبناه كافة الرسالات الإلهية ، وسائر الأصول وكل الفروع تتبنى ذلك الأصل ! ولأن أصل الرسالة هنا أصل موضوع « يوحى الي » ثم « أنما الهكم اله واحد » ومن ثم ثالث الأصول المعاد « فمن كان يرجو لقاء ربه » ثم الأعمال التي تنتجها الأصول « فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً » !

(٤) ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه ﴾

وطالما الرب واحد ولكنما لقاء الرب درجات حسب مختلف المقامات والقابليات والفاعليات ، فـ « ربه » تلمح الى مقام الملاقي الخاص به في لقائه ، و « كان يرجوا» تضرب الى عمق الماضي المستمر ، ثم « فليعمل . . ولا يشرك » هما دعامتان للحصول على ما يرجوا من لقاء ربه ، والوصول إليه .

في سائر القرآن اللقاء المرجو للصالحين لقائان : لقاء الله ولقاء الرب ، سواء أكان في الدنيا والآخرة ام فيهما ، كما أن هناك لقاءً في الآخرة لغير الصالحين لا يرجونه وهو الحشر إلى يوم الله وعالم الله ، ورجاء اللقاء يخص الصالحين بما قدموا من صالحات : « من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم » (٢٩ : ٥) ولا مقابل ومضادَ لرجاء اللقاء إلا الكفر به والمرية فيه وعدم رجاءه .

وآيتا رجاء اللقاء تعنيان فيما تعنيان لقاء الزلفىٰ المعرفي في الحياتين مهما كان في الأخرى أهدى سبيلاً ، كذلك ولقاء ثوابه ، دون اختصاص بالأولى وإن كانت الأخرى أنبل واجلى ، وقد تشملهما « الذين يظنون أنهم ملاقوا

ربهم وانهم اليه راجعون» فلا تخص الرجاءُ الحياةَ الحساب فانها متيقنة فوق الرجاء ولا تكفيها الرجاء وانما « يرجو لقاء ربه » في مثلث اللقاء بما فيه اللقاء القرب الزلفى ولقاء الثواب ، اذ لا يحتّمان على الرب قضية الحالة الايمانية العوان بين الخوف والرجاء .

فاذا قال « فمن كان يوقن لقاء ربه » اختص بأصل المعاد ، وحين يقول « فمن كان يرجو لقاء الله » يعمه والآخرين المرجوين للمؤمنين !

فيما تتوفر كافة الربوبيات الرحيمية لرب العالمين هنالك يتحقق اللقاء التام والمطلق دونما حجاب ، اللّهم إلاّ حجات ذات الالوهية فانها لزام الذات ، كما حصل للرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في مقام « أو أدنى » حيث « تدّلى » فلم يبق بينه وبين الله احد ولا من حجب النور حتى نور ذاته (صلى الله عليه وآله وسلم) فاصبح عيناً كلّه ، متغافلاً عما سوى الله .

ثم وفيما دونه من لقاء ، تستمر الموازات بين العمل الصالح للّقاء وبين اللقاء .

﴿(٥) فليعمل عملاً صالحاً﴾ لما يرجوه من لقاء ربه معرفة وثواباً أمّاذا ؟ .

عملاً صالحاً في مادته ، في علانيته وسريرته ، زوايا ثلاث في صلاح العمل تتبنى إصلاحه ، فانه « لا قول إلا بعمل ولا قول ولا عمل إلاّ بالنية ، ولا قول ولا عمل ولا نية إلاّ باصابة السنة » فإصابة السنة هي مادة العمل وعلانيته ، والنية هي سريرته .

فلا تنفع النية الصالحة « لقاء ربه » ما لم يعمل ، ولا ينفع العمل الصالح « لقاء ربه » ما لم ينو ، ولا ينفع العمل بالنية الصالحة « لقاء ربه » ما لم يصب السنة .

ومن صلاح العمل هو خلوصه لله دون اي اشراك فيه لمن سوى الله .

﴿(٦)ولا يشرك بعبادة ربه احداً﴾ فالمشرك بالله لا يعبد الله ، وطالما المؤمن يعبد الله دون اشراك في الالوهية ، ولكنه قد يشرك في العبودية رئاء او سمعة امّاذا : « وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون ».

عبادة الرب لها جنبات قوامها النيات ، ثم ظواهرهاومظاهرها ، فلا إشراك في نفس العمل في نفسه او مقدماته ولا في نيته باعثا ولا غاية في أية زاوية من مثلث الزمان ولا إشراك فيها لأحد حتى نفسه أن يعبد ربه حظوة روحية او ثواباً أو فراراً عن عقاب أم حالة خارقة للعادة تحصل لبعض العابدين ، فالعبادة الصالحة للقاء ربه مطلقاً متحللاً عن أية واسطة ، هي المتحللة عن أي إشراك كما يقول اهلها « ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك بل وجدتك اهلاً للعبادة فعبدتك » !

فالعمل العبادي بادىء من أسفل الدركات الى أعلى الدرجات وبينهما متوسطات ، من عبادة باطلة ، ثم صحيحة غير مقبولة غير قابلة للقاء ربك ، ثم مقبولة قابلة ولكنها درجات الى مقام التدلي . « او أدنى » وهو أعلى الدرجات .

ومن أسفل الدركات العبادة الباطلة علانية وسراً ، حيث تفقد شروط الصحة في ظاهرها ، والنية الخالصة الصادقة في باطنها ، ثم الفاقدة لإحداهما . .

والفاقدة لصالح النية هي التي يؤتى بها رئاءً حين يؤتى ، أم بعد حين حيث يجب أن يظهر بعد خفاء ويحمد عليه فتشملها الرئاء ، فـ « الإبقاء على العمل أشد من العمل إن الرجل ليعمل فيكتب له عمل صالح معمول به في السر يضعف أجره سبعين ضعفاً فلا يزال به الشيطان حتى يذكره للناس ويعلنه فيكتب علانية ويمحى تضعيف أجره كله ثم لا يزال به الشيطان حتى يذكره للناس الثانية ويحب أن يذكر ويحمد عليه فيمحي من

العلانية ويكتب رثاءً ، فأتقى الله امرء صان دينه فان الرياء شرك »[١] بل و « إن يسيراً من الرياء شركٌ »[٢] سواء اكان قبل العمل ان تخبر غيرك أنك سوف تعبد ربك ، او معه ان ترائي غيرك في العمل ، ام بعده ، ان تخبر بما عملت سراً وجهراً بنية صافية ، فالعمل الصالح الخالي عن الرياء هو المتحلل عنه في مثلث الزمان .

فقد تعبد ربك علانية دون رثاء إذ لا ترائي الناس ، فانما تعبد بينهم تقرباً الى ربك إذ أمرك كالحج وصلاة الجماعة ، او تقريباً لغيرك وتشويقاً كالإنفاق جهراً ، وهي عبادة صالحة خالية عن إشراك .

وقد تعبده سراً إذ لا تجد أحداً ترائيه وانت تحب ان تُرى[٣] ثم تخبر أنك عبدت ربك سراً ، او تعبده سراً مخلصاً ولا تحب الرثاء ، ثم الشيطان يحملك على المراثاة فتخبر ام أخبرت غيرك أنك سوف تعبد ربك سراً ، ولكنك أخلصت حين العبادة ثم لم تخبر أحداً بعدها ، فانت فيها كلها مراءٍ

---

(١) الدر المنثور ٤ : ٢٥٧ ـ اخرج البيهقي عن ابي الدرداء ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : . . .

(٢) المصدر ـ اخرج الحاكم وصححه والبيهقي في شعب الايمان عن معاذ بن جبل سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : ان يسيراً من الرياء شرك وان من عادى اولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة وان الله يحب الابرار الاخفياء الاتقياء الذين ان غابوا لم يفتقدوا وان حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا قلوبهم مصابيح الدجا يخرجون من كل غبراء مظلمة .

واخرج احمد والبيهقي عن ابي امامة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : ان احسن اوليائي عندي منزلة رجل ذو حظ من صلاة احسن عبادة ربه في السر وكان غامضاً في الناس لا يشار اليه بالاصابع عجلت منيته وقل تراثه وقلت بواكيه .

(٣) نور الثقلين ٣ : ٣١٥ ح ٢٦٤ في اصول الكافي عن ابي جعفر (عليه السلام) في الآية ـ قال : الرجل يعمل شيئاً من الثواب لا يطلب به وجه الله انما يطلب تزكية الناس يشتهي ان تسمع به الناس فهذا الذي اشرك بعبادة ربه . .

رغم اختلاف دركات الرثاء .

فان كانت عبادة واجبة بطلت ، وان كانت مستحبة سقطت ، وعلّ الاخيرة صحيحة لانك فيها تائب عما نويت .

فـ « لا يشرك بعبادة ربه أحداً » لا تنحصر بحال العمل ، بل تشمل كل الأحوال ، فمن مات عن عمل ولم يشرك به غير الله ، فهو صالح خالص لله ، ومن مات عن عمل أشرك به غير الله لم يكن صالحاً ، سواء أتى به حينه مراثاة الناس ، أم اخبر به قبل او بعد وقد أتى به سراً ، أم ولم يخبر ولكنه كان يحب أن يراه الناس[1]،كل ذلك رثاء الناس مهمااختلف الرثاء فيها .

ثم ما وقع رثاءً لا ينقلب عما وقع ، وما وقع صالحاً دون رياء ينقلب الى رياء اذا استقبله الرثاء، ولا ينقلب رثاء إن كانت بنية صالحة مهما تقدمه الرثاء .

فمهما أشرك العابد في عبادة ربه أحداً سوى ربه ، فعمله ـ إذاً ـ غير صالح ، حتى إذا كان هذا الأحد نفسه أنه يرتاح ويبتهج نفسياً من هذا العمل ، اللّهم إلاّ اذا كانت رياحة في مرضات الله دون شهوة النفس ، فضلاً عما إذا ارتاح برثاء الناس ، أظهر لهم عملاً أم أسرّ عنهم فـ « إذا جمع الله الأولين والآخرين ببقيع واحد ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي قال أنا خير شريك كل عمل عُمل لي في دار الدنيا كان لي فيه شريك فأنا أدعه اليوم ولا أقبل اليوم إلاّ خالصاً . . »[2]

---

(١) الدر المنثور ٤ : ٢٥٥ ـ اخرج هنا دفي الزهد عن مجاهد قال جاء رجل الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال يا رسول الله : اتصدق بالصدقة والتمس بها ما عند الله واحب ان يقال لي خيراً فنزلت : « فمن كان يرجوا . . »

(٢) المصدر اخرج الطبراني عن شداد بن اوس قال قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): . . . ثم قرأ «إلاّ عباد الله المخلصين فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً

والإشراك في العبادة قد يكون في نفس العبادة كان يتوضأ بمساعد[١] او يصلي متكأً ام بمساعد وهو قادر على الصلاة دون متكأ او مساعد .

ثم الإشراك في نية العبادة قد يكون في باعثها او غايتها ام هما معاً ، فمن لا يبعثه أمر الله ورضوانه إلّا بامرٍ آخر فقد اشرك فيها ، ومن يبتعث بأمره تعالى ولكن اخف مما يكون هناك امر آخر فقد أشرك فيها ، فالإخلاص في باعث العبادة وغايتها شرط لصحتها ، وقد لا ينافيه ان يسره ظهورها[٢] دون ان يكون باعثاً او غاية لها .

وإشراك أحد في عبادة ربه يشمل رئاء الناس فيها ، وإرضاء نفسه ضمن ما يرضي ربه ، والإشتراك فيها وقد أمر أن يأتي بها وحده ، وكل

صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً .

(١) المصدر ح ٢٦٧ في الكافي علي بن محمد بن عبد الله عن ابراهيم بن اسحاق الاحمر عن الحسن بن علي الوشا قال : دخلت على الرضا (عليه السلام) وبين يديه ابريق يريد ان يتهيئا للصلاة فدنوت منه لاصب عليه فابى ذلك وقال : مه يا حسن ! فقلت له : لم تنهاني ان اصب عليك تكره ان اوجر ؟ قال : توجر انت وأوزر انا ؟ قلت له : وكيف ذلك ؟ قال : اما سمعت الله عز وجل يقول : « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه احداً » وها أنا ذا اتوضىء للصلاة وهي العبادة فاكره ان يشركني فيها احد وروى انه (عليه السلام) دخل يوماً على المأمون فرآه يتوضىء للصلاة والغلام يصب على يده الماء فقال : لا تشرك بعبادة ربك احداً ، فصرف المأمون الغلام وتولى اتمام الوضوء بنفسه .

(٢) نور الثقلين ٣ : ٢١٥ لقمي عن زرارة عن ابي جعفر (عليه السلام) قال : سألته عن الرجل يعمل الشيء من الخير فيراه انسان فيسره ذلك؟ قال: لا بأس! ما من أحد الا وكتب ان يظهر له في الناس الخير اذا لم يصنع ذلك لذلك ـ أقول يعني لم يكن ظهوره من بواعثه او غاياته

ذلك يشمله النفي «ولا يشرك بعبادة ربه احداً»، ولكن في شمول «أحداً» لنفسه خفاء فلا تبطل.

وأما أن يأتي بها دون إشراك أحدٍ، يبتغي بها الفرار عن العقاب او طلب الثواب، فلا تشملها الآية مهما كانت عبادة العبيد او التجار، دون الاحرار، فهذه درجات ثلاث للعبادة الصحيحة المقبولة حيث لا شريك فيها ولا في نيتها مع الله.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١٩) سورة مريم مكية وآياتها ثمان وتسعون

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾
إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ
ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ
رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ
ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ
مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا
نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾
قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا
وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ
هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾
قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ
ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ

فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ
ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن
لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن
جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ
يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾

سورة تسمت بمريم ، ولا تجد في سائر القرآن إمرأة اخرى وحتى افضل منها كفاطمة (عليها السلام) تسمت باسمها سورة أو يؤتى باسمها في آية ، ومريم آتية في أربع وثلاثين آية وخامسة هي « سورة مريم » ! أترى ذلك لفضلها على نساء العالمين ؟ وفاطمة أفضل منها حسب النصوص الإسلامية[1] وذكر الإسم في القرآن لا يدل على فضيلة ، فزيد يذكر في القرآن ولا يذكر الاكثرية الساحقة من النبيين ، ولا احد من خلفاء الرسول المعصومين ولا من صحبه الكرام الميامين !

ورغم ان القرآن ليس من دأبه ذكر النساء بأسمائهن حفاظاً عليهن حتى في أسماءهن، نراه يدأب في ذكر مريم مرات عدّة ليس إلا ذوداً عنها ما مسته

---

(١) راجع سورة الكوثر من الفرقان ج ٣٠ .

اليهود والنصارى من كرامتها ونسبتها الى غير اللائق بحرمتها ، فكان من الواجب الرسالي في الوحي الأخير ذكرها في مذكرات شأنها بعصمتها وطهارتها ، كما وفي سائر القرآن مذكرات لعصم المرسلين حيث تعرضت في محرفات من كتابات الوحي لما لا يليق بساحة الرسالة ولا الايمان بل ولا أي إنسان ! وآي الذكر الحكيم عاصمة عِصَم الوحي ، كما هي عاصمة الرسالة والوحي .

* * *

﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾[1].

إنها الفريدة في الحروف المقطعة القرآنية في العدد التركيبي ، ففي الشورى « حم عسق » خمسة في تركيبين اثنين ، وهنا خمسة في تركيب واحد ، ثم لا خمسة في سائر القرآن ، والمتبع من قراءتها هي المتواترة في كتب القرآن « كاف ـ ها ـ يا ـ عين ـ صاد » دون سائر القرآات[1].

ولا بد هنا من رباط بينها ومغزى السورة ، كما في سائر الحروف المقطعة مهما كانت هنالك إشارات أخرى لا تحويها السورة ، فإنها مفاتيح كنوز القرآن وبرقيات رمزية إلى نبي القرآن !

روايات من الفريقين تدلنا أنها حروف من أسماء الله على اختلافها في

---

(١) من كسر الهاء وفتح الياء وهي قراءة ابي عمرو وابن مبادر او (مناذر) والقطعي عن ايوب ومن عكسها وهي قراءة حمزة والاعمش وطلحة والضحاك عن عاصم ، ومن امالتها كسراً فيهما وهي قراءة الكسائي والمفضل ويحيى عن عاصم والوليد بن اسلم عن ابن عامر والزهري وابن جرير ، ومن ضم الهاء وفتح الياء وهي قراءة الحسن ويروى عنه عكسها ايضاً وروى صاحب الكشاف عنه ضمها ، واشمامها شيئاً من الضمة (تفسير الفخر الرازي ج ٢١ : ٧٨).

« ما هي تلك الاسماء »[1] وهذه الاسماء المرموز بها لا تختص بهذه السورة ، فقد تأتي بألفاظها أو معانيها في السور كلها !

ويروى عن القائم المهدي (عجل الله فرجه الشريف) أنها اشارات الى رزية العاشور[2] وليس بذلك البعيد ، لمكان المشابهة التامة بين الحسين (عليه

---

(١) الدر المنثور ٤ : ٣٥٨ ـ اخرج ابن مردويه عن الكلبي انه سئل عن « كهيعص » فحدث عن ابي صالح عن ام هاني عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : كاف هاد عالم صادق ، اقول : لم تذكر هنا اشارة الياء وقد ذكرت فيما رواه القمي عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال : هذه اسماء الله مقطعة واما قوله « كهيعص » قال : الله هو الكافي الهادي العالم الصادق ذو الايادي العظام ، فـ« ذو الايادي من اليد فهو رمز الياء وفي معاني الاخبار باسناده الى محمد بن عمارة قال : حضرت عند جعفر بن محمد (عليهما السلام) فدخل عليه رجل فسأله عن « كهيعص » فقال (عليه السلام) : « كاف » كافه بشيعتنا « ها » هاد لهم « يا » ولي لهم « عين » عالم باهل طاعتنا « صاد » صادق لهم وعده حتى يبلغ بهم المنزلة التي وعدهم اياها في باطن القرآن ، اقول : وهذا يختلف في اشارة الياء « ولي » عن سابقه « ذو الايادي » وظاهر الاشارة فيها الى اسماء الله تعالى هو الحرف الاول، فذو الايادي مفضل على « ولي » الا ان تؤول الولاية الى ذي اليد . وفي المجمع روي عن امير المؤمنين (عليه السلام) انه قال في دعائه : اسألك يا كهيعص .

(٢) نور الثقلين ٣ : ٣١٩ في كتاب كمال الدين وتمام النعمة باسناده الى سعد بن عبد الله القمي عن الحجة القائم حديث طويل وفيه « قلت : فاخبرني يا بن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، عن تأويل «كهيعص»؟ قال (عليه السلام) : هذه الحروف من أنباء الغيب ، اطلع الله عبده زكريا عليها ثم قصها على محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وذلك ان زكريا (عليه السلام) سأل ربه ان يعلمه اسماء الخمسة فاهبط الله عليه جبرئيل (عليه السلام) فعلمه اياها فكان زكريا اذا ذكر محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلياً (عليه السلام) وفاطمة (عليها السلام) والحسن (عليه السلام) سرى عنه همه وانجلى كربه واذا ذكر الحسين (عليه السلام) خنقته العبرة ووقعت عليه

السلام) ويحيى ، و « كهيعص » هي « ذكر رحمة ربك عبده زكريا » وقد تعنيها هذه الخمس فيما تعنيه من إشارات ، ما وصلتنا منها إلا هذه وتلك .

وماذا يمنع أن تكون هذه إسماً لله او حروفاً من أسماء لله ، وبضمنها إشارات اخرى منها رزية الحسين (عليه السلام) وهو إسم من أسماء الله ، وقد حقق كفاية الكافي وهدايته وعلمه وصدقه ويده وولايته في جهاده وجهوده ، وهو صنو عظيم من يحيى بن زكيريا في « لم نجعل له من قبل سميا » وفي اشتشهاده اما ذا من امره المرير .

﴿ ذكر رحمة ربك عبده زكريا[٢] إذ نادى ربه نداءً خفياً ﴾[٣] .

= البهرة فقال ذات يوم : إلهي ما بالي اذا ذكرت اربعاً منهم (عليهم السلام) تسليت باسمائهم من همومي واذا ذكرت الحسين (عليه السلام) تدمع عيني وتثور زفرتي ؟ فأنبأه تبارك وتعالى عن قصته فقال : « كهيعص » فالكاف اسم كربلاء والهاء هلاك العترة . والياء يزيد لعنه الله وهو ظالم الحسين (عليه السلام) والعين عطشه والصاد صبره ، فلما سمع بذلك زكريا (عليه السلام) لم يفارق مسجده ثلاثة ايام ومنع فيها الناس من الدخول عليه واقبل على البكاء والنحيب وكانت ندبته : الهي اتفجع خير خلقك بولده ؟ اتنزل بلوى هذه الرزية بفناءه ؟ اتلبس علياً وفاطمة ثياب هذه المصيبة ؟ الهي اتحل كربة هذه الفجيعة بساحتهما ؟ ثم كان يقول : الهي ارزقني ولداً تقربه عيني عند الكبر ، واجعله وارثاً ووصياً واجعل محله مني محل الحسين (عليه السلام) فاذا رزقتنيه فافتني بحبه وافجعني به كما تفجع محمداً حبيبك (ص) بولده ، فرزقه الله يحيى (ع) وفجعه به وكان حمل يحيى ستة اشهر وحمل الحسين (عليه السلام) كذلك .

وفي مناقب ابن شهر آشوب عن اسحاق الاحمري عن الحجة القائم (عليه السلام) مثله سواء .

اقول : لا غرو ان ذلك الترتيب اسم واحد او اسماء من الله تعالى تحمل في حروفها اشارات الى ضحية الله وثاره .

كأن « ذكر » خبر لـ « كهيعص » ام « هذا » اما ذا ؟ والأول أولى لذكر ما يصلح كونه المبتدء ، ويناسبه بعض التأويل ، فرحمة الكفاية والهداية واليد الولاية والعلم وصدق الوعد ، رحمات خمس إلهية لعبده زكريا ، وكلها رحمات ربانية لعباد الله المخلصين ، اما ذا من رحمات تذكر في هذه السورة لمريم (عليها السلام) واضرابها من المكرمين . . وقد يعني « عبده » الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فـ « زكريا » اذا عطف بيان لـ « رحمة » فـ « كهيعص » و « اذ نادى ربه » ، هي ذكر رحمة ربك زكريا لعبده محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) او المعنيان معنيان ، فـ « عبده » يشملهما على البدل وهو أجمل .

ومن رحمته استجابة دعوة عبده « إذ نادى ربه نداءً خفياً » ـ « وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين . فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين » (٢١ : ٨٩ ـ ٩٠) .

والنداء هي الدعوة جهراً للمدعو مهما كانت خفية عن الآخرين وكما « نادى ربك موسى أن إئت القوم الظالمين » (٢٦ : ١٠) و « إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى » (٧٩ : ١٦) فلا تنافي « نداءً » كونها « خفياً » كما الوحي الى موسى جلي لموسى وخفي عمن سواه ، ولا سيما بالواد المقدس إذ لم يكن معه أحد حتى أخيه هارون المشارك له في وحي النبوة احياناً .

ومن آداب الدعاء كونها خفية : « أدعوا ربكم تضرعاً وخفية » (٧ : ٥٥) ابتعاداً عن الرئاء ، و « إن تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى » (٢٠ : ٧) فلما ذا الجهر إذاً وان لم تكن رئاءً ؟! .

وليس من لزام النداء البعد حتى توجّه نداء زكريا بتخيّل البعد عن ربه

تخضعاً ، رغم ان الدعاء حالة القرب حتى للبعيدين عن ساحة القرب فضلاً عن المقربين !

انه يناجي ربه بعيداً عن أسماع وعيون الناس ، إخلاصاً لربه وكشفاً عما يثقل كاهله وتجنباً عن مقالة هازئة : زكريا يطلب ولداً وقد اشتعل رأسه شيباً وكانت امرأته عاقراً، يدعوه في سرمستسر وان كان ربه يسمع دون دعاء ويرى دون رثاء ولكنما المكروب يستريح الى الدعاء وقد أمره ربه بالدعاء : وقال ربكم أدعوني أستجب لكم » حيث الدعاء التماس والتجاء وهو مخ العبادة :

﴿ قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك رب شقياً ﴾(٤).

عرض متين من نبيٍّ أمين لشروط لاستجابة الدعاء ومقتضيات وعدم الموانع فيما لديه : « رب » دون « يا » لتكون اقرب لفظياً كما هو قريب معنوياً فان « يا » لنداء البعيد ! « اني وهن العظم مني » واذا وهن العظم وهو المتن المكين فسائر البدن أو هن وسرعة الفناء إليه أهون « واشتعل الرأس شيباً » شعلة النور البيضاء حتى لا تبقي سواداً ، فانه تعبير ما ألطفه عن تكاثر الشيب في الرأس كأنه مشتعل يقهر بياضه وينصل سواده ، سرعة في تضاعف الشيب وتزايده وتلاحق مدده حتى يصير في الإسراع والانتشار كاشتعال النار ، يعجز مطفيه ويُغلب متلافيه .

وترى الشيب من شروط استجابة الدعاء وقد يشيب الإنسان على الشقاء ؟ « ولم اكن بدعائك رب شقياً » لم تسبق لي منذ التكليف لحد المشيب شقوة في دعائك !: دعاءك إياي فيما امرتني ونهيت حيث أطعت دونما شقاء وعناء ، ودونما تعنت وكبرياء ، وهذا من اصول إجابة الدعاء « واوفوا بعهدي أوف بعهدكم واياي فارهبون » (٢ : ٤٠) فعهدي هو عهد العبودية

الخالصة : «ألم أعهد اليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين . وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم » (٣٦: ٦١) ومن عهدكم إستجابة الدعاء « أدعوني أستجب لكم » « ولم أكن » فيما مضى « بدعائك » إياي وهو العهد الأول « رب شقياً » وعلى ضوءه ،ولم أكن بدعائي إياك وهو العهد الثاني « رب شقياً » فان دعاء الأشقياء لا تستجاب ، وإذ لم اكن شقياً بدعائك إياي لم اكن شقياً بدعائي اياك[١] .

هذه سابقتي المشرقة في بعدين قبل المشيب ، أفبعد المشيب وانا احرى بالاستجابة وأرحم انت لا تستجيب ؟.

ورغم «إني وهن العظم مني » فلا يهن العزم منك ، ومع أنه « اشتعل الرأس شيباً » فرحمتك مشتعلة للشيب اكثر مما قبل المشيب ، فحالي الضعيفة وما ضيَّ من حالي إذ « لم أكن بدعائك رب شقياً » تقتضي رعاية حالي واستقبالي ، وكما لم أكن في حال بدعائك رب شقياً فلا تكن بدعائي ربِّ إلا حفياً ، فقد عودتني الإستجابة في فتوتي وقوتي فما أحوجني في هرمي وكبرتي !

ثم وليست هذه الاستجابة لصالحي شخصياً ، بل والحفاظ على مستقبل الرسالة وراثة الدعوة :

﴿ وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقراً ﴾[٥] .

ليس لي ولد يرثني رضيّاً ، وإني خفت من يليني من ورائي ان يصبحوا أخلافاً متخلفين، فلا يقوموا على تراث النبوة مالاً وحالاً ، تضييعاً للمال في غير موضعه ، وتحويلاً للحال الى غير حالٍ .

---

(١) فـ« دعائك » يعني المعنيين على الترتيب في الادب اللفظي باضافة المصدر الى الفاعل كما في «عهدي» ثم اضافته الى المفعول كما في عهدكم ، وكما هو الترتيب المعنوي ان استجابة الدعاء من مخلفات استجابة العبد دعاء ربه وما الطفه جمعاً فيما لفظياً ومعنوياً .

ورغم ان حالي وماضيَّ واستقبالي تقتضي إجابة دعائي لصالحي وصالح استمرارية الدعوة والحفاظ على بيت النبوة ، ولكني « وهن العظم مني » كمانع أوّل للإيلاد « وكانت امرأتي عاقراً » كمانع ثانٍ للولادة ، ولكنك لا يمنعك أيُّ مانع ولا يقف دون مشيتك اي رادع ، « وكانت » تلمح لكونها عاقراً منذ ماضٍ بعيد وهي الآن شيخة فاصبحت ذات عقرين ! فهذه ـ إذاً ـ ثلاث !

﴿فهب لي من لدنك ولياً[٥] يرثني ويرث من ال يعقوب واجعله رب رضياً﴾[٦].

« هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء » (٣ : ٣٨) « رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين » (٢١ : ٨٩) .

يدعو ربه بكل ضراعة آيساً من نفسه ، وهناً لعظمه وعقراً لزوجه ، راجياً ربه أنه سميع الدعاء وهو خير الوارثين ، فهب لي ولياً يرثني خيراً وانت خير الوارثين ، وقد تشير « من لدنك » إلى أن مطلوبه يحمل رحمة لدنية رحمانية حيث الاسباب العادية قاصرة لمكان العقر والشيخوخة ورحمة لدنية رحيمية هي النبوة وهما من خوارق العادة في الرحمتين « فهب لي من لدنك . . » !

وهنا « واجعله رب رضياً » تصرف « يرثني ويرث من آل يعقوب » عن وراثة النبوة ، او تعمها لكل وراثة من مال ونبوة[١] فلو كانت « يرثني » مختصة بوراثة النبوة وهي تتطلب في أصلها وفرعها كون الوارث رضياً ، لكانت

---

(١) الدر المنثور ٤ : ٢٥٩ واخرج الفريابي عن ابن عباس قال كان زكريا لا يولد له فسأل ربه فقال : رب هب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب قال : يرثني مالي ويرث من آل يعقوب النبوة .

« واجعله رب رضياً » طلباً لتحصيل الحاصل ، أو أن الله يورث النبوة لغير المرضي فيدعوه زكريا « واجعله رب رضياً » !.

فلقد كانت دعائه ذات بعدين « هب لي من لدنك ولياً يرثني . . » « واجعله رب رضياً » وكما في آل عمران : « رب هب لي من لدنك ذرية طيبة . . »[٣٨] كتصريحة ثانية ، ثم وتلميحة في الانبياء « رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين »[٨٩] .

فلا يطلب ويستوهب ولياً غير رضي ، ولا رضياً غير ولي ، وانما يطلب ولياً رضياً يرثه وهو الولد من صلبه فميراث النبوة ـ على مجازها ـ لا يختص بذرية وارثة ، كماوهذا الإرث لا يقتضي كون الوارث رضياً . فقديدعوزكريا ربه أن يهبه ولداً هو مجمع الوارثين ، ولو اختصت بوراثة النبوة اصبحت مجازاً لا محسِّن له ولا دليل ، وسقطت «واجعله رضياً» عن الفائدة . فليعن بـ «ولياً يرثني» ميراث المال والاعم بقرينة «ويرث من آل يعقوب» وبـ «واجعله ربِّ رضياً » النبوة المجعولة في وارث المال ، وعلى أية حال فارث المال أصل قاطع في « يرثني » ولكي ينضبط « واجعله رب رضياً»!.

فهنا الحديث المختلق على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هضماً لفدك البتولة الزهراء (عليها السلام) ، مصلحية الحفاظ على الخلافة البتراء « نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركنا صدقة » يردُّ الى قائله لمخالفته نصاً من كتاب الله « يرثني ويرث من آل يعقوب . . » ، وحيث لا تختص بارث النبوة ، بل لا تورث النبوة حتى تشملها[١] ، وإنما هي المستفادة من « واجعله

---

(١) فالوراثة في وجه عام تختص بالمال حيث ينتقل بحكم الله الى الورثة ، فاما العلم والتقى ، والرسالة واضرابها من الخصائل المعنوية فلا تورث كما المال ، اللهم إلاّ مجازاً ، ان الله يجعل النبوة في ولد النبي فيعبر عنه بالوراثة لمشابهتها وراثة المال رغم الفوارق =

رب رضياً » جعلاً الهيا ثانياً باصطفاء بعد جعل الولادة .

ولان عموم الحكم في هذا المختلق معلل بالنبوة « معاشر الانبياء » فلا تخصيص فيه إلّا تعامياً عن العلة فتغاضياً عن أصل الحكم ، فلا يقبل تخصيصاً بالكتاب ان وراثة المال في آل يعقوب تستثنى من عموم الحكم ، رغم عموم النص ونص العموم في « يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين » (٤ : ١١) أفعلى عمد يُترك كتاب الله في عمومه وخصوصه ؟ او ان الصديقة الزهراء لم تكن من أولاد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ام لم تكن مسلمة ترث اباها اماهيه ؟! .

تقول فيما يروى عنها (سلام الله عليها) : « أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم اذ يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ **وورث سليمان داود** ﴾ وقال عز وجل فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا ﴿ **رب هب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضياً** ﴾ وقال عز ذكره : « وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله » وقال : « يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين » وقال : « إن ترك خيراً الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقاً على المتقين » وزعمتم ان لا حظوة لي ولا ارث من ابي ولا رحم بيننا ! أفخصكم الله بآية أخرج نبيه منها ؟! ام تقولون أهل ملتين لا يتوارثان ؟! أولست وأبي من أهل ملة واحدة ؟! أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ؟ أفحكم الجاهلية تبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون » ؟ أأغلب على إرثي ظلماً وجوراً وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب

= بينهما ، ولا مجال في هذه الآية لهذا المجاز ، اللهم الا ان يُعنى من « يرثني . . » كلا الميراثين والقدر الثابت وراثة المال ، حيث النبوة مذكورة في « واجعله رب رضياً » .

ينقلبون . . »[1] .

هنا « يرثني » يعم الإرثين او يخص ارث المال . فماذا يعني « ويرث من آل يعقوب » ؟

قد يعني يعقوب بن ماثان اخا عمران ابن ماثان ابي مريم ، وكانت امرأة زكريا اخت مريم ، فلانها من آل يعقوب فارثه عنها إرث من آل يعقوب ، ولكنه بعيد في عرف القرآن حيث لا يذكر فيه يعقوب إلا ابن اسحاق ، إذا فآل يعقوب هم بنو اسرائيل فالميراث اذاً يعم النبوة والمال .

﴿ يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً ﴾[7] .

« فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب إن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين » (٣: ٣٩) - « فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين » (٢١: ٩٠) .

لقد تحققت الإستجابة لتوفرُّ شروطها ، مسارعة في سابق الخيرات وسابغها والدعاء رغباً ورهباً والخشوع لله وقد جمعها في إجمال « ولم اكن بدعائك رب شقياً » .

وقد تعني « وأصلحنا زوجه » إصلاحها عن عقرها لتلد ، وإصلاحها

---

(١) ج ٦ بحار الانوار ، يقول صاحب البحار هذه الخطبة من المشهورات بين الفريقين مع بعض الاختلاف في بعض الالفاظ وينقلها هنا عن كتاب « بلاغات النساء » لابي الفضل احمد بن ابي طاهر .

لإيلاد صالح ليصلح رضياً ، مهما كانت صالحة « انهم كانوا يسارعون في الخيرات . . » ! .

كما « ونبياً من الصالحين » لا تلمح لنبوة غير صالحة لمكان الوصف[1] فـ « نبياً » يعني رفيعاً فـ « من الصالحين » تعني رفيعاً من الصالحين ، لا رضياً كسائر الصالحين ، فهي استجابة فوق المستدعى ! حيث النبي يُصطفىٰ بين الصالحين وهم المرسلون فـ « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض » وقد فضل يحيى في هذه الدعاء على جماعة من الصالحين بمن فيهم رسل غير انبياء .

و « لم نجعل له من قبل سمياً » تنفي غلاماً قبله اسمه يحيى ، وقد تنفي معه من كانت من قبلُ سِمته كيحيى ، فـ «سميّا » تشمل الإسم والسِمة ، وهكذا كان يحيى ثم من بعده نجد له أسمياء في الأسم ، لا في السمة إلا الحسين بن علي (عليهما السلام) .

« لم نجعل . . » دليل أن الله هو الذي سماه يحيى وقد سمى من قبل بعض عباده باسمائهم ، «وسمياً» لا يخص الاسم اذ ليس بخصوصه كثير الاهمية ، وإنما هو مع السمة والميزة الخاصة وكما الله « فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سمياً » (١٩ : ٦٥) حيث الإسم بمجرده ليس ليخص العبادة والإصطبار لها بالمسمى لأن التسمي باي الاسماء هين ، فالسمي هو المثل في الاسم والسمة وهي اولى وطالما المسيح كان سميه في سمات عدة فهو بعده وتنقصه

---

(١) فلا يقاس بـ « واجعله رب رضياً » حيث يقابله غير الرضى ، فهو قبل ذلك الجعل ليس من الصالحين فضلاً عن كونه من النبيين ، ولكن الصالحين منهم نبي ومنهم غير نبي وزكريا طلب فقط صلاحه في «واجعله رب رضياً » فزاده الله تعالى نبوة « ونبياً من الصالحين » ! .

سمة الشهادة الخاصة وهي للامام الحسين (عليه السلام) خاصة ، وكما لم يجعل له (عليه السلام) من قبل سمي في الاسم ولا الشهادة ، اللهم إلا يحيى في سمة الشهادة ! فهو أسمى الاسمياء ليحيى بعده[1] وبعده المسيح (عليهما السلام).

وترى ان الله بشره دون وسيط كما تلوح « يا زكريا . . لم نجعل له . . » ؟ ام بوسيط الملائكة « فنادته الملائكة » ؟ وكيف الجمع بينهما ! . . ان قول ملائكة الوحي المرسلين الى الرسل هو قول الله ، فلا فرق اذاً بين « قال ربك . . » و « نادته الملائكة » أو أنه ندائان ، بواسطة الملائكة أولاً ، ثم دون وسيط ام بوسيط ملك الوحي الخاص جبريل ثانياً !

﴿ قال رب أنّى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً ﴾[8] .

وترى كيف يختار زكريا فيما يدعو ويختار ، فلو كان بعيداً عن رحمة الله أو مستحيلاً في قدرة الله لما كان يختاره بكل ضراعة وإصرار ؟ وقد عرض في معرض دعائه مانعاً منه فيه وفي زوجه ، عقراً وكبراً عتياً ، رجاء من الله أن يزيله فيهب له غلاماً رضياً زكياً !

---

(1) نور الثقلين ٣ : ٢٢٤ عن مجمع البيان عن ابي عبد الله « عليه السلام » في الآية وكذلك الحسين (عليه السلام) لم يكن له من قبل سمي ولم تبك السماء إلّا عليهما اربعين صباحاً ، قيل له : وما كان بكاءها ؟ قال : كانت تطلع حمراء وتغيب حمراء وكان قاتل يحيى ولد زنا وقاتل الحسين ولد زنا وفي ارشاد المفيد روى سفيان بن عيينة عن علي بن يزيد عن علي بن الحسين (عليه السلام) قال : خرجنا مع الحسين بن علي (عليهما السلام) فما منزل نزلاً ولا رحل منه الا ذكر يحيى بن زكريا وقتله وقال : ومن هوان الدنيا على الله أن رأس يحيى بن زكريا اهدي الى بغي من بغايا بني اسرائيل .

إنه لا يتساءل « كيف يكون » إستبعاداً لأصل الولادة او كيفيتها ، وإنما « أنّى يكون » سؤالاً عن زمانها ، أقريبٌ أم بعيد ، رغم أن «امرأتي كانت عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً » فليكن قريباً لكي تكونه لي ولأمه حظوة ، ولا فرق عندك بين تعجيله وتأجيله حيث الكبر والعقر قائم ولا سيما في تأجيله .

وان كان الجواب يلوح باستبعادلزكريا في الإستجابة « قال ربك هو علي هين . . » فانما هو من قصور فيه وفي زوجه ، ولا أنه كان يستبعد القدرة الإلهية ،أو أنه كان يستبعد الإجابة لأنها خارقة ، فاخذته الحيرة لما بُشّر بيحيى فانفلت من لسانه « أنى » ! إذ لم يتمالكه في عُجاب البشرى واستفسار خصوصياتها ، استغراباً من الاسباب ، لا من هبة مُسبب الاسباب ، كما ولا يذكر إلاّ عقراً لامرأته وعتياً لنفسه دون شيء من ربه إلا ما سبق في دعائه « انك سميع الدعاء » « ولم أكن بدعائك رب شقياً » !.

هنا يذكر من قصوراته في موانعه : لامرأته عقراً وشيخوخة ، فلو لم تكن عاقراً لم تلد الآن للشيخوخة وهي عاقر شيخة ! ولنفسه اشتعال الرأس شيخوخة وانخماد الشهوة عتوة : يبساً وجفافاً لنبعة النطفة ، ضعف على ضعف وعقر على عقر فاستعجاب من بشارة الولادة جانبياً ، يستوضح بـ « أنّى » زمنها وكيفيتها ، لا أصلـها المستجاب فيما تطلّبه بكل رغبة و :

﴿ قال كذلك قال ربك هو علي هينٌ وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً ﴾(٩) .

« قال » الله « كذلك » الذي بشرت هو واقع دون منعة مانع ولا دفعة دافع « كذلك قال ربك » : « هو عليَّ هينٌ » كيف لا « وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً » أفعيّاً بعدُ عن خلق غلام من ابوين ؟ .

وترى « خلقتك من قبل » تعني خلق زكرياً من أبويه الصالحين للإيلاد ؟ فهو أهون من خلق يحيى من ابوين عاقرين ولا اولوية في هذا القياس ! ام يعني خلق الإنسان الاول دون ابوين ، المنتهي خلق زكريا إليه ؟ والصحيح الفصيح هو الإفصاح عنه بـ « وقد خلقت آدم ولم يك شيئاً » ! .

وقد يلمح « ولم تك شيئاً » الى خلق المادة الأولية ـ وهو منها ـ لا من شيء ، وهو اولوية قاطعة بالنسبة لكل خارقة ، حيث الخلق من شيء أهون من الخلق لا من شيء وينتهي خلق كل شيء الى « لا من شيء » .

أو أنه ليس قياساً وإنما تسوية في الخلق الهيّن بين خلقه من صالحين وبين خلق يحيى منهما بموانعه فـ « هو علي هيّن » كما « قد خلقتك . . » وكان هيناً ، دونما صعوبة عليّ في خارقة العادة ، وهذا هو الواقع في حساب الله ان ليس في خلقه على مختلف المراتب سهولة وأسهل وصعوبة وأصعب ، وانما ذلك في حسابنا وكما يحدثنا بهذا الحساب : « وهو الذي يبدء الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه » (٣٠ : ٢٧) فالصعب يُعيي ولكن الله لا يعيى : « اولم يروا ان الله الذي خلق السماوات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على ان يحيي الموتى » (٤٦ : ٣٣) ! وقد يعنيهما « ولم تك شيئاً » جمعاً بين برهاني قياس المساوات والاولوية !

﴿ قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألاّ تكلم الناس ثلاث ليال سوياً ﴾(١٠) .

« . . . ألا تكلم الناس ثلاثة ايام إلا رمزاً واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشي والإبكار » (٣ : ٤١) .

ترى وكيف يطلب آية وهو مطمئن ببشارة الله وقد طمأنه ثانياً وعد الله ؟ . . انه لم يطلب آية لتدله على صدق الوعد ! وماهي الصلة بين آية خارقة وبين صدق الوعد ؟ ونفس الوحي آية هي أقوى من كل آية ! وسائر الايات

ليست إلا لتدل المرسل إليهم الى آية الوحي المدعىٰ للرسول !.

إنه يطلب آية لتدله على زمن تحقق البشارة حيث تتوق اليه نفسه ولا يعلمه بأصل البشارة . والنص « اجعل لي آية قال آيتك» آية مرتبطة به لإعلامه الوقت ، لا مرتبطة بالله لكي يصدَّق في البشارة ، ام ليُتأكد أن البشارة هي من الله وليس من سواه ! فان « رب أنى يكون لي غلام » برهان لا مرد له على تاكده انها بشارة ربانية ، فرواية هذه القيلة مطروحة[١] والانبياء معصومون في مثلث زاويته الأولى تلقي الوحي ، إذ لا يشتبه عليهم غير الوحي بالوحي !

وفي انجيل « لوقا ١ : ٢١» وها أنت تكون صامتاً ولا تقدر أن تتكلم الى اليوم الذي يكون فيه هذا لأنك لم تصدق كلامي الذي سيتم في وقته[١٩] وكان الشعب منتظرين زكريا ومعجبين من ابطائه في الهيكل[٢٠] فلما خرج لم

---

(١) في تفسير العياشي عن ابي بصير عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال : ان زكريا لما دعا ربه ان يهب له ذكراً فنادته الملائكة بما نادته احب ان يعلم ان ذلك الصوت من الله اوحي اليه ان آية ذلك ان يمسك لسانه عن الكلام ثلاثة ايام قال : لما امسك لسانه ولم يتكلم علم انه لا يقدر على ذلك الا الله .

وفي الدر المنثور ٤ : ٢٦١ اخرج اسحاق بن بشير وابن عساكر عن ابن عباس في الآية ـ الى قوله ـ : فقال : رب انى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقراً » خاف انها لا تلد قال : كذلك قال ربك يا زكريا هو علي هين وقد خلقتك من قبل ان اهب لك يحيى ولم تك شيئاً وكذلك اقدر ان اخلق من الكبير والعاقر وذلك ان ابليس اتاه فقال : يا زكريا دعاؤك كان خفياً فاجبت بصوت رفيع وبشرت بصوت عال ذلك الصوت من الشيطان ليس من جبريل ولا من ربك قال : رب اجعل لي آية حتى اعرف ان هذه البشرى منك . . قال : آتيك . . اقول ماذا يدل على ان الإجابة كانت بصوت جلي ، وهل هنالك آية معجزة اقوى من الوحي نفسه ؟ ! فالحديثان مطروحان دون ريب لمخالفة القرآن .

يستطع أن يكلمهم ففهموا أنه قد رأى رؤيا في الهيكل فكان يؤمي اليهم وبقي صامتاً »[٢١] .

وقد اقحم في هذه الآيات ما يمس من كرامة الرسالة فتعرض عرض الحائط ويصدق ما يصدقه القرآن وسائر البرهان .

و « ألا تكلم الناس ـ ثلاث ليال او ثلاثة ايام سوياً إلا رمزاً » آية تامة الهية تدله على ما يروم ، فقد يكون ترك الكلام لعقدة في اللسان ام لأي مرضٍ كان ، وهو يقول « سوياً » : حال أنك سليم ولو كان لمرض يمنع لم يقتسم بين ناس وسواهم وهو يقول « ألا تكلم الناس » فقد يكلم الله ويكلم ملائكة الله كما كان ، لكنه يعجز في وقته المحدَّد أن يكلِّم الناس « إلا رمزاً » ويومر أن يذكر ربه «واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشي والابكار » ! .

وترى كيف الجمع بين ثلاث ليال ، تجمع مع نهارين ، وثلاثة أنهار ، وثلاثة ايام أليست إلا ثلاثة انهار بلياليهن ام ليلتين ؟ ولم يكن الحد الزمني لآيته إلا إحداهما ! .

ثلاثة ايام نص في ثلاثة انهار ظاهر في ثلاث ليال . وثلاث ليال نص ـ في لياليها الثلاث وظاهر في ثلاثة انهار ، ونتيجة الجمع بين النصين والظاهرين هي ثلاثة ايام بمجموع أنهارها ولياليها ، واستعمال ثلاث ليال في المجموع سنة مستمرة ، وقد يعني الإتيان بالليالي إبرازاً لأهميتها في هذا المجال لـ « واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشي والإبكار » .

ثم « إلا رمزاً » سماح له أو أمر لتوجيه الناس الى تسبيح الله :

﴿ فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشياً ﴾[١١] .

ذلك ـ وليعيشوا في جو النور الذي أمر أن يعيشه ، تحضيراً للبشارة

وشكراً على النِعْمَة ، و « بكرة وعشياً » تعني في مجموعة ثلاثة ايام صباح مساء ، وقد يعني ذكرهما أنهما كانا أصلين لأوقات العبادة في شرعة التورات ، أم هما أفضل الاوقات ، لأنهما البداية والنهاية في اليقظة او الشغل ، فليبكر وا بتسبيح الله وليعشوا به .

ثم « فأوحى اليهم » هو الرمز المسموح له في تكلم الناس أياً كان فهو « وحي الإشارة» كما يروى عن امير المؤمنين (عليه السلام)[١].

« يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناها الحكم صبياً »[١٢] .

هنا يطوى عن « متى ولد يحيى ؟ وكيف ولد ؟ وماذا حصل بهذه الولادة؟» طيا لصفحة زكريا في صمته بتسبيحه ، وسدلاً لستار عليه وعلى الولادة ، فتحاً لصفحة جديدة ومختصرة غيرمختصرةعن يحيى (عليه السلام) حيث ليس كتاب القصة إلا ما يقص منها للنبهة والتذكرة ، ابرازاً لاهم الحلقات وطياً لسائرها حيث لا تعني ما يعنيه القرآن من قصته .

يؤمر يحيى أن يأخذ الكتاب بقوة ، حاكماً به وداعياً إليه « صبياً » وهو قبل بلوغ الحلم ، ويروى عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انه « أعطي الفهم والعبادة وهو ابن سبع سنين »[٢]و « قال الغلمان ليحيى بن زكريا إذهب بنا نلعب فقال يحيى : ما للعب خلقنا إذهبوا نصلي فهو قول الله :

---

(١) في تفسير النعماني باسناده عن الصادق (عليه السلام) قال قال امير المؤمنين (عليه السلام) حين سألوه عن معنى الوحي فقال : منه وحي النبوة ومنه وحي الالهام ومنه وحي الاشارة فقوله «فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشياً » اي اشار اليهم كقوله تعالى: لا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزاً ».

(٢) الدر المنثور ٤ : ٣٦٠ ـ اخرج ابو نعيم وابن مردوية والديلمي عن ابن عباس عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الآية قال : اعطي . . .

« وآتيناه الحكم صبياً »[١].

أترى ان ذلك الحكم ـ فقط ـ هو الفهم والعبادة من دون وحي ونبوة ؟ وله نظائر من الصبيان علماً وعملاً ! وهكذا حكم ليس لزامه أخذ الكتاب بقوة ، حيث البالغ المؤمن العادل يأخذ كتاب الشرعة بقوة ودون قوة ويحيى كان نبياً دونما ريبة !

أم إنه النبوة وقد عطفت بالكتاب في آيات عدة[٢] تجمع بين الكتاب والحكم والنبوة ، مما يدل على أن الحكم ليس لزامه النبوة ، [١] فقد يؤتى الكتاب دون حكم ولا وحي ولا نبوة ، كالمرسل اليهم بكتاب الشرعة ، [٢] او يؤتى كتاباً بوحي الرسالة بحكم الولاية الشرعية كسائر المرسلين [٣] ام وحكم الملك كداود وسليمان (عليهما السلام) [٤] او يضاف الى وحي الرسالة بحكميها أو أحدهما النبوة وهي الرفعة في الرسالة ، [٥] أو يؤتى حكم الولاية الشرعية دون وحي كسائر ولات الشرع ، [٦] او ولاية الملك فقط على غرار الشرعة دون وحي ولا ولاية شرعية كما لطالوت الملك !

فالحكم ـ أيا كان ـ كائن في الخمسة الاخيرة فليس لزامه خصوص وحي الرسالة فضلاً عن النبوة !

---

(١) المصدر (٣٦١) اخرج الحاكم في تاريخه من طريق سهل بن سعيد عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : . . .

(٢) « ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبو . . (٣ : ٧٩) « اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة » (٦ : ٨٩) « ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة » (٤٥ : ١٦) « فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً » (٤ : ٥٤).

فهل يعني حكم يحيى الذي أوتيه صبياً حكم المُلك ؟ ولم يكن مَلِكاً وإنما ذبحه كما الحسين (عليه السلام) ملك ظالم! أم حكم ولاية الرسالة او النبوة ؟ ولا دليل عليه حين كان صبياً مهما بلغ بعد صباه الى رسالة ام نبوة ! ام حكم الولاية الشرعية ولما يبلغ أشده ؟ او حكمَ العقل والفهم بصورة خارقة للعادة وهو مادة الولاية الشرعية ؟ وهو القدر المتيقن من حكمه ، كخارقة إلهية لمن لم يبلغ أشده ، مهما أبلغه الله شداًواحداً وهو العقل الرزين والادراك المتين[1] فلا نبي فيمن نعرف أوتي حكماً قبل ان يبلغ أشده وكما موسى : « ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً » (٢٨ : ١٤) وفي يوسف « ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً » (١٢ : ٢٢) . ولم يك عيسى نبياً في المهد مهما تكلم بوحي النبوة ، ذوداً عن أمه المعصومة ، وتبشيراً برسالته

---

(١) نور الثقلين ٣ : ٣٢٥ ح ٣٤ في كتاب الاحتجاج للطبرسي وروي عن موسى بن جعفر (عليه السلام) عن ابيه عن آبائه عن الحسين بن علي (عليهم السلام) قال : ان يهودياً من يهود الشام واحبارهم قال لأمير المؤمنين (عليه السلام) فهذا يحيى بن زكريا يقال : انه اوتي الحكم صبياً والحلم والفهم وانه كان يبكي من غير ذنب وكان يواصل الصوم ؟ قال علي (عليه السلام) : لقد كان كذلك ومحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) اعطي افضل من هذا ان يحيى بن زكريا كان في عصر لا اوثان فيه ولا جاهلية ومحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) اوتي الحكم والفهم صبياً بين عبدة الاوثان وحزب الشيطان فلم يرغب لهم في صنم قط ولم ينشط لأعيادهم ولم يُر منه (صلى الله عليه وآله وسلم) كذب قط وكان اميناً صدوقاً حليماً وكان يواصل صوم الاسبوع والاقل والاكثر فيقال له في ذلك فيقول : اني لست كأحدكم اني اظل عند ربي يطعمني ويسقين وكان يبكي (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى يبتل مصلاه خشية من الله عز وجل من غير جرم .

أقول : قياسه صبا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بصبا يحيى دليل على ان الحكم فيهما ليس النبوة وانما الحالة المتحضرة للنبوة الآتية .

كهلاً « ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين » (٣: ٤٦) فلم يكلم الناس كرسول بين مهده وكهله !

هذا ، ومن أئمتنا المعصومين من بلغ الامامة والولاية الكبرى الاسلامية قبل أشده إلا شداً في عقله كالإمام محمد بن الحسن المهدي عجل الله تعالى فرجه حيث تقلد إمامة الأمة في الخامسة من عمره الشريف ، ثم جواد الأئمة (عليهم السلام) في الثامنة او التاسعة من عمره [1].

---

(١) المصدر ح ٣٢ ـ الحسين بن محمد عن معلى بن محمد عن علي بن اسباط قال : رأيت ابا جعفر (عليه السلام) وقد خرج عليّ فأجدت النظر اليه وجعلت انظر الى رأسه ورجليه لاصف قامته لاصحابنا بمصر فبينا انا كذلك حتى قعد فقال يا علي : ان الله احتج في الامامة بمثل ما احتج به في النبوة فقال : وآتيناه الحكم صبياً ولما بلغ اشده وبلغ اربعين سنة » فقد يجوز ان يؤتى الحكمة وهو صبي ويجوز ان يؤتى الحكمة وهو ابن اربعين سنة » اقول : الآية الثانية غير مرتبطة بالنبوة فان بدايتها « ووصينا الانسان بوالديه احساناً . .حتى اذا بلغ اشده . . » الى قوله : اني تبت اليك واني من المسلمين» فانها ليست فيها اشارة الى النبوة اللهم الا الايمان الاسلام وهو اعم ، ثم الآية الاولى ليس فيها الا الحكم وهو كما قسمناه لا يخص حكم النبوة ، اذاً فهذه الرواية مؤولة او مطروحة مردودة الى من نسبها الى الامام (عليه السلام) .

وفيه (٣٥) عن المناقب محمد بن اسحاق بالاسناد جاء ابو سفيان الى علي (عليه السلام) فقال : يا ابا الحسن جئتك في حاجة قال : وفيم جئتني ؟ قال : تمشي معي الى ابن عمك محمد فنسأله ان يعقد لنا عقداً ويكتب لنا كتاباً فقال : يا ابا سفيان لقد عقد لك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عقداً لا يرجع عنه ابداً وكانت فاطمة (عليها السلام) من وراء الستر والحسن يدرج بين يديها وهو طفل من ابناء اربعة عشر شهراً فقال لها : يا بنت محمد قولي لهذا الطفل يكلم لي جده فيسود بكلامه العرب والعجم فأقبل الحسن الى ابي سفيان وضرب احدى يديه على انفه والاخرى على لحيته ثم انطقه الله عز وجل بأن قال : يا ابا سفيان قل : لا اله الا الله محمد رسول الله =

ثم وما تعني « خذ الكتاب بقوة » ؟ إنه اخذ التوراة بقوة العلم والعمل والحكم بهما بين الناس بالولاية الشرعية لمّا يبلغ اشده[١].

﴿ وحناناً من لدنا وزكاةً وكان تقياً[٣]وبَراً بوالديه ولم يكن جَباراً عتيّاً[١٤]وسلامٌ عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيّا[١٥]﴾.

«و»آتيناه حناناً من لدنا وبراً بوالديه . . » إيتا آت وعطيات إلهية « وكان » قبلها وبعدها « تقياً » فلم تكن تلك الموهبات اللدنية دون شيء . فانما « زكاة » من لدنه « وكان تقياً » في زكاته ، حيث الغايات اللدنية تنزل حسب القابليات والفاعليات فقابلية « زكاة » كانت من لدنه ، وفاعلية « وكان تقياً » منه (عليه السلام) نسخة طبق الأصل !.

هنالك حنان وزكاة وبرٌ ، وبينها تقيٌ منذ ولد حتى الممات إذاً فكله «سلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً » !.

والحنان هو الإشفاق المتضمن للصوت الدال على الشفقة . و « من لدنا» تجعله خارقاً للعادة المألوفة وفي مربع من الحِنّة ١ ـ حنان من الله وعطف بما يحمله وحيه الحنون ورحمته الحنون « كان إذا قال يا رب قال الله عز وجل :

= (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى اكون شفيعاً فقال : الحمد لله الذي جعل من ذرية محمد المصطفى نظير يحيى بن زكريا « آتيناه الحكم صبياً » اقول : ولم يكن الحسن (عليه السلام) حينذاك اماماً وانما اوتي حكماً : عقلاً وفهماً .

(١)ـ نور الثقلين ٣ : ٢٢٥ ح ٢١ في اصول الكافي باسناده عن ابي جعفر (عليه السلام) في حديث طويل يقول فيه : مات زكريا فورثه ابنه يحيى الكتاب والحكمة وهو صبي صغير اما تسمع لقوله عز وجل : يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً » فلما بلغ عيسى (عليه السلام) سبع سنين تكلم بالنبوة والرسالة حين اوحى الله اليه فكان عيسى الحجة على يحيى وعلى الناس اجمعين .

لبيك يا يحيى[1]، ٢ ـ وحنان له من لدنه جعله يحن اليه ليل نهار بحنينه وانينه وعبادته، ٣ ـ وحنان منه الى عباد الله ، يدآب في دعوتهم إلى ربهم ٤ ـ وحنان من الناس إليه وكما في موسى « وألقيت عليك محبة مني » ! فهو إذاً محبط الحنان ومصدره بين الله وخلقه ، ورأس الزاوية من حنانه انجذابه الخاص الى ربه لحدٍّ لا يؤلف في سواه اللهم إلا الاخصين من الصالحين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وعترته الطاهرين(عليهم السلام) .

هنالك حنان يمازجه ضيق ببكاء دائب إشفاقاً من ربه واشتياقاً إليه ، صوت المشتاق المفتاق الى ربه مثلما كان لأستوانة الحنّانة حنين بفراق الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ولذلك سميت حنانة !

« وزكاة » : آتيناه زكاة ـ طهارة عما يدنس ساحة الإنسانية والإيمان الإسلام « و » الحال انه « كان تقياً » فـ « الذين اهتدوا زادهم هدى » (٤٧ : ١٧) فلما كان تقياً يتقي الموبقات ، آتيناه زكاة عما يُتّقى من جهل وسوء خلق وفسوق وعصيان فاصبح زكياً دون عيب في نماء وربوة روحية متعالية ، متزكياً في نفسه مزكياً لغيره ، زاكياً زكياً ذكياً في كل الحقول محلقاً على كل العقول.

« و » آتيناه « براً بوالديه » وترى إن بر الوالدين من ميزّات الرحمات اللدّنية الربانية ؟ ولم يذكر في عدادها لسائر المرسلين ! ولا من دونهم من أولياء الله المكرمين ! فإنه من صفات المؤمنين قبل هذه الدرجات العليا ! فكيف يذكر في سائر القرآن بين سائر المرسلين ـ فقط ـ ليحيى وعيسى عليهما السلام ؟!.

---

(١) في الكافي باسناده عن ابي حمزة عن ابي جعفر (عليه السلام) قال : قلت : فما عنى بقوله في يحيى : « وحناناً من لدنا وزكاة » ؟ قال : تحنن الله ـ قلت : فما بلغ من تحنن الله عليه ؟ قال : كان اذا قال : يا رب . . .

﴿ وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً ﴾(١٤) .

إن السيد المسيح كما يأتي قد افتري عليه بخلاف البرّ لوالدته وأنه كان جباراً عليها عصياً ، فدافع عنه القرآن هنا ، ولان يحيى الرسول كان مبشراً بالمسيح ، وكانت مهمته الرسالية ذلك التبشير : « إن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين » (٣: ٣٩) .

لذلك يذود عنه ايضاً تلك الوصمة كإعداد لأصله المبشَّر به، فإذا كان يحيى المبشر بالمسيح براً بوالديه فأحرى بالمسيح كونه براً بوالدته ! « ولم يكن جباراً » : مستعلياً مستكبراً يحمل غيره على ما اراد ولا يتحمل عن غيره ما يراد « عصياً » : كثير العصيان .

هذه جوامع أحوال يحيى في نفسه وما آتاه ربه ، وأمام الخالق والمخلوق ، زوايا ثلاث من حياته منذ ميلاده حتى موته : حاكماً حكيماً حنوناً زكياً تقياً وبراً بوالديه ولم يكن جباراً عصياً ، فهو جملة وتفصيلاً سلام في سلام الى سلام .

﴿ وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً ﴾(١٥) .

صحيح أن « سلام على المرسلين » (٣٧: ١٨١) جملة وسلام عليهم تفصيلاً ، إلاّ أنّ يحيى وأحرى منه عيسى قيل فيهما أقاويل تمس من كرامة الرسالة ولادة وموتاً وبعثاً لذلك نجد مثلث السلام لهما في سائر القرآن بين سائر المرسلين ، هذا ليحيى ومن ثم المسيح (عليه السلام) : « والسلام عليّ يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حياً » (٣٣) .

ف « ان اوحش ما يكون في هذا الخلق في ثلاثة مواطن ، يوم يولد ويخرج من بطن امه فيرى الدنيا ، ويوم يموت فيعاين الآخرة وأهلها ، ويوم يبعث فيرى أحكاماً لم يرها في دار الدنيا وقد سلم الله عز وجل على يحيى في هذه

الثلاثة مواطن وآمن روعته فقال « وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً» وقد سلّم عيسى بن مريم على نفسه فيها»[١] فسلام الولادة والموت سلام طول حياة التكليف ، وسلام البعث حياً هو سلام الخلود في عطاءٍ غير مجذوذ ويعني مثلث السلام للمسيح (عليه السلام) اكثر مما يعنيه في يحيى ذوداً عن ساحته فيها لا مزيداً لسلامه فيها[٢] .

و « سلامٌ » في إرساله يعم كلَّ سلام من كل مسلِّم ،من الله في رحمتيه ، ومن الملائكة طلب الرحمة كما في سائر المرسلين والصالحين ، ومنه نفسه كلّما يقدمه لكل سلام منذ الحكم حتى الموت ، ومن سائر الناس ان يعتقدوا فيه كل سلام . إذاً فهو في مربع السلام تكويناً وتشريعاً لا يجوز لأحد ان يقول فيه غير « سلام » ! وهل يوجد بين الأتقياء أتقى من يحيى ؟ علّه نعم فانه لم يكن من أولي العزم مهما بلغ من تقاه ، ثم القرآن يصرح بان الرسول محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) اوّل العابدين ! او علّه لا إلا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) مهما سبق سائر اولي العزم في سائر عزمهم على يحيى ، ولكنه اتقى منهم[٣] ام هم على سواء إلا خاتمهم (صلى الله عليه وآله

---

(١) نور الثقلين ٣ : ٣٢٧ ح ٣٨ عيون الاخبار باسناده الى ياسر الخادم قال : سمعت ابا الحسن الرضا (عليه السلام) يقول : ان اوحش . .

(٢) يأتي تفصيله في سلامات المسيح بعد قليل .

(٣) ويتبع محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) اهل بيته المعصومون (عليه السلام) وقد تظافرت الرواية عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في فضل يحيى ففي الدر المنثور ٤ : ٢٦٢ ـ اخرج ابن المنذر وابن ابي حاتم وابن مردويه وابن خزيمة والدارقطني في الافراد وابو نصر السنجري في الابانة والطبراني عن ابن عباس قال كنا حلقة في مسجد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نتذاكر فضائل الانبياء ، فذكرنا نوحاً وطول عبادته وذكرنا ابراهيم وموسى وعيسى ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فخرج =

وسلم)، فسلامٌ عليه من عيسى «وسلام عليه» من الله ليحيىٰ قد يلمح لكونه اتقى من عيسى مهما كان المسيح افضل منه في ولاية العزم اللهم إلا في تقاها[1].

= علينا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : ما تذاكرون بينكم فذكرنا له فقال : اما انه لا ينبغي ان يكون احد خيراً من يحيى بن زكريا اما سمعتم الله كيف وصفه في القرآن « يا يحيى خذ الكتاب بقوة ـ الى قوله ـ وكان تقياً ـ لم يعمل سيئة قط ولم يهم بها اقول : لعله نعم الا محمداً(صلى الله عليه وآله وسلم) لقوله تعالى « قل ان كان للرحمن ولد فانا اوّل العابدين » ولآية التطهير وامثالها من ادلة تفضيل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وآله على العالمين اجمعين وفيه اخرج ابن عساكر عن ابن شهاب ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خرج على اصحابه يوماً وهم يتذاكرون ـ وذكر مثله في معناه ـ فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اين الشهيد ابن الشهيد يلبس الوبر ويأكل الشجر مخافة الذنب يحيى بن زكريا وفيه اخرج احمد والحكيم الترمذي في نوادر الاصول والحاكم وابن مردويه عن ابن عباس ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : ما من احد من ولد آدم الا وقد اخطأ او هم بخطيئة إلا يحيى بن زكريا لم يهم بخطيئة .ولم يعملها اقول يستثنى من عمل الخطيئة كافة المرسلين وساير المعصومين ، ومن الهم بالخطيئة الرعيل الاعلى منهم وفي انجيل متى » : « عن السيد المسيح « الحق اقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء اعظم من يوحنا المعمدان . . » وهو اسم ثان ليحيى حسب الانجيل .

(١) الدر المنثور ٤ : ٢٦٢ ـ اخرج عبد الرزاق واحمد في الزهد وعبد بن حميد وابن جرير وابن ابي حاتم عن الحسن قال : ان عيسى ويحيى التقيا فقال عيسى ليحيى استغفر لي انت خير مني فقال له عيسى بل انت خير مني سلم الله عليك وسلمت انا على نفسي وفيه اخرج احمد وابو يعلى وابن حيان والطبراني والحاكم والضياء عن ابي سعيد قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة الا ابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا اقول قد يعني بذلك من مات شاباً فلا يشمل الامام المهدي (صلى الله عليه وآله وسلم) واما الامام الجواد فقد يعني من

وترى لماذا « يوم يموت » وهو ميت حال نزول آية السلام ؟ لأنه ينقل « سلام » عن حال حياته ، لا أنه « سلام » بعد استشهاده حال نزول آية السلام !

ولماذا « حياً » بعد « يوم يبعث » والبعث ليس إلا بعث الحياة ؟ قد يعني أنه لا يموت عن حياة البرزخ الى حياة الآخرة ، وإنما يزداد حياتها الى حياته ، لأنه والمسيح ممن استثنى من الصعقة « ونفخ في الصور فصعق من في السماوات والأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فإذا هم قيام ينظرون » (٣٩:٦٨) فهما ممن شاء الله ألا تأخذهم الصعقة بموت أم غشوة ، وإنما انتقالاً من برزخ الحياة الى أخراها ببعث لبدن والروح حيٌّ يزداد حياتاً بهذا البعث !

وقد تلمح « حياً » فيما تعني أنه حي في البرزخ بحياة الشهادة ، حياتاً في حياة لا تسلبان عنه إذ « يبعث حياً » وما ألطفه جمعاً بين الحياتين فيما تعنيه « حياً »[١] وهو ـ إذاً ـ حال عن يحيى المضمر في « يبعث »[٢] .

= الشباب غير اهل بيت الرسالة المحمدية فانهم في الدرجة العليا من العصمة لا يدانيهم احد كما تدل آية التطهير ورواياته ! .

(١) الدر المنثور ٤ : ٣٦٣ واخرج ابن عساكر من طريق علي بن زيد بن جدعان عن علي بن الحسين (عليه السلام) عن الحسين بن علي (عليه السلام) قال : كان ملك مات وترك امرأته وابنته فورث ملكه اخوه فاراد ان يتزوج امرأة اخيه فاستشار يحيى بن زكريا في ذلك وكانت الملوك في ذلك الزمان يعملون بامر الانبياء فقال له : لا تتزوجها فانها بغي فبلغ المرأة ذلك فقالت ليقتلن يحيى او ليخرجن من ملكه فعمدت الى ابنتها فصيغتها ثم قالت : اذهبي الى عمك عند الملاء فانه اذا رآك سيدعوك ويجلسك في حجره ويقول : سليني ما شئت فانك لن تسأليني شيئاً الا اعطيتك فاذا قال لك قولي : لا اسألك شيئاً الا رأس يحيى وكانت الملوك اذا تكلم احدهم بشيء على رئوس الملاء ثم لم يمض له =

فـ « يوم يبعث » للحياة الآخرة حالكونه « حياً » بالحياة البرزخية وحياة الشهادة، ولا نجد البعث حياً إلّا في يحيى والمسيح (عليهما السلام) مهما يبعث أضرابهما من أولياء الله الكرام أحياءً، بحياة إن ماتوا أم حياتين ان استشهدوا، فغيرهم لا يبعثون أحياءً، وإنما عن موت برزخي مهما كان الشهداء أحياءً قبل البعث اكثر من سائر الاحياء!.

﴿ زكريا ويحيى في القرآن والعهدين ﴾:

يذكر زكريا سبعاً ويحيى خمساً في سائر القرآن بكل تبجيل وتجليل، ومن ميزات يحيى أنه ولد خارقة العادة وسماه الله يحيى وآتاه الحكم صبياً، وقد تشير « يحيى » إلى انه يحيى حياةً طيبةً، وأنه تستمر حياته البرزخية إلى بعثة: « يوم يبعث حياً » دون موت في البرزخ!

ومما يلمع في رسالة يحيى انها رسالة التبشير بالمسيح (عليه السلام) و « ان الله يبشرك بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين » (٣: ٣٩) فرسالة التبشير هذه هي رأس الزاوية من رسالته المباركة.

ولأن شعب إسرائيل حسب البشارة في العهد العتيق كانوا ينتظرون المسيح، ظنوا يحيى وهو يوحنا المعمدان أنه المسيح (عليه السلام) فنفى لمرات عن نفسه أنه المسيح وكما في « لوقا الاصحاح الثالث »:

= نزع من ملكه ففعلت ذلك فجعل يأتيه الموت من قتل يحيى وجعل يأتيه الموت من خروجه من ملكه فاختار ملكه فقتله، فساخت بأمها الارض . . ».

(٢) اجل حال لا مفعول فان البعث يتعدى لمفعول واحد وهو هنا نائب الفاعل في « يبعث » وحتى اذا عدي البعث الى مفعولين فلا يتعدى الى ثان هو « حياً » لانه تحصيل لحياة حاصلة، اللهم إلّا مزيد الحياة المعنى بـ «حياً» وهي حالٌ ليحيى!.

« واذا كان الشعب ينتظر والجميع يفكرون في قلوبهم عن يوحنا لعله المسيح (عليه السلام)[١٥] اجاب يوحنا الجميع قائلاً : أنا أعمدكم بماءٍ ولكن يأتي من هو أقوى مني الذي لست أهلاً أن أحلَّ سيور حذائه وهو سيعمدكم بالروح القدس ونار[١٦] الذي رفشه في يده وسينقي بيدره ويجمع القمح الى مخزنه[١٧] »

وفي يوحنا ١ : ١٩ ـ ٢٧ : « وهذه شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولا ويين ليسألوه من أنت ؟ فاعترف ولم ينكر وأقرَّ : إني لست أنا المسيح ، فسألوه إذا ماذا ؟ ايليا أنت ؟ فقال : لست انا ! النبي انت ؟ فاجاب : لا ! فقالوا : من أنت لنعطي جواباً للذين أرسلونا ماذا تقول عن نفسك قال : أنا صوت صارخ في البرية ـ قوّموا طريق الرب كما قال اشعيا النبي ـ وكان المرسلون من الفريسيين ، فسألوه وقالوا له ما بالك تعمِّد؟ إن ان كنت لست المسيح ولا ايليا ولا النبي ؟ اجابهم يوحنا قائلاً : أنا أعمد بماءٍ ولكن وسطكم قائم الذي لستم تعرفونه هو الذي يأتي بعدي الذي صار قدامي الذي لست بمستحق أن احل سيور حذائه » .

هذه الآيات ترسم الجوّ الإسرائيلي بانتظار ثلاثة اشخاص بعد يحيى : « ـ المسيح ـ ايليا والنبي » ! وقد صدقهم يحيى هكذا كما الفريسيون ، وليس « النبي » إلا الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي بشرت به كتابات العهدين العتيق والجديد ، وقد كان معروفاً لديهم لحد الغنى عن ذكر اسمه وكأنه ـ فقط ـ نبي لا سواه ، و « ايليا » هو عليٌّ دون « إلياس النبي » لاختلاف الاسم وسبقه على يحيى بزمن ، وقد اتى ايليا لعلي في بشارات اخرى[١] .

---

(١) راجع كتاب « رسول الاسلام في الكتب السماوية » .

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ
مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ
حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾
قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾
قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾
قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ
بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ
آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾
* فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا
الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا
وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي
قَد جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ
النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي

وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ
لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ
قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾
يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ
بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ
فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ
وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى
بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ
يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ
أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ
ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ
سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾
وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾

فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن
مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا
لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ
يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ ۘ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا
وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

عرض عريض لقصة الولادة والنبوة العجيبة لعيسى تلو يحيى لما بينهما من مشابهات فيهما . فقصته مختصرة عابرة للمبشِر تتقدم لتقدمه في رسالة البشارة ـ ثم تتلوها قصة المسيح بداية من أمها في حملها وحَملها وولادتها ، وهي أعجب من قصة يحيى ، فاذا ولدٌ من عاقر وشيخ قد اشتعل رأسه شيباً فهنا الولادة دون بعل من طاهرة عذراء كأعجب ما يشهده تاريخ الإنسان إلا ما لم يشهده من خلق آدم مهما عرف بوحي القرآن .

ذلك ولكي تكون الولادة من غير أب دلالة على إمكانيتها دون أبوين ،

كما أن هذه دلالة على اوليتها دون أب ليهتدي اولاء وهؤلاء فلا يخيّل إليهم أصل الأنواع ولا البنوة الآلهية، وهذه الولادة بجنب ذلك خارقة لبيت إسرائيل الخارقة التي لا تحن إلى آية الهية خارقة، اللهم إلّا جديدة محيرة كهذه، رغم ان طائفة منهم اتخذوها فرية واخرى بنوة إلهية دون أية حجة إلّا أهواء مضللة!

يولد المسيح هكذا «ولنجعله آية للناس» مثالاً للخلق الأوّل وخارقة للأخرين، تدليلاً على حرية وطلاقة القدرة الإلهية دون احتباس في النواميس التي قررها فـ «الله غالب على أمره ولكن اكثر الناس لا يعلمون» حادثة واحدة لن تتكرر حيث انقطعت النبوة بعد محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ولكي تبقى معلماً بارزاً أمام البشرية على حرية المشية الإلهية!.

﴿ واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً ﴾[١٦].

«مريم» لغة سريانية تعني الغالبة المرتفعة، وعلّها لأنها غلبت شهوتها وأحصنت فرجها رغم جمالها وكثرة الراغبين اليها، وغلبت على الولد الذي هوته أمها في قداستها وإنتاجها. وارتفعت عما افتروا عليها، وعن أقرانها من نساء العالمين وقبل كل ذلك هي موهوبة الرب وقد «تقبلها ربها بقبول حسن» (٣: ٣٧) تقبلها مريمَ كما تسمت بما تعنيه من معانيها!.

وفي حين تُذكر مريم خمساً وثلاثين مرة في القرآن بكل تبجيل وتجليل، لا تذكر في الإنجيل إلّا خمساً بكل مهانة وتخجيل[١].

---

(١) وهي ١: قصة قانا الجليل (يوحنا ٢: ٣) ٢: اذ ارادت ان تكلم ابنها وهو يعلم تلاميذه و(متى١٢: ٤٦ ومرقس ٣: ٣١ ولوقا ٨: ١٩ ـ ٣: عند صلبه (يوحنا ١٩: ٢٦) ٤: وفي الايام الاولى بعد صعوده (يوحنا ١٤١: ١٤). ٥: عند ذكر ابنائها: يعقوب، يوشي، يهودا، شمعون وعدة من بناتها (متى ١٣: ٥٥ و٢٧: ٥٦ ومرقس ٦: ٣ و١٥: ٤٠ و٤٧.

« واذكر في الكتاب مريم » هنا يؤمر الرسول أن يذكر في الكتاب مريم وما هو ذلك الكتاب ؟ أهو القرآن وذاكر مريم وسواها مما يذكر فيه ليس إلّا الله ، فانه كلام الله والرسول وسيط لنقله الى العالمين !

إنه ذكرها في القرآن بالوحي ، فالقرآن هو كلام الله في الأصل ، وهو كلام الرسول كرسول « إن هو إلّا قول رسول كريم . ذي قوة عند ذي العرش مكين » (٨١: ٢٠) فـ « اذكر في الكتاب مريم » ذكر بالوحي في بعدي اللفظ والمعنى كما في «ابراهيم وموسى واسماعيل وادريس»[٢] وذكري الخمسة كلها في هذه السورة ! . .

او انه ذكرها في نفسه (صلى الله عليه وآله وسلم) مما أوحي إليه ليلة القدر وهنا التفصيل ، فالكتاب إذاً هو القرآن المحكم ، أو أنه يعنيهما جملة وتفصيلاً .

وذكر مريم في سورتها وسواها ذكر لواجب قصتها التي تتبنى طهارتها وطهارة المسيح عليهما السلام ، لا سردها على طولها كما تقص في كتب القصص ! .

ان مريم هي فتاة عذراء ، قديسة حوراء ، تستوهبها أمها من ربها فيهبها « وتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً . . » (٣: ٣٧) . . .

هذه الفتاة ـ وهي حليفة المحراب ، تأخذها انتباذات وهزات تنبض لها

اقول لم يكن لها ولد الا المسيح حسب القرآن والحديث ويأتي توضيح موارد الاهانة بها في هذه الآيات .

(٢) وهم على الترتيب في ١٩ : ١٦ ـ ٤١ ـ ٥١ ـ ٥٤ ـ ٥٦ .

ولابنها المسيح بآية دائبة وحياة ! وهي بعدما اهتزت بالبشارة الملائكية من قبلها .

نبذة أولى : « إذا انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً . . » ثم هزة « فارسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً . قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً »

وهزة ثانية : «لأهب لك غلاماً زكياً قالت انى يكون لي غلام . . » .

وهزة ثالثة : « فحملته » وهنا نبذة ثانية « فانتبذت به مكاناً قصياً » .

وهزة رابعة : « فاجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً » وهنا بشارة تخفف عنها هزاتها « فناداها من تحتها الا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً »

ثم هزة خامسة : هي الاخيرة « يا اخت هارون ما كان ابوك امرء سوء » ولكنها تسكن الى رياحة ورحمة : « قال إني عبد الله . . . » « ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون»!.

« اذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً » والنبذ هو الطرح المضمَّن معنى الرفض امتهاناً احياناً : « فنبذناهم في اليم » (٢٨ : ٤٠) « فنبذوه وراء ظهورهم » (٣ : ١٨٧) وامتحاناً أخرى « فنبذناه بالعراء وهو سقيم » (٣٧ : ١٤٥) فمنه مذموم « لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم » (٦٨ : ٤٩) ومنه غير مذموم وان ترائى انه مذموم ، كالتكاليف النسائية الواجبة من غسل وأمثاله .

وانتباذ مريم وانطراحها مكاناً شرقياً قبل تمثل الروح لها بشراً سوياً وقبل حملها ، علّه لحالة خاصة بالفتات تستحي فيها من أهلها كالغسل عن

حيضها ، حيث يقتضي الإحتجاب عنهم مكاناً شرقياً تشرق عليها الشمس تخفيفاً عن برودة الماء .

ولانها كانت دائبة المقام في محرابها كما نذرت لذلك فلم تكن عند أهلها إلا أيام عذرها . فانتباذها إذاً من أهلها مكاناً شرقياً واتخاذها من دونهم حجاباً ، ليس انعزالاً في عبادتها وانما فيما يُستحى منه وإلاّ فلما ذا الإنتباذ والحجاب والمكان الشرقي ؟!.

فها هي ذي في شأنها الخاص حيث توارت حتى عن أهلها وهي عارية عن ملابسها تفاجأ مفاجأة عنيفة تهز أركانها وتفز مذعورة منتفضة لأول مرة في حياتها :

﴿ فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً ﴾(١٧) .

ها هي محتجبة عن أهلها وحتى عن أمها ، مشغولة بشأنها في غسلها . مطمئنة الى انفرادها وهي عريانة بكامل جسدها ، فاذا بشر سوي أمامها يفجأها في خلوتها وعراها رغم حجابها ! فتداخلها رهبة تفجئها رغم أهبتها بما بشرت في الأولى ، إذ ترى أمامها بشراً سوياً وليس هنالك سوي ولا غير سوي ليكون هو منهم ، فانها « انتبذت من اهلها مكاناً شرقياً فاتخذت من دونهم حجاباً » فما لها وبشراً أمامها ، إلا اختلاساً عليها إذ يحضر عندها وهي عارية في شأنها الخاص دون أهبة ولا استئذان . وكأنه من أقرب المحارم ، بل هو زوج لا يكاد يستأذن زوجه !

وترى من هو «روحنا» المتمثل «لها بشراً سوياً»؟ ولماذا لم يظهر بصورته الأصلية حفاظاً على اطمئنانها ؟ هنا « روحنا » واهبُ لمريم غلاماً زكياً باذن الله نفخاً فيها في فرجها ، وفي اخرى المنفوح في فرجها هو « من روحنا » :

« والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا » (٦٦: ١٢) وهي تفسر « فنفخنا فيها من روحنا » (٢١: ٩١) أن النفخ من روحنا فيها لم يكن إلاّ في فرجها[١] وإضافة « نا » الإلهية فيهما لا تعني إلا تشريفاً للنافخ والمنفوخ أنهما من الأرواح المشرفة التي خلقها ، كما في آدم (عليه السلام) « فاذا سويته ونفخت فيه من روحي » (٣٨: ٧٢) ثم في بنيه : « . . وبدأ خلق الإنسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة » (٣٢: ٩) وهذه الارواح الاربعة : « روحنا » ـ « من روحنا » ـ « من روحي » « من روحه » كلها من أمر الله لا من ذاته « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي » (١٧: ٨٥) فانها تفسر الارواح كلها أنها من أمر الله ، وليس أمر الله ذاته او من ذاته ، وإنما هوفعله المختلف عن ذاته بكل بينونة ذاتية وصفاتية ، مهما كان مفضلاً على سائر الأرواح أماذا ؟ .

« وروحنا » المرسل لذلك النفخ ليس إلا الروح الامين النازل بالوحي « نزل به الروح الامين على قلبك » (٢٦: ١٩٣) والنازل بروح النبوة على رجالات الوحي : « ينزل الملائكة بالروح من امره . . » (١٦: ٢) فهو النازل بروح المسيح وجسمه « وكلمة ألقاها الى مريم وروح منه » (٤: ١٧١) مهما كان النافخ في الحق هو الله « فنفخنا فيه من روحنا » (٦٦: ١٢) .

ومهما كانت هذه الأرواح المضافة الى الله مفضلة على سائر الأرواح جملة ، ففيها التفاضل بينها كما بينها وبين سائرها ، فـ « روحنا » يمتاز عن « روحي » كما « روحي » يمتاز عن « روحه » حضوراً لجمعيته الصفات في أوّلها ، وحضوراً دونها في ثانيها ، وغياباً مفرداً في ثالثها ، كما وأن روح المسيح

---

(١) راجع ج ٢٨ الفرقان ص ٤٥١ ـ ٤٥٥ ـ تجد كيف النفخ والحمل ؟ .

(عليه السلام) مفضَّل على روح آدم ، وهو مفضل على بنيه كمجموعة ، اللهم إلا المفضلين عليه كبعض النبيين وأكابر المعصومين !

وإنما تمثل لها بشراً ، حيث التجلي بالصورة الملكية ليس إلّا احياناً لرجالات الوحي دون الآخرين : «ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلا وللبسنا عليه ما يلبسون» (٦ : ٩) . . ومن ثم «سوياً» فان غير السوي لا يناسب تمثل «روحنا» فإنه إزراء به ، ولا المتمثل لها فانه إخافة لها ومهانة في الرسالة إليها ، ثم وفي بشر سوي هزة صادقة لها تهيئة لتحمُّلِ حَمل هو حِمل لها في ظاهر حالها ! .

هذه هزة اولى تأخذها ، عضة على أركان طهارتها وهي الطاهرة الزكية البريئة .

﴿ قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً ﴾[١٨] .

تحاول الهرب مستعيذة بالله إذ تظنه معتدياً أثيماً ، او فاجراً زنيماً ، وهي التقية المؤمنة ، العفيفة الطاهرة ، وتستعيذ بالرحمان خالقها منه إن كان تقياً يتقي بأس الرحمان ، فغير التقي لا يستعاذ منه حيث لا يتقي على أية حال إلا بمعجزة ينجيها الله بها منه ، وهي تستعيذ بالرحمن منه إن كان تقياً ، استيقاظاً لروح التقوى فيه واستجاشته لكيلا يقر بها مخافة الرحمن !

ثم لماذا العوذة بخصوص «الرحمن» العام ، دون «الرحيم» الخاص ، وعوذة التقى تناسب الرحيم ؟

هنالك عوذة خالصة بالله من الشيطان وحزبه لا يخاطب فيها الشيطان وانما الله : «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» ومن ثم عوذة بالرحمن ممن يؤمن به وهي ذات بعدين ، اصيل هي بالرحمن ، وفرع هي بمن كان تقياً ، فـ

فـ«لقـد علمت مريم ان التقي ذو نُهيـة»[١] والتقي ينتفض وجدانـه عنـد ذكـر الرحمن ويرجع عن دفعة الشهوة ونزعة الشيطان وقد كانت ملامح التقى ظاهرة فالمومن ينظر بنور الله ! فـ « الله » يستعاذ ـ فقط ـ به عند الاياس عن كل دافع عن الشيطان ، و « الرحيم » يستعاذ به فيما تكون للرحمة الخاصة موقع كأن يكون المستعاذ منه ذو رحمة خاصة تدفعه عما يُخاف ، وكما نعوذ بالله منه « أعوذ بك منك » ! بشفاعة رحمته الخاصة ، ثم الرحمان يستعاذ به ممن غلبته الشهوة وهو تقي ، والشهوة الغالبة لا تعرف رحمة ، وانما التقوى من الرحمن ، تذكر بتلك الرحمة الشاملة التي تنفذ في كل شيء ، وأنا الطاهرة مريم شيء ، وأنت البشر السوي شيء . وهنا ليس احد يدفع إلا الرحمن فـ « إني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقياً » . . ولكنه يعيد طمأنينتها ويسكن روعتها إذ :

﴿ قال انما انا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً ﴾[١٩] .

انا فوق التقي الذي يتحول عند الشهوة الى شقي « إنما أنا رسول ربك » ينحصر كوني وكياني وتمثلي عندك برسالة ربك ، رسالة تربوية معصومة من ربك الذي ربّاك حتى الآن ويربيك ما دمت حياً ، أما تستقبلين رسول ربك حيث يحمل لك هبة ربانية منقطعة النظير ، هو البشير النذير « لأهب لك » في هذه الرسالة بإذن ربك « غلاماً زكياً » بكل طهارة وسلام ؟ وكل نضارة ووئام .

فلقد طمأنها في هذا اللقاء بأمرين : « انا رسول ربك » بعيدٌ عن الشهوة الجنسية فلا حاجة إلى عوذة ! « لأهب لك غلاماً زكياً » من دون وقاع مهما كان حلاً فضلاً عن الحرام ، وانما احمل هبة ربانية هي خارقة .

---

(١) الدر المنثور ٤ : ٢٦٧ ـ اخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن ابي حساتم عن ابي وائل في الآية : . . . .

ولكن كيف تصدقه وقد تكون حيلة فاتك يستغل طيبتها، وكيف تهب لي غلاماً زكياً وأنت رسول وأنا ما عرفت رجلاً ، وهي الآن في هذه الهزة الثانية تسأل في صراحة تغاضياً عن احتمال الحيلة، كأنها لا هي مصدقة برسالته فتطمئن الى هبة ربها ، ولا مكذبة فتجانبه فوراً ، فرغم أنها اطمأنت بالأمان من ناحيته تغشيها سحابة الحزن من أخرى ، وتطوف بها موجة من الاسى ، إلاّ ان هول الموقف ليس ليعقد لسانها ، حيث تذكر هذه البشرى قبلئذٍ على إجمالها من ملاك ربها، ولكن هول البشرى ـ إذ هي على أشراف تحققها دون بعل، وقد تخلف تُهم الجاهلين ـ إنه يبعثها لسؤالها حائرة ذعرة.

﴿ قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغياً ﴾[٢٠].

هبة الغلام لها وسيلة تكوينية من نكاح أم سفاح ولا أعرف ثالثة ، فـ « أنى يكون لي غلام » اي زمن وأيان ؟ « ولم يمسسني بشر » بنكاح « ولم اك بغياً » بسفاح ؟

وترى ألم تكن هناك في خلدها وسيلة مستقبلة لهذه الهبة الربانية بهذه البشارة ؟ كلا ! حيث « لأهب » تقاطع كل وسيلة مستقبلة ، وتصرف مثلث زمن الهبة الى الحال ، وبواسطة رسول الرب ! فلا وسيلة لأصل الهبة حيث تتحقق الآن إلا ماضيةٌ من نكاح او سفاح وهي منتفية ، فلا تعرف هي من « لأهب » . تغاضياً عن مقاربته ـ معنىً إلا البشارة بغلام زكي انعقد قبل البشارة وهي نافية لكل انعقاد ماضٍ ! ولّما يخلد بخلدها أنها بشارة بخارقة ربانية دون اي لقاح من نكاح ام سفاح ! اللهم الا ما بشرته الملائكة باجمال . . . فياتي الجواب الحاسم هنا كما اتاها من ذي قبل:

﴿ قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً ﴾[٤١].

« قال » امرك في هذه الولادة العجيبة « كذلك » الذي قلت عن رسالة

ربك « قال ربك هو علي هين » أن تلدي دون زوج ، ولماذا ؟ لحِكَم شتى . . « ولنجعله آية للناس » برهاناً ساطعاً قاطعاً على القدرة الخارقة الإلهية ، وعلى صدق الرسالة العيسوية ، لهؤلاء الذين لا تكفيهم آيات مضت في الرسالة الموسوية « ورحمة منا » عليك خاصة وعلى الناس عامة ، فهو اذاً آية ورحمة ، مهما كان عليك حِملاً وزحمة ، فانه من الالطاف الخفية الالهية على صعوباته « وكان أمراً مقضياً » لا يتحول بإباء ولا دعاء ! فاستعدّي لهذه الآية الرحمة مهما بلغت بك الصعوبة !

هنالك تنتهي الحوار بينهما حيث استسلمت لحكم ربها في هذه الهبة الزكية ، ونرى في آل عمران حواراً بينها وبين الله والملائكة ، فما هو التلاحم بينهما ؟ :

« إذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين . قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى امراً فانما يقول له كن فيكون » (٣ : ٤٧) .

تستوحش من هذ البشارة الملائكية ،وحقّ لها إذ لا ترى لنفسها ضجيعاً ، ولم تعرض بخلدها حتى الآن قصة الزواج ، وهي عارفة أن البشارة محققة لمستقبل قريب لا تلائمه الولادة كالعادة : ان تتزوج وتلد من فوره !

وهل «الملائكة» هم «روحنا» جمعاً في واحد؟ وهي هنا تحاور ربها في استعجابها أن يكون لها ولد وهناك الحوار مع « روحنا » !

إنها عرض لبشارتها بالملائكة قبل ان يتمثل لها « روحنا » بشراً سوياً ، تعبيداً لطريقها الى هذه المفاجآت والهزآت ، فأصبحت على خبرة إجمالية عن

هذه الكلمة البشرى ، سائلة ربها « انى يكون لي ولد . . » فطويت الحوار هنا طياً وهي بانتظار كيف تتحقق البشرى ، « فارسلنا إليها روحنا» لا للبشرى إذ تقدمت بالملائكة وانما لتحقيق البشرى : « لأهب لك غلاماً زكياً » ولكنها ذعرت إذ فوجئت بما لم تحسب له حساباً أن البشارة تتحقق ببشر سوي ، فحق لها ان تحتار مترددة هل إنه الذي يحقق البشرى ، وما طمأنت له حتى « قال إنما انا رسول ربك . . » بما سبقت لك فيه البشرى ، فاطمأنت لحدٍّما ، ولكنها بعد متحيرة ولكي تطمئن « قالت أنى يكون لي ولد . . » فلما سمعت نفس الصيغة الماضية من الملائكة في بشراها « قال ربك هو علي هين . . . »انتهت الحواروأصبحت كأنها في قرار ! مستسلمة لتحقيق البشرى :

﴿ فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً(٢٢)﴾ .

فقد حملت الغلام الزكي الموهوب بنفخ رباني وإلقاء : نفخُ « روحنا » والقاء «كلمته» . هنا « فحملته » وفي اخرى « وكلمة القاها إلى مريم وروح منه » (٤ : ١٧١) وفي ثالثة « فنفخنا فيه من روحنا » (٦٦ : ١٢) فالحامل للغلام الزكي الموهوب هو « روحنا » والمحمول هنا هو الغلام ، ثم المنفوخ هو « من روحنا » والملقى « كلمته . . وروح منه » والحاملة هي مريم ، وهل هنا فرق بين الغلام الزكي وروحٍ منه ومن روحنا وكلمته الملقاة الى مريم ؟ تعبيرات اربع في سائر القرآن عن تكوين المسيح (عليه السلام) .

ولأن ضمير الغائب في « حملته » راجع الى « غلاماً زكياً» فليكن هو المحمول بروحه وجسمه ، وعلّ جسمه هو الكلمة الملقاة وروحه هو المنفوح ، فتحققت إذاً ازدواجية ذلك الحمل المبارك ، وفي قرن «كلمته» بـ«روح منه » تلميح بذلك القرن في حملها ، وكلا النفخ والالقاء من فعل الله وليس « روحنا » إلا وسيطاً في تحميل هذه الهبة الربانية وعلّها دون نفخ منه ولا القاء !

فلقد كان حملاً بالقاءالكلمة في الفرج وهي النطفة الرجولية التي تشكل جسم المسيح ، إلقاءً بدفع في قعر الرحم لتتزاوج نطفة الانثى لتكوُّن الجنين ، وبنفخ الروح تباعاً في الجسم الكلمة ومن ثم الولادة !

وترى إن مكوث الحمل كأصله كان خارقاً للعادة ؟ كأنه هو حيث «فحملته» تطوى زمن حلول الروح في الجسم طياً كانهما مقارفتان ام مقارنتان بان البويضة في هذه الخارقة ما سارت بعد النفخة سيرها كسيرتها العادية ، بل اختصرت مراحلها اختصاراً ، وأعقبها تكوّن الجنين ونموّه واكتماله في فترة وجيزة![1] .

ثم « فانتبذت به مكاناً قصياً» دلالة ثانية على هذا الطي ، حيث الفاء لتفريع القريب ، فالإنتباذ كان تلو الحمل ، ولا داعي الى الإنتباذ فور الحمل إلاّ طياً لدور الحمل ،فقد اقتلعت عن مكان الحمل الى مكان قصي لوضع الحمل .

ترى أكان الحمل كاملاً من ساعته ام تسع ساعات ام أية سويعات ، او ستة أشهر[2] ؟ لا ندري إلا ما تلمح لنا آية الحمل الإنتباذ المخاض ، قدر ما يحتاجه انتباذها الى مكان قصي !

---

(١) مجمع البيان وروي عن الباقر (عليه السلام) . . فكمل الولد في الرحم من ساعته . . فخرجت من المستحم وهي حامل فحج مثقل فنظرت اليها خالتها فأنكرتها ومضت مريم على وجهها مستحيية من خالتها ومن زكريا . . .

(٢) هنا روايات ثلاث في مدة حملها من ساعة كما رواه في المجمع عن الباقر (عليه السلام) انه تناول جيب مدرعتها فنفخ فيه نفخة فكمل الولد في الرحم من ساعته كما يكمل في ارحام النساء تسعة اشهر ، ومن تسع ساعات يرويها عن ابي عبد الله (عليه السلام) ومن ستة اشهر رواها في العلل والكافي عن ابي عبد الله ولفظها « ولم يولد ـ ولم يعش ـ لستة اشهر الا عيسى بن مريم والحسين بن علي (عليهما السلام) ورواية رابعة =

وكيف انتبذت مكاناً قصياً واين ذلك المكان ؟ لا ندري! وقد يكون انتباذها بنبذة الهية خارقة ولا سيما ان المنتبذ إليه مكان قصي ، أو أنهالشدة هزتها بهذه الوشيكة المواجهة بها أهلها بالفضيحة ، لذلك انتبذت مكاناً قصياً بعيداً عنهم خلواً عمن يعرفها ! وهذه الإنتباذة تناسب بيت اللحم المعروف أنه مولد المسيح (عليه السلام) وتلك الخارقة تناسب الفرات كما وردت بها روايات [1]! ومما يلمح بأقصر الحمل « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » (٣ : ٥٩) ومطلق المماثلة يقتضي الولادة فور الحمل او بفصل قريب ، و « ثم قال له كن فيكون » تؤيده الا تدرج في هذا الحل كما لم يكن في خلق آدم !

في الكافي عن ابي الحسن موسى (عليه السلام) في حديثه مع نصراني . . .

واما اليوم الذي حملت فيه مريم فهو يوم الجمعة للزوال . . . واما اليوم الذي ولدت فيه مريم فهو يوم الثلثاء لاربع ساعات ونصف من النهار . . .

(١) نور الثقلين ٣ : ٣٢٦ ح ٢٩ عن اصول الكافي عن ابي الحسن موسى (عليه السلام) في حديثه لنصراني . . والنهر الذي ولدت عليه مريم عيسى هل تعرفه ؟ قال : لا ـ قال : هو الفرات وعليه شجر النخل والكرم وليس يساوي بالفرات شيء للكروم والنخل . . .

وفي تهذيب الاحكام عن علي بن الحسين في الآية قال : خرجت من دمشق حتى اتت كربلا فوضعت في موضع قبر الحسين (عليه السلام) ثم رجعت من ليلتها وح م د

في روضة الكافي عن سليمان بن داود المنقري عن حفص قال : رأيت ابا عبد الله (عليه السلام) يتخلل بساتين الكوفة فانتهى الى نخلة فتوضأ عندها ثم ركع وسجد فأحصيت في سجدة خمسمائة تسبيحة ثم استند الى النخلة فدعا بدعوات ثم قال : يا حفص انها والله النخلة التي قال الله جل ذكره لمريم (عليها السلام) « وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً » .

﴿فأجاء المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً﴾[٢٣].

فاجأها المخاض فأجاءها ـ ان جاء بها ـ الى جذع النخلة لتجعله لِبأسها سناداً ولظهرها عماداً . فانها وحيدة تعاني حيرة العذراء في اوّل مخاض ، دون ان تعرف منه شيئاً او يعينها احد في شيء فلجئت الى جذع النخلة كقابلة تسندها .

معاناة المخاض من ناحية وغربتها من اخرى وهزتها من ولادة دون بعل من ثالثة تسقطها في يديها وتحيرها في أمرها وتشد حزنها وتغلي مرجل غيظها فتقول متأوهة حائرة : « يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً » !

ترى وكيف قالت قولتها هذه وهي عارفة بأن هذه الولادة هي من الله آية للناس ورحمة للعالمين ؟ علّها لكربتها وغربتها وشدة وطئتها نسيت الآية الرحمة ، و«لأنها لم تر في قومها رشيداً ذا فراسة ينزهها عن السوء »[١] مهما د افع عنها أهلها !

«مت قبل هذا» قد يعني قبل حملها ، او يعني قبل وضعها ام يعنيهما حتى لا تقع في هذا المأزق المزلق ، «وكنت نسياً» ما يحق ان ينسى لدناءته كخرقة حيض او علقته ، ثم « منسياً » يعني نسياناً على نسيان ! ألا يتذاكروني في شيء وأنا منذ الآن عُلقة الالسن تتداولني في نقاض ونقاش !

---

(١) نور الثقلين ٣ : ٢٢٠ ح ٤٦ مجمع البيان في الآية انما تمنت (عليها السلام) الموت استحياءً من الناس ان يظنوا بها سوءً عن السدي. وروي عن الصادق (عليه السلام) : انها . . .

اترى لماذا « الى جذع النخلة» دون «النخلة»؟ عله للاشارة الى يبوستها أن بقي لها جذع خشبة تلتجيء به ! حيث الجذع هوالقطع فهو إذا مقطوع النخل منفصلاً عنه ام قطعاً عن حياته وما أنسبه لجوء العذراء التي ليست لتلد دون بعل الى جذع النخلة اليابسة عن وليد الثمر ، وليتشابها حين أثمر !

﴿ فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً ﴾[٢٤].

لقد ولد المسيح (عليه السلام) هكذا إلى جذع النخلة وفي حديث أنه كان يوم العاشور[١] أم ماذا[٢] ما ندري إلاّ أنه ولد فيالله !طفل هو حمل لفترة قصيرة ووليد اللحظة ، ينادي أمه من تحتها ، يطمئنها في حالها الغريبة المضطربة ، ونفس نداءه تطمئنها دون ان تحمل هذه البشارات : «ألا تحزني» لكربتك على غربتك ، لوحدتك حين وهدتك « قد جعل ربك تحتك سرياً » من الرِّفعة ، وهو المسيح الرفيع ، او من السري : السريان : نهراً سرياً خلق الساعة[٣]، ووليداً سرياً يسري صيته ويجري صوته في مشارق الأرض

---

(١) نور الثقلين ٣ : ٢٢ في تهذيب الاحكام عن ابي جعفر الباقر (عليه السلام) انه قال وقد ذكر يوم عاشوراء ـ وهذا اليوم الذي ولد فيه عيسى بن مريم (عليه السلام) . . .

(٢) المصدر في من لا يحضره الفقيه عن الرضا (عليه السلام) قال : ليلة خمس وعشرون من ذي القعدة ولد فيها ابراهيم (عليه السلام) وولد فيها عيسى بن مريم (عليه السلام).

(٣) الدر المنثور ٤ : ٢٦٨ واخرج الطبراني وابن مردوية وابن النجار عن ابن عمر سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : ان السري الذي قال الله لمريم « قد جعل ربك تحتك سرياً » نهر اخرجه الله لها لتشرب منه. واخرج مثله الطبراني في الصغير وابن مردويه عن البراء بن عازب عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد روي في المجمع عن ابي جعفر الباقر (عليه السلام): ضرب جبرئيل برجله فظهر ماء عذب يجري .

ومغاربها ، نادها المسيح فانه محور الكلام وحاصل المخاض فهو من تحتها ، دون جبريل أم ملك سواه إذ ليس تحتها[١] وسريّها هو نهرها الساري تحتها ووليدها الخارج من تحتها فانه سرو رفيع وسار منيع ، ويا للسريين هذين من رفعة ومناعة فانهما صنيعا ربهما كما وصنع لها رطباً جنياً ، مثلثاً من خارق العادة رأس زاويته سري المسيح .

﴿ وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً ﴾ (٢٥).

فلانها أهتزت لما ولدت دون بعل، فلتهز جذع النخلة اليابسة فتهتز بالحياة دون سبب ظاهر فتحمل وتساقط عليها رطباً جنياً دون لقاح باهر ودون مكوث لفترة الإيراق والإثمار والإيناع ونحسبها علها اندهشت في حظوة وبهتت على أهبة كيف تمتد يدها الى جذع النخلة اليابسة لتساقط عليها رطباً جنياً فاذا بالنخلة المورقة المثمرة المونعة تساقط عليها ودقاً من رطب جني طري! .

ويا لها من طاهرة عذراء تحمل دون بعل ، فأجاء ها المخاض الى جذع نخلة يابسة بتراء[٢] فاذا هي تثمر دون وقتها ـ ولا لقاح ـ وبعد موتها ، كما

---

(١) المسيح هو آخر المراجع الصالحة لضمير الغائب في ناداها اضافة الى ما ذكر في المتن وانها ما كانت تطمئن الى هذه المقالة في حالتها المزرية الا مقالة المشاهد وهو المسيح .

(٢) نور الثقلين ٣ : ٣٣١ ح ٥٥ عن كتاب المناقب عبد الله بن كثير قال : نزل ابو جعفر (عليه السلام) بواد فضرب خباءه فيه ثم خرج يمشي حتى انتهى الى نخلة يابسة فحمد الله عندها ثم تكلم بكلام لم اسمع بمثله ثم قال : ايتها النخلة اطعمينا ما جعل الله فيك فتساقطت رطباً احمر واصفر فاكل ومعه ابو امية الانصاري فقال : يا ابا امية هذه الآية فيناكالآية في مريم ان هزت اليها النخلة فتساقطت رطباً جنياً .

اقول وفي بصائر الدرجات روى مثله عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال : ايتها النخلة السامعة الطيبة المطيعة لربها اطعمينا مما جعل الله فيك فتساقط علينا رطباً مختلفاً ألوانه

أن العذراء تلد فور وهبة ربها دون وقتها ولا لقاح ، ويجري في لحظتها ينبوع ، طعام وشراب محضران بخارقة الرب كما هي وابنها آية للعالمين :

﴿ فكلي واشربي وقري عيناً فإما ترينَ من البشر أحداً فقولي إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً﴾(٢٦).

كلي من رطب جني واشربي من السري ، وما أحسنه واسلمه أُكُلا للنفساء رطب جني فـ « اكرموا عمتكم النخلة فانها خلقت من الطين الذي خلق منه آدم (عليه السلام) وليس من الشجر شجرة تلقح غيرها ـ اطعموا نساءكم الرطب فان لم يكن رطب فتمرفليس من الشجر شجرة أكرم من شجرة نزلت تحتها مريم بنت عمران »(١) « ولو علم الله طعاماً هو خير لها من التمر

= فاكلنا حتى تضلعنا فقال (عليه السلام): اليكم سنة كسنة مريم (عليها السلام).
وفيه عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال : خرج الحسن بن علي بن ابي طالب (عليه السلام) في بعض عمره ومعه رجل من ولد الزبير كان يقول بامامته قال : فنزلوا في منزل من تلك المنازل تحت نخل يابس قد يبس من العطش قال : ففرش للحسن تحت نخلة وللزبيري بحذاه تحت نخلة اخرى قال فقال الزبيري ورفع رأسه : لو كان في هذا النخل رطب لأكلنا منه فقال الحسن (عليه السلام) وانك لتشتهي الرطب ؟ قال : نعم ـ فرفع الحسن (عليه السلام) يده الى السماء ودعا بكلام لم يفهمه الزبيري فاخضرّت النخلة ثم صارت الى حالها فاورقت وحملت رطباً قال فقال الجمال الذي اكتروا منه : سحر والله ! فقال الحسن (عليه السلام): ويلك ليس بسحر ولكن دعوة ابن نبي مجابة ! قال : فصعدوا الى النخلة حتى تصرموا ما كان فيها فأكفاهم .
(١) الدر المنثور ٤ : ٢٦٩ ـ اخرج ابو يعلى وابن ابي حاتم وابن السني وابو نعيم معاً في الطب النبوي والعقيلي وابن عدي وابن مردويه وابن عساكر عن علي (عليه السلام) قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . . . وفيه اخرج ابن عساكر عن ابي سعيد الخدري قال سألنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مماذا خلقت النخلة ؟ =

لأطعمها إياه »[1].

هنا اطمأنت نفسها وعاد إليها ما عزب من لبها واستجمعت قوتها ، ومع الدستور الصارم تخفيفاً لوضعها العارم : « فاما ترين من البشر أحداً فقولي . . . » لا تكلمي بشراً يواجهك إلا قولة الإشارة : « اني نذرت للرحمن صوماً » للصمت لا عن الأكل والشرب « فلن أكلم اليوم » واليوم فقط « انسياً » مهما أكلم ربي وغير الانس من ملك امن ذا ، ولأن الانسي هو الذي يعارضني في ولدي دون بعل ، .والله بملائكته يؤنسني غير مليم !

هذا طرف من قصة الولادة المباركة العجيبة للمسيح بن مريم (عليه السلام) وهنالك هرطقات إنجيلية تعارضها ، مما يجعل الجمعية الرسولية

قال : خلقت النخلة والرمان والعنب من فضل طينة آدم (عليه السلام).

(١) اخرج ابن عساكر عن سلمة بن قيس قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): اطعموا نساءكم في نفاسهن التمر فانه من كان طعامها في نفاسها التمر خرج ولداً حليماً فانه كان طعام مريم حيث ولدت عيسى ولو علم الله . . وفي نور الثقلين ٣ : ٣٣٠ ح ٥٠ في كتاب الخصال فيما علم امير المؤمنين (عليه السلام) اصحابه من الأربعمأة باب مما يصلح للمسلم في دينه ودنياه ما تأكل الحامل من شيء ولا تتداوى به افضل من الرطب قال الله تعالى لمريم : « وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً . . اقول : قول المسيح حينذاك وحياً هو من قول الله وفي (٥١) عن الكافي عنه (عليه السلام) قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليكن اوّل ما تأكل النفساء الرطب فان الله عز وجل . . . قيل يا رسول الله فان لم يكن ابان الرطب ؟ قال : سبع تمرات من تمر المدينة فان لم يكن فسبع تمرات من تمر امصاركم فان الله عز وجل يقول : وعزتي وجلالي وعظمتي وارتفاع مكاني لا تأكل النفساء يوم تلد الرطب فيكون غلاماً الا كان حليماً وان كانت جارية كانت حليمة .

الامريكية تعترض على جوانب من هذه القصة حسب القرآن قائلة : [١] « ان القرآن مشتبه في قصة مريم إذ ينسب إليها قصة هاجر أم اسماعيل ، فانها هي التي كانت في البرية وهزت اليها بجذع النخلة ومريم كانت في بيت لحم اليهودية والمسيح لم يتكلم في المهد وهذه كلها مأخوذة من خرافات المسيحيين دون سناد عن كتابات الوحي[٢] .

وعجب من هؤلاء كيف يخطئون في قصة هاجر وهي في برية لا ماء فيها ولا كلاء ولا نخلة أماذا ؟ ثم أنى لهم أن المكان القصي الذي انتبذته مريم كانت برية قفراً فلا شجرة فيها ولا نخلة ، فهل القصي في قاموسهم هو القصي عن الماء والكلاء ؟ وليس إلا البعيد القاصي عن أهلها وعن ملاء الناس لكيلا يرونها تضع حملها فلا يسارعونها في الإتهام ، وليست النخلة إلا في المعمورة ، فقصيهم ـ اذاً ـ قصي عما يرام !

فهل ان القصي الطري المعمور بالنخلة ورطبها الجني أحرى بهذه الولادة المباركة للعذراء الطاهرة أم الأخور معلف الحيوان كما ينقله الانجيل ؟

فان زعمت الجمعية الرسولية أن مكانها القصي خلو من النخل فانجيل يوحنا يصرح : « ان الكثيرين في اورشليم اخذوا سعوف النخل وخرجوا للقاء المسيح » (١٣ : ١٢ـ ١٣) وبيت اللحم من ضواحي اورشليم[٣] .

وحين لا تسمح هذه الجمعية لمريم الطاهرة كرامة الرطب الجني تدنس

---

(١) راجع كتابنا « عقائدنا » ص ٥٠٠ ـ ٥٠٣ وما قبلها وبعدها ففيها تفصيل مقارن للقصة بين القرآن والانجيل .

(٢) ج ٢ ص ٩٢ ـ ٩٣ من الهداية للجمعية الرسولية الامريكية نقلاً بالمعنى .

(٣) سبق ان من المحتمل في المكان القصي بعد بيت اللحم هو الكوفة وكلاهما من منابت النخل كما في روضة الكافي باسناده الى حفص قال : رأيت ابا عبد الله يتخلل بساتين الكوفة فانتهى الى نخلة فتوضأ عندها ثم ركع وسجد فاحصيت في سجدة =

ساحتها وتصدق الخرافة الهاتكة الانجيلية « انها جاعت فانفتحت السماء ونزل عليها إناء فيه كل دواب الأرض والزحافات والطيور وقيل لها : إذ بحي وكلي فقالت : يا رب ! اني لم آكل قط شيئاً نجساً؟ فقيل لها : ما ظهره الله فلا تدنيسه» (يوحنا: ١١٠ ـ ١٦) فهل إن الله ينزل على مريم شيئاً نجساً ويأمرها بأكله أن طهرَّه أمره، ام كيف تعارض الطاهرة المتعبدة أمر ربها، اتريد ابطال حكم إلهي تعبيداً لطريقة المسيح الذي يفتدي البشرية عن لعنة الناموس ابطالاً لشريعة التوراة ؟ .

وحين تحيل الجمعية الرسولية اخضرار النخلة وائمرارها من ساعتها بأمر الله ، فلتُحل مثل ذلك في عصى موسى حيث « وضعها في خيمة الشهادة وفي الغد وجدها قد أفرخت فروخاً ، وأزهرت زهراً وأنضجت لوزاً » (عد ١٧ : ٧ ـ ١١ وعب ٩: ٤) !

« . . . فإما ترين من البشر أحداً » رؤية حتمية لبشر « ترين » إذا حصلت « إمّا » ـ « احداً » جنس البشر واحداً او اكثر « فقولي اني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم . . » وكيف تقول مقالتها وهي حسبها صائمة عن أية قولة لبشر ؟ـ .

هنا تقول الجمعية الرسولية : (٢ : ٥٢) إله القرآن يأمر مريمه تقول كذباً : إنها نذرت للرحمن صوماً فلن تكلم اليوم إنسياً ، وهي لم تكن صائمة بدليل أمره إياها ان تهز إليها بجذع النخلة . . » فكلي واشربي وقري عيناً . . » . . ثم أمره اياها أن تقول إنها صائمة لا تتكلم متناقض حيث

= خمسمائة تسبيحة ثم استند الى النخلة فدعا بدعوات ثم قال: يا حفص ! إنها والله النخلة التي قال الله جل ذكره لمريم (عليها السلام). « وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً ».

امرت ان تقول: إني نذرت للرحمن صوماً . . » .

وعجب من هؤلاء الاغفال كيف جمعوا بين صوم الصمت والطعام ، و « فلن اكلم . . » دليل انه صوم الصمت ! ثم « قولي » لا يختص بقول الكلام ، حيث الإشارة المفهمة قول كما الكلام : « فاشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً » ولم يقل « قالت » وحتى لو قالت فـ « إني نذرت . . . » لا يحدد بداية الصوم ولعلها بعد هذه القولة إن كانت لفظة ولم تكن . ! .

ويا لها من كرامة للعذراء تعتذربعذر شرعي شرعه لها ربها حتى لا تواجه بشراً بشطر كلمة قبل ان يذاد عنها بخارقة الهية « إني نذرت للرحمن صوماً » ،وعلّه فقط صوم الصمت [1] ام صوم يعم الصمت ولم يكن أكلها وشربها إلا قبل ان تواجه بشراً فلم يشمله صومها ان عمّ الطعام كما الكلام ، ولكنه الصمت فقط حيث النفاس من حالات منعة سائر الصيام ، وتفريعها على صومها : « فلن أكلم اليوم إنسياً » !

وصوم الصمت شرعة توراتية انقطعت بالشرعة القرآنية ، فآيات الصوم تمنع فيما تمنع عن ما سوى الصمت ، اللهم إلّا صمتاً عن الكذب على الله ورسوله حيث يبطل الصوم ، ام مطلق الكذب حيث ينتقصه ، وكما ثبت بالسنة الثابتة[2] واما الصمت المطلق فلا صوم فيه إسلامياً !

---

(١) المصدر ح ٦٠ في كتاب المناقب لابن شهر آشوب في مناقب ابي جعفر الباقر (عليه السلام) وسأل طاووس اليماني ابا جعفر (عليه السلام) عن صوم لا يحجز عن اكل وشرب ؟ فقال : الصوم من قوله تعالى : اني نذرت للرحمن صوماً .

(٢) نور الثقلين ٣ : ٣٣٢ ح ٥٨ في الكافي باسناده عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال : ان الصيام ليس من الطعام والشراب وحده ثم قال : قالت مريم : اني نذرت =

﴿ فاتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً[٢٧] يا أخت هارون ما كان ابوك امرءَ سوء وما كانت امك بغياً[٢٨] فاشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً ﴾[٢٩].

« فأتت به قومها » ـ ان مكانها القصي لم يكن بذلك البعيد كالكوفة « فاتت . . تحمله » دون ان تتركه مخافة العار حيث اطمأنت أنه عطية ربانية فهوذائدعنها ما يمس كرامتها « قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً » : موضعاً لفرية بالغة المدى ام عظيماً بديعاً فـ « لقد » تأكيد ان و « فرياً » كمبالغة الفرية تشكل عليها ثالوث الفرية ومن ثم التأنيب كانها ثابتة لا حِوَل عنها : « يا اخت هارون ما كان أبوك امرء سوء . . . » !

وهنالك مندوحة للعذراء الوالدة ـ مع الغض عن احتمال معجزة آلهية ـ : علها اجتذبت نطفة الرجولة دون لقاح ان جلست مكاناً فيه النطفة ، وحالة المؤمن وفعله محمولة على الصحة ، أفلم يلمس قومها ايمانها وهي عائشة المحراب ، صالحة الذهاب والاياب ، فالحة في حراب الشهوات ؟! .

ثم ولماذا « يا اخت هارون » وهو أخو موسى وبينهما قرون خلت ؟ كما اعترضته الجمعية الرسولية الامريكان (٣ : ٣١) : «خلط هارون أخا موسى باخي مريم ! «وكأنهم يخصون اسم هارون باخي موسى ثم لا يحق لمن بعده ان يتسمى بهارون ! « ألا اخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالانبياء والصالحين قبلهم »[١]؟! .

= للرحمٰن صوماً ـ اصوماً صمتاً ـ صمتاً ـ فاذا صمتم فاحفظوا السنتكم وغضوا ابصاركم ولا تنازعوا ولا تحاسدوا .

(١) الدر المنثور ٤ : ٢٧٠ ـ اخرج ابن ابي شيبة واحمد وعبد بن حميد ومسلم والترمذي والنسائي وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن حبان والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن المغيرة بن شعبة قال بعثني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى اهل =

ولماذا يتقدم هارون اخوها على أبيها ومن ثم أمها ؟ علّه لأن هارون كان اقدس أنسبائها وأشهر في قدسيته من ابيها لحد يتعالى حتى عن أن ينفى عنه السوء ، ثم أبوها ما كان امرء سوء ، ثم امها ما كانت بغياً !

ومثلث النسبة هذه والرعاية العالية الطاهرة في ظله يجعل من البنت طاهرة بعيدةً عن هذه الفعلة العاهرة، فيا للمفارقة بين هذه النسبة المباركة وتلك المقارقة النكدة الدنيئة التي لا تأتيها إلا بنات بغايا والآباء السوء ! .

والقول إن هارون هذا لم يكن أخاها وإنما مثيلها في التقوى مشهوراً بها ، غير فصيح ولا صيحيح ، حيث الحقيقة لاتُصرَف الى مجاز إلا بقرينة ، وأنهم كانوا في تقريعها وتأنيبها سابق الجملة : « لقد جئت شيئاً فرياً » ولاحقها : « ما كان ابوك امرء سوء . . » والاخوة المثيلة بهارون ، لها مدحة بالغة ![1] .

أشارت إليه إشارة قائلة « إني نذرت للرحمن صوماً » واسألوه فانه المجيب عما تسألون ! أم قالت لهم نذرها قبل بدايته وقبل أن يكلموها ، ثم أشارت إليه أجابة عما أفتروا عليها ، هنا يبهرهم العجاب على الغيظ الذي ساورهم ، كيف تتبجح فتسخر من متسائليها ، صامتة مشيرة الى«من كان في المهد صبياً » قالوا» جواباً عن إشارتها الهازئة الفالتة في حسبانهم « كيف نكلم من كان في المهد صبياً » ؟! .

وترى ما هي مكانة « كان » هنا وكل أحدٍ كان في المهد صبياً مهما كان

= نجران فقالوا أرأيت ما تقرؤون « يا اخت هارون » وموسى قبل عيسى بكذا وكذا فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : ألا أخبرتهم . .

(١) مجمع البيان : يا اخت هارون فيه اقوال : احدها ان هارون هذا كان رجلاً صالحاً في بني اسرائيل ينسب اليه كل من عرف بالصلاح عن ابن عباس وقتادة وكعب وابن زيد والمغيرة بن شعبة يرفعه الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اقول وهذا المرفوع اليه مرفوع عنه في المعنى لما قلنا ومضى عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) . والراوي عنه في هذين المتعارضين واحد وفصاحة القرآن تنافي الثانية .

الآن ايضاً صبياً ام شاباً او شائباً هرماً ؟

علّ « كان » هنا تامة وصبياً حال ، كيف نكلم طفل المهد حال صباه وليس يأهل لكلام او حوار ما كان في المهد، اذاً فـ « كان » تركز صباه انه بعدُ طفل المهد ولما يخرج منه حتى يؤهل لكلام ، و « كان » هذا كاضرابها في سائر القرآن تدليلاً على تمكّن مدلولها في حال ام ماذا[١] .

والقول ان « كان » هنا زائد زائد من القول اذ لا يليق بفصيح الكلام كسائر القول هنا إلا ما نبهنا عليه والله اعلم بما « كان » ! .

﴿ قال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً[٣٠]وجعلني مباركاً اين ما كنت واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً[٣١]وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً[٣٢]والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حياً[٣٣]ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ﴾[٣٤] .

تنزيهات سبع تخصه ، تغلق عليه السبع ابواب جحيم الافتراءات الموجهة اليه ، المفتحة عليه ، وثامنة هي تقديسة تامة هامة تكرس حياته الطاهرة وحياة امه الزاهرة العذراء : « والسلام علي » !

والحق أقول إنه بيان صارم على اختصاره يجرف عنها كل هرطقة عارمة تهرف او كلمة تحرف في كتابات مزورة ! .

---

(١) مثل قوله تعالى : « قل سبحان ربي هل كنت الا بشراً رسولاً » (١٧ : ٩٣) ان البشرية والرسالة تمكنتا في فلا املك ما يملكه ربي ـ وقوله تعالى : « ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل انه كان منصوراً » (١٧ : ٣٦) حيث النصرة لزام الولي المقتول . . وكذلك « من كان في المهد صبياً » حيث الصبا بعدُ لزامه ولما يخرج من صباه ! .

﴿ قال إني عبد الله . . ﴾ ؟

إن كلامه وهو في المهد صبي رضيع ، وبهذه البداية المباركة يذود عنه تفريط المفرّطين : انه ولد زنا . وإفراط المفرطين انه الله او ابن الله ، فكيف ينطق ولد زنا بخارقة الهية اللهم إلاّ من اصطفاه الله ، وكيف يعترف الله او ابن الله ام اقنوم الالوهية انه عبد الله ؟! .

ففي حين أنه لم يصرح هنا بالطهارة عن الزنا استلزم كلامه في بعديه أنه الطاهر المصطفى آية لله : « وجعلنا ابن مريم وامه آية » (٢٣ : ٥٠) وهنا يتهدم صرح كل مفْرط ومفرّط بحق المسيح وأمه (عليهما السلام) ، حيث الأقاويل فيهما ولا سيما فيه متشابكة متشاكسة لا يكاد تخمد نيرانها إلا بصراح القول من المسيح نفسه وهو في المهد صبي !

نجد قرابة ثمانين موضعاً في الأناجيل أن المسيح يعترف بعبوديته لله وأنه ابن الانسان[1] ورغم تحرّفها لا نجد فيها ولا تصريحة واحدة من وحي الانجيل أنه الله إلا «الآب والإبن وروح القدس» والآب باللغةاليونانية تعني الخالق ، فالإبن ليس إلا مخلوقاًللخالق وهو ابن الانسان ، وروح القدس هو الوسيط بين الخالق والابن . ولكنهم رغم الحفاظ على الصيغة اليونانية يفسرونها بالأب كأنها عربية مع الغض عن مدّها ، تحريفا خارفاً مجازفاً جارفاً لم يتنبه له إلاّ القليل ممن وفى لرعاية الحق من العارفين .

---

(١) كما في انجيل يوحنا ١ : ٥١ و٤ : ٦ و٣ : ٢٦ و٢٤ و٤ : ٣٤ و١٩ و٤٤ و٥ : ١٩ و٢٤ ، و٣٠ و٤٤ و٦ : ١٤ و٢٨ و٢٩ و٤٤ و٧ : ١٦ و١٨ و٢٨ و٣٣ و٤٠ و٨ و٢٦ و٢٨ و١١ : ٤١ و١٢ : ٢٧ هو عبد الله ـ

وفي متى ٨ : ٢٠ و٩ : ٦ و١٦ : ١٣ و٢٧ و١٧ : ٩ و١٢ و٢٢ و١٨ : ١١ و١٩ : ٢٨ و٢٠ : ١٨ و٢٠ ـ انه ابن الانسان .

« اني عبد الله » حاله ومقاله وسمة أفعاله طول حياته ، مهما اختلق عليه مقالات اخرى[١] فهو لا يعرف لنفسه صلاحاً بجنب ربه فكيف يجعل نفسه عدلاً لربه ؟ : « وإذا واحد تقدَّم وقال له : أيها المعلم الصالح . . فقال له : لماذا تدعوني صالحاً ؟ ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله » (متى ١٩ : ١٦ ـ ١٩) ـ (مرقس ١٠ : ١٨) (لوقا ١٨ : ١٩) ويندد ببطرس المتطرف ، المتطرق له لقب الرب : « حاشاك يا رب ! فالتفت وقال لبطرس : إذهب عني يا شيطان ! أنت معثرة لي لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس » (متى ١٦ : ٢٢ ـ ٢٣) .

ويندد بمن اختاله معادلاً لربه : « آبي يعمل وأنا أعمل فمن أجل هذا قالوا : إنه كسر السبت وجعل نفسه معادلاً لله » (يوحنا فـ ١٧)[٢] .

٢ ﴿ آتاني الكتاب . . ﴾

فرية أخرى على المسيح (عليه السلام) ان ليس له كتاب شرعة ، وإنما الحواريون ومن اتباعهم هم الكاتبون سيرته وسموها الانجيل ، لذلك لا نرى عندهم إنجيلاً ينسب الى المسيح إلا ما تطرق له التاريخ وأصبح منسياً مع الزمن !

(١) كالقائلة انه ابن الله : (متى ٣ : ١٧) واول مواليده (عب ١ : ٩) وابن الله المبارك (مرقس ١٤ : ٦١) والقائلة انه هو الله والكلمة : (يوحنا ١ : ١) الازلي (عب ٩ : ١٤) والرب وقد كرر في الاناجيل وانه عما نوئيل : الله معنا (متى ١ : ٢٣) ويعارضها التصريحات الثمانون في الرقم (١) ومثل : يهوه ـ الله : يرسل انبياء وحكماء وكتبة (متى ٢٣ : ٣٤) و(لوقا ١١ : ٤٩) ويهوه هو رب الشريعة فبقدرته الشخصية يتم ناموس موسى ويعدله (متى ٥ : ٢١) ويهوه يعقد عهداً مع البشر (متى ٢٦ : ٢٨ ومرقس ١٤ : ٢٤ ولوقا ٢٢ : ٢٠).

(٢) راجع كتابنا : عقائدنا ص ٦٥ ـ ١٤٥ ـ تجد فيه تفصيلاً واسعاً عن خرافة الالوهية والبنوة للمسيح وتزييفها .

إن القرآن يثبت له إنجيلاً : « وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور » (٥: ٤٦) ! وجماعة من المسيحين ينكرون هذه الحقيقة الناصعة ، كـ : القس و. ت. جردنر الإنجليزي[١] و: اوميم ميلر[٢] رغم اعتراف جماعة آخرين منهم بانجيل المسيح وكما في الانجيل الحالي نفسه : « بعدما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ـ يبشر ـ بانجيل ملكوت الله ويقول : قد كمل الزمان

(١) في كتابه : محاورة الوحي باعتبار التوراة والانجيل والقرآن ، صدر من الجمعية الاسقفية ببولاق مصر ـ طبع بمطبعة النيل المسيحية بشارع المناخ نمرة ٣٧ ـ يقول فيه : « في القرون التي مضت بين المسيح ومحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يعترف المسيحيون بانجيل غير الانجيل الحالي اي : العهد الجديد ـ وليس هناك اقل بينة تدل على انه كان لدى المسيحيين كتاب آخر غير الكتاب الحالي او الانجيل الحقيقي او ان الحقيقي فقد بعد زمن الهجرة . . ان الانجيل الحالي هو اذاً الانجيل الحقيقي ، وان زعم وجود كتاب آخر انزل على عيسى هو وهم وخطأ ، فيكفي ان نقول فقط : ان كاتبي اسفار الانجيل الهموا ان يدونوها بطرق مختلفة ووسائل متنوعة ولذلك يعتبر جوهر ما دونوه موحىً به ».

(٢) هو العالم الشهير الانجيلي في كتابه : التمدن القديم في باب تعاليم المسيح ، يقول فيه : « ان ربنا عيسى المسيح لم تكن له شريعة كموسى ، انما قرر شريعة التوراة ، انه كلمة الله الطاهرة وكان عنده خزائن علم الله وحكمته فلم يكن من اللازم ان ينزل عليه كتاب ، والمؤمنون الاولون انما كانوا يستفيضون من كلماته النيرة ، فاين لزوم كتاب ينزل عليه ؟ فان اعماله وكلماته كانت مكتوبة على صحائف قلوب الحواريين ، فلم يكونوا اذا بحاجة الى كتاب شريعة اذ كانت تكفيهم شريعة التوراة ، ولا كتاب سنة عملية اخلاقية لأن المسيح كان ذلك الكتاب باعماله واقواله ـ ولكن المسيحيين لما لم يروا المسيح في الجسم على الاكثر ، فهم بحاجة الى كتابات تذكرهم بمعجزات المسيح وحياته لكي يغنيهم البيان عن العيان ، لذلك رأى مؤلفوا الاناجيل الذين كانوا يعرفون حياة المسيح بعيان وبصيرة ـ رأوا من المفروض عليهم تأليف هذه الاناجيل ويشرحوا فيها احواله واقواله ومعجزاته وهذه الكتب هي المراجع الدينية الثانوية بعد المسيح وتلاميذه ».

واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل » (مرقس ١ : ١٥)[١] « وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلم في مجامعهم ويكرز بانجيل الملكوت » (متى ٤ : ٢٣ و ٩ : ٣٥) ويعرف به بولس قائلاً : « اوّلاً أشكر الهي يسوع المسيح من جهة جميعكم أن ايمانكم ينادي به في كل العالم فإن الله الذي أعبده بروحي في إنجيل ابنه شاهد لي كيف بلا انقطاع اذكركم » (روم : ١) وفي : برنابا : «ولقد قال لي صدق يا برنابا اني اعرف كل نبي وكل نبوة وكل ما أقوله إنما جاء من ذلك الكتاب »[٢] « وانتم شهداء على هذا كيف انكر على هؤلاء الاشرار الذين بعد انصرافي عن العالم سيبطلون حق إنجيلي بعمل الشيطان ، ولكنني سأعود قبل النهاية » (برنابا ٥٢ : ١٤ ـ ١٥) « . . . مع أنني الآن أبكي شفقة على الجنس البشري لاطيلن في ذلك اليوم عدلاً بدون رحمة لهؤلاء الذين يحتقرون كلامي ولا سيما اولئك الذين ينجسون إنجيلي » (برنايا ٥٨ : ٢١ ـ ٢٢) وكما يشهد بولس بهذه الخيانة الفاضحة إذ يندد بهم : « إني اتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعاً من الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر . ليس هو آخر . غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون ان يحولوا إنجيل المسيح » (اغلا : ٦ ـ ٧) !

---

(١) هذه الآية تلمح كانهم ما كانوا ليصدقوا إنجيله اذ كان عبئاً وحملاً عليهم ، حتى يفسح لهم مجال اختلاق اناجيل اخرى .

(٢) حينئذ قال التلاميذ : حقاً ان الله تكلم على لسانك لانه لم يتكلم انسان قط كما تتكلم ؟ اجاب يسوع : صدقوني : انه لما اختارني الله ليرسلني الى بيت اسرائيل اعطاني كتاباً يشبه مرآة نقية نزلت الى قلبي حتى ان كل ما اقول يصدر عن هذا الكتاب ومتى انتهى صدور ذلك الكتاب من فمي اصعد عن العالم، اجاب بطرس: يا معلم ! هل ما تتكلم الآن به مكتوب في ذلك الكتاب ؟ اجاب يسوع : ان كل ما اقوله لمعرفة الله ولخدمة الله ولمعرفة الانسان ولخلاص الجنس البشري انما هو جميعه صادر من ذلك الكتاب الذي هو انجيلي (برنابا ١٦٨ : ١ ـ ٥).

وهنالك في الاناجيل اللاحقة لهذه الاصول الانجيلية عندهم تصريحات تتجاوب معها ،كـ « انجيل السلام للمسيح » (١ ف ٦: ١٥) وانجيل الخلاص » (١ ف ١: ١٣) وانجيل الرب » (اول تسلو ٢ : ٩) .

وكذلك تصريحات اخرى من علماء المسيحية ومؤلفيهم ، كـ « نارتن» حيث ينقل عن « اكهارن » وتذكر دائرة المعارف الإنجليزية انجيل المسيح (عليه السلام) في عداد خمسة وعشرين إنجيلاً[١] ويؤيده كتاب اكسهوموا[٢] و . « اكهارن » وكثير من متأخري علماء النمسا ، ومال إليه المحققون ـ « ليكلرك ـ كوب ـ ميكايلس ـ ليسنك ـ نيميرومارش »[٣] .

٣ ـ « وجعلني نبياً . . »

ترى كيف تأخرت النبوة عن اتيان الكتاب الذي يضم النبوءة والرسالة كلتيهما ؟ لأن النبوَّة للرسول هي الرفعة في رسالته . فهناك نبوءة ثم رسالة ثم نبوّة ، فمن نبيء ليس برسول ومن رسول ليس بنبيٍّ ، وكما تتأخر النبوة الجامعة مع الرسالة عنها في سائر القرآن ، تدليلاً على أنها أخص من الرسالة : « واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً وكان رسولاً نبياً» (١٩: ٥١) « واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً » (١٩ : ٥٤) « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التورات والإنجيل » (٧: ١٥٧) « فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي . . » (٧: ١٥٨) « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي . . » (٢٢: ٥٢) فهذه

---

(١) في المطبوعة ١٣ ص ١٧٩ ـ ١٨٠ تحت عنوان : ابو كريفل لتريچر : خرافات الادبيات .

(٢) الفه حكيم بروتستاني يذكره في الباب ٥ من كتابه المطبوع ١٨١٣ م في لندن .

(٣) راجع كتابنا « المقارنات العلمية والكتابية بين الكتب السماوية » ص ٩ ـ ٦٠ تجد فيه تفاصيل الاناجيل .

النبوة السامية كسائر النبوات متدرجة من العبودية « اني عبد الله » الى نبوءة وحي ثم رسالة : « آتاني الكتاب » ثم نبوّة « وجعلني نبياً » فبين النبوءة والنبوة متوسط الرسالة ، وكل من هذه الرحلات درجات حسب درجات النبوات .

ثم « وجعلني نبياً » تحصر كيانه ككل في النبوة رفضاً لما سواها من الوهية او بنوة حقيقية او تشريفية اماهيه مما يهرفه الخارفون حول السيد المسيح (عليه السلام) من وراثة الالوهية او النبوة !

﴿وجعلني مباركاً أينما كنت﴾ بركة شاملة تكرس كيانه ككل ، تسلب عن ساحته كل المثالب والمآلب التي اختلقته أيدي الدس والتجديف ، فـ « أينما كنت » تضرب إلى أعماق الماضي في أصلاب شامخة وارحام مطهرة حيث تنقل من كلٍ الى اخرى والى امه الطاهرة العذراء ، ما يظهر ساحته في ماضيه وبأحرى حاله ومستقبله كما يشملها مثلث السلام ، فلم تكن في هذا البين مقاربة محرمة على أية حال ، ولا مقارفة لها في كل حلٍّ وترحال ومن مستقبله المجيد .

إنه لم يخلد بخلد مريم الطاهرة إلا رجاء الذود عن ساحة هذه الولادة ، فاذا هي تجد وليدها : « جعلني نفاعاً للناس أين اتجهت »[1] ومعلماً ومؤدباً[2] .

---

(١) الدر المنثور ٤ : ٢٧٠ ـ اخرج الاسماعيلي في معجمه وابو نعيم في الحلية وابن لال في مكارم الاخلاق وابن مردويه وابن النجار في تاريخه عن ابي هريرة قال قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قول عيسى (عليه السلام) وجعلني مباركاً اينما كنت قال : جعلني . . وروى مثله في معاني الاخبار باسناده الى عبد الله بن جبلة عن رجل عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال : نفاعاً ، وهذا تفسير بالمصداق الجلي .

(٢) المصدر اخرج ابن عدي وابن عساكر عن ابن مسعود عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الآية . . .

في بركة كاملة كافلة لكافة الاصلاب والارحام التي تنقلا بينها .

وذلك تعريض عريض على كل التقولات الكتابية في عهدي القديم والجديد ، مما تدنّس هذه الساحة المباركة بمن قبلها من ساحات النبوات وسواها من أصلاب وأرحام !

﴿ صحة الاناجيل خطر على قدسية المسيح عليه السلام.

العهدان يتناصران في تبعيد المسيح (عليه السلام) عن حزب الله ولا يسمحان له الدخول في جمعية الرب إذ يفتريان عليه أنه من جدود أربعة هم من أولاد زنا ـ وعوذاً بالله !

موآب ـ فارص ـ بن عمي ـ سليمان :

هؤلاء الأربعة من أجداد المسيح حسب الانجيل ، تجد كلهم من أولاد الزنا حسب الكتابات المقدسة !:

« **موآب** » : عوبيد جد داود النبي أمه روث » (متى١ : ٥ ـ ٦) وهي من نسل موآب ، والمسيح من نسل داود من سليمان (متى ١ : ١) فموآب أحد أجداد المسيح وداود وسليمان .

« **بن عمي** » : رحبعام بن سليمان من اجداد المسيح (متى ١ : ٧) امه من نسل بن عمي (املوك ١٤ : ٢١) .

« **فارص** » : وهو ايضاً في سلسلة أجداد المسيح (متى ١ : ١ ـ ٤) ونحن نجد هؤلاء الثلاثة وسليمان في التوراة من ولد الزنا ! فموآب وبن عمي هما ابنا لوط حيث زنى ببنيته سكراناً فولد من الكبرى موآب ، ومن الصغرى بن عمي ، وهما يرآسان سلسلتي موآب وبن عمي (تكوين ١٩ : ٣٠ : ٣٨) ـ.

وفارص او برص ولد من زنا من « تامار » حليلة ابن يهودا حيث زنى بها فولدت فارص وزارح توامين (تكوين ٣٨: ٦ ـ ٣٠) وسليمان من ولد « بت شبع » امرأة او ريّا حيث زنى بها داود النبي (متى ١: ٦) وحاشاه .

فداود وسليمان والمسيح هم اولاد زنا ـ وعوذاً بالله ـ من المحارم، نتيجة تجاوب العهدين في عرض نسبهم ، ثم التورات تأتي بتصريحات تخرج المسيح وهؤلاء من حزب الله ولا تأذن لهم الدخول في جمعية الرب !.

. . . « لا يدخل ابن زنىً في جماعة الرب ، حتى الجيل العاشر لا يدخل منه أحد في جماعة الرب . لا يدخل عموّني ولا موآبي في جماعة الرب حتى الجيل العاشر . لا يدخل منهم أحد في جماعة الرب الى الابد . . . لا تلتمس سلامهم ولا خيرهم كل أيامك إلى الابد » (تثنية ٢٣ : ٢ ـ ٣ و ٦) !

إذاً فلا خير في مسيح الانجيل ولا يدخل في جماعة الرب فضلاً عن ان يرأسهم ـ لا يدخل : نهياً او إخباراً ـ هو وكل ولد زنىً ولا سيما الموآبين وبن عمين وهو منهما ! فكيف يعتبر نبياً عظيماً من اولي العزم أو إبناً لله ام إلهاً متجسداً في الناسوت ، هذا الافك والبهت الزور في العهدين تجتثه مقالة مسيح القرآن. « وجعلني مباركاً أينما كنت » ـ.

﴿واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيّاً[٣١]﴾.

تلك هي وصية خاصة رابية على أمته ، بالصلاة : أداء لها بنفسه وإقامة في أمته وكما في موسى : « إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري » (٢٠: ١٤) وابراهيم : « رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي » (١٤: ٤٠) واسماعيل « وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة » (١٩: ٥٥) وهذا النبي والذين معه : « وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها » (٢٠: ١٣٢) « أتل ما أوحي اليك من الكتاب وأقم الصلاة » (٢٩: ٤٥) كما وأوحي الى

المرسلين أجمع : « وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة . . » (٢١ : ٧٣) .

وقد تدل « واوصاني » في المسيح (عليه السلام) إضافة إلى ما يعم المرسلين انه ما كان إلا عبداً لله ، لا إلهاً او إبنه وإلاّ فلمن كان يصلي ؟!

٦ ﴿ وبراً بوالدتي . . ﴾

جعلني براً بوالدتي ويا للعجاب أن يصبح البر بالوالدة من الميزات الرسالية وهو من النواميس العامة ، والرسالة تتخطىّ براً بوالدتي أما ذا من قبيله ، وتختص بالميزة القمة التي لا تشارك فيها الأمة أم أدنى من القمة كإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، دون البر بالوالدة، ولا نجد في سائر القرآن ، يعتبره ميزة رسالية اللهم إلا بر الرحمة الالهية : « إنا كنا ندعوه من قبل إنه هو البر الرحيم » (٥٢ : ٢٨) وفي يحيى « وبراً بوالديه ولم يكن جباراً عصياً » (١٩ : ١٤) ثم وآيات الإحسان بالوالدين تعم الأمم !

ولكن « براً بوالدتي » في المسيح تعني ايجابية البر بها التي لا اثر عنها في الكتابات الإنجيلية ، وكما أن :

٧ ﴿ ولم يجعلني جباراً شقياً[٣٢] ﴾.

تعني الذود عن ساحته ما مست منه هذه الكتابات إنه كان بها جباراً شقياً! .

﴿ المسيح وأمه حسب الانجيل :

نبدء هنا بقصة قانا الجليل ما أسوءها لمريم وعيساها إذ تنسب الى المسيح معجزة صناعة الخمر كاولى معجزاته التي دعت تلاميذه إلى الايمان به ، وذلك باستدعاء مريم وهو يهتكها في استدعائها رغم أنه يطبّقها : « ولما فرغت الخمر قالت ام يسوع : ليس لهم خمر . قال لها يسوع مالي ولك يا امرءة لم تأت

ساعتي بعد ـ ومن فوره يأتي ساعته قائلاً : إملأ والاجران ماءً . . فلما ذاق رئيس المتكأ الماء المتحول خمراً . . . » .

هذه بداية الآيات فعلها يسوع في قانا الجليل وأظهر مجده فآمن به تلاميذه » ! (يوحنا : ٢ ـ ١ : ١١) . . فمسيح القصة يهتك أمه في كلمة لاذعة « مالي ولك يا امراءة » رغم إجابتها من فورها لمأمولها كمعجزة أولى ! .

هذا ـ وفتكٌ ثان بها في قصة ثانية يتهمها فيها بعدم الإيمان : « إذ كان يكلم تلاميذه فجاءت حينئذٍ إخوته وأمه ووقفوا خارجاً وارسلوا إليه يدعونه وكان الجمع جالساً حوله فقالوا : هوذا امك واخوتك خارجاً يطلبونك . فأجابهم قائلاً : من امي وإخوتي ؟ ثم نظر حوله الى الجالسين وقال : ها أمي وإخوتي لأن من يصنع مشيئة الله هو أخي وأختي وأمي (مرقس ٣ : ٣١) « امي واخوتي هم الذين يسمعون كلام الله ويعملون بها » (لوقا ٨ : ١٩ ـ ٢١) (متى ١٢ : ٤٦ ـ ٥٠) .

فيا لها من نسبة فاسقة كافرة الى مريم واخوته تمنعاً عن مكالمتها فرية عليها أنها تاركة للصالحات ، وفي حين أنه يؤكد بالغ التوكيد باحترام الامهات وانه من النواميس العشرة التوراتية دون شرط الإيمان ـ وهي الطاهرة المعصومة (متى ١٩ : ١٩) (مرقس ١٠ : ١٩) (لوقا ١٨ : ١٠) افتقضاً للنواميس وتناقضاً بين القول والعمل بهذه المثابة . وتذليل الابوين يخلّف لعنة إلهية بتأمين شعب الله : « ملعون من يستخف بأبيه أو أمه ويقول جميع الشعب آمين » (تثنية ٢٧ : ١٦) .

ثم هو في قصة ثالثة وهي عند صلبه ! ينعزل عن بُنوَّته لها ويهبها لمن يحبه من تلاميذه : (يوحنا) لتكون له اماً : « وكانت واقفات عند صليب يسوع أمه واخت مريم زوجه « كلوبا » و « مريم المجدلية » . فلما رأى يسوع أمه

والتلميذ الذي كان يحبه واقفاً قال لأمه : يا امرأة ! هوذا ابنك . ثم قال للتلميذ : هوذا أمك . ومن تلك الساعة أخذها التلميذ إلى خاصته » (يوحنا ١٩ : ٢٥ ـ ٢٧) !.

هذا ـ ثم المختصر في علم اللاهوت العقائدي يحاول إنجبار حالة مسيح الانجيل الجبار العصبي[1] !.

هذه مريم (عليها السلام) ومسيح الجبار العصي تجاهها حسب الانجيل، ثم نجده وامه حسب القرآن في ارفع مقامات العصمة والطهارة.

---

(١) تأليف لوديغ اوث ج ٢ ص ١١٢ ـ ١١٨ ـ يقول فيه » . . ومريم قد اكتسبت استحقاقات وافرة لا بكفاحها ضد الرغبات الحسية بل بمحبتها لله وبفضائلها الاخرى: الايمان ـ التواضع ـ الطاعة : (انظر القديس توما ٣ / ٢٧ : ٣ على الثاني) . . فعند تقديس مريم في احشاء امها قُيدت الشهوات بحيث انتفت كل حركة حسية منحرفة ، أما لدن الحمل بالمسيح فقد اخمدت الشهوات إخماداً بحيث ان القوى الحسية صارت خاضعة كل الخضوع لقيادة العقل : (انظر القديس توماس ٣/ ٢٧ : ٣) . . . اعلن المجلس التريدنيتي : « ما من بار يستطيع مدة حياته كلها ان يتحاشى كل الخطايا حتى العرضية الا بامتياز خاص من الله كما تعتقد الكنيسة انه الحال في البطوباوية العذراء . (٨٣٣ D) وقد قال البابابيوس الثاني عشر في رسالته Mystici corporis عن العذراء ام الله : « بانها كانت في عصمة من كل خطيئة شخصية او وراثية (.D ٢٢٩١) هذه العصمة هي متضمنة في نص لوقا (١ : ٢٨) « السلام عليك يا ممتلئة نعمة . . «.

كان الآباء اللاتين يجزمون بعصمة مريم من الخطيئة فيعلّم القديس اوغسطينوس : ان كل خطيئة شخصية يجب ان تنتفي من العذراء مريم ـ والقديس افرام يضع مريم البريئة من الدنس في مقام المسيح (انظر : ٣).

﴿ مريم في القرآن ﴾ :

« إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم . فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم . فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنّى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب » (٣: ٣٥ ـ ٣٧) .

ـ « وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين » (٣: ٤٣) « ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها ورسله وكانت من القانتين » (٦٦: ١٢) وهكذا الى الـ : ٣٥ مرة تذكر في سائر القرآن !.

﴿ المسيح في القرآن ﴾:

إنه عبد الله ونبيه ـ جعله مباركاً اينما كان عبر الأصلاب والأرحام وعبر حياته النيرة (١٩: ٣٠ ـ ٣٢) و « لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله » (٤: ١٧٢) وانما مقالته وحالته طول حياته « إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم » (٣: ٥١) و « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون» (٣: ٥٩) « إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني اسرائيل » (٤٣: ٥٩) « وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم

ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم » (٥: ١١٦ - ١١٧) .

وهو واحد من اولي العزم الخمس : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه . . » (٤٢: ١٢) وكتابه الانجيل : (٣: ٣ و ٤٨ و ٥: ٤٦) وقد سماه الله بالمسيح « وكلمته القاها الى مريم وروح منه » (٤: ١٧١) وهو من شهداء الاعمال يوم القيامة » (٤: ١٥٩) و (٥: ١٨٧) « وجيهاً في الدنيا والأخرة ومن المقربين » (٣: ٤٥) ومن المصطفين المجتبين الصالحين » (٣: ٣٣ و ٦: ٨٦ - ٨٧) وقد علّمه الله الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل » (٣: ٤٨) وكان مبشراً برسول يأتي من بعده اسمه أحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) (٣: ٤٨) « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شكٍ منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً . بل رفعه الله إليه . . » (٤: ١٥٧ - ١٥٨) وسيؤمن به أهل الكتاب قاطبة قبل موته : « وإن من اهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته . . » (٤: ١٥٩) والى (١١) مرة عيسى و (٢٥) مرة المسيح المذكورة في سائر القرآن، تربوا مرة واحدة على امه الطاهرة مريم (عليها السلام) !.

٨ ﴿ والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم ابعث حياً(٣٣) ﴾ .

هنا في مثلث الولادة والموت وبعثه حياً بعد الموت دلالة شاملة على كيانه الإنساني فالرب لا يولد ولا يموت حتى يبعث حياً ، وفي « يوم أموت » دلالة على نكران صلبه فإنه قتلٌ وليس موتاً ، ودلالة ثانية أنه يموت ولا يبقى حياً كما الله خلاف ما يهرفونه!.

ثم ومثلث الزمان هذا هي اهم دورات الحياة : سلام في الولادة عن رحم يولده من زناً ، وعن أصلاب وأرحام الآباء القدامى والامهات حتى آدم

وزوجته، وسلام يوم يموت عن أية وصمة او لعنة، خلاف ما اختلقه عليه جماعات من المسيحيين: أنه صُلب وبصلبه لُعِنَ تحملاً عن لعنة سريعة الناموس، ما يتقولونه عليه أنه أبطل شريعة العمل وحصر الشريعة في عدة عقائد خرافية، وما لعنة الصليب عندهم إلا فداءً عما اقترفه المذنبون من أمته هتكاً لشريعة الناموس!.. وسلام «يوم أبعث حياً» عن كل وصمة إلا سمة العصمة والطهارة القمة!.

« ابعث حياً » في عيسى (عليه السلام) كـ « يبعث حياً » في يحيى يدل على أنه ممن شاء الله ألا تأخذه الصعقة الموت حين البعث كما قدمناه في يحيى (عليه السلام).

ومن قبل كان مثلث السلام على يحيى المبشر بالمسيح (عليه السلام) كما « وبراً بوالدي » كتقدمة للمسيح أن ليس هو المسيح فقط براً بوالدته بل والمبشر به بر بوالديه!.

وترى إن « سلام » في ذلك المثلث من المسيح على نفسه، فيتفضل يحيى عليه إذ الله هو المسلم عليه؟ كلا! حيث المسيح وهو في المهد صبي ليس كلامه الخارق إلا وحياً من ربه فـ « سلام علي » يعني سلام الله علي وكما اوحى الله الي، ان الله سلمني ويسلمني في مثلث الزمان من كل ما لا يناسب ساحة رسالة سامية. فـ «سلام» من « السلام » على المسيح « السلام » (عليه السلام) دونما قيد او شرط إلا: « اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً اينما كنت واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً »!.

﴿ ذلك عيسى بن مريم قول الذي فيه تمترون ﴾[٣٥].

« ذلك » البعيد المحتد عما مسوا من كرامته في هذه الثمانية « عيسى بن مريم » لا الذي تتحدث عنه هذه الكتابات المحرفة الزور والغرور ـ « ذلك »

اعني « قول الحق » فيه لا نفسه « الذي فيه يمترون » لا ذاك ، فرغم أن المسيح واحد كوناً ، هو متناقض كياناً حسب القرآن والعهدين واين مسيح من مسيح !.

﴿ ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى امراً فانما يقول له كن فيكون(٣٥)وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم(٣٦)﴾.

« ذلك عيسى بن مريم . . » و « ما كان لله . . » جملتان معترضتان تبعد كيان المسيح عما تقولوا عليه ثم « وإن الله ربي . . » هو البند التاسع من كلام المسيح (عليه السلام) في المهد صبياً .

نجده « ما كان له » في سائر القرآن نفي يضرب إلى اعماق الماضي تكويناً او تشريعاً كإحالة لمدخولها ، ولماذا الله يتخذ من ولد لنفسه حتى ولو امكن وهو محال ؟ « سبحانه » في ذاته وصفاته وأفعاله « أن يتخذ من ولد » ولادة ذاتية ام تشريفية اماهيه ، فـ « من » جنس و « ما كان » ينفي ذلك الجنس أياً كان ولماذا؟ حيث « إذا قضى أمراً » عادياً ام خارقالعادة « فانما يقول له كن فيكون » وقوله هنا فعله بارادته ، والمخاطب تكويناً قد يكون شيئاً يتحول الى شيء اخر عادياً كسائر الولادات ، ام خارق العادة كما في آدم والمسيح ، ام لا يكون شيئاً فعلياً كالمادة الأولية واول ما خلق الله فهنا المخاطب غيره هناك ، حيث التكوينْ هنا ايجاد لا من شيء ، لا من لا شيء ، كما أنه هناك ايجاد من شيء ، والاشياء بجنب الإرادة التكوينية ثلاثة :

١ ـ لا شيء بالفعل ، وبالامكان أن يوجد شيئاً ، فبعلاقة الأول يسمى قبل شيئه شيئاً .

٢ ـ لا شيء ولا يمكن في المصلحة الإلهية ان يوجد شيئاً ، فبعلاقة الامكان يسمى شيئاً .

٣ ـ شيء يجوز تحويله الى غير شيئه عادياً ام خارق العادة وهو الشيء حقيقة ، وأما المستحيل ذاتياً فليس يسمى شيئاً حتى تتعلق به القدرة و « ان الله على كل شيء » من تلكم الثلاث « قدير » لا على اللاشيء الذي لا يستحق الشيئية ولا تمكن فيه ذاتياً !(١) .

فكلما أن الله تعالى قضى خلق آدم من تراب دون أب وأم ، كذلك قضى خلق المسيح دون أب مع ام وهو اهون عليه و « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » (٣: ٥٩) .

إن الحاجة الى الولد تنسلاً من الوالد مستحيلة على الله إذ لا أجزاء له ، وإلى اتخاذ الولد خروجاً عن الوحدة ، وسنداً في الوحشة مستحيلة لعدم الحاجة ، فلماذا يتخذ ولداً سبحانه وهو مستحيل على ساحته ذاتيا وفي صفاته وفعاله ؟ « اذا قضى امراً فانما يقول له كن فيكون » ! .

« وان الله ربي وربكم . . » تشبه الآية الإنجيلية « اني ذاهب الى أبي وأبيكم . . » : خالقي وخالقكم ، ولكنهم تغامضوا عن مد الأب حيث يعني الخالق في لغته اليونانية وفسروه بالأب ، وقد جيئت بنصها في آل عمران والزخرف ! . إذا فهي معطوفة على « إني عبد الله . . » والايتان قبلها معترضتان ، وأصبحت البنود التسعة من كلامه اعترافاً بعبوديته بداية « إني عبد الله . . » ونهاية « وان الله ربي وربكم » خير بداية وخير ختام

﴿متى ارسل بالإنجيل وصار نبياً ؟ »

اترى بعد ذلك كله ان المسيح (عليه السلام) آتاه الله الانجيل وجعله نبياً وهو في المهد صبياً ؟ ولم تُنقَل عنه ولا شطر كلمة رسالية حين صباه الى

---

(١) راجع ج ٢٩ من الفرقان ـ كلام في القدرة من اوّل سورة المُلك .

كهولته إلا هذه المعرفة لكيانه الرسالي والذائدة عن امه الطاهرة ؟ ان تكليمه الرسالي بداية وهوفي المهدومن ثم منذ الكهولة حتى صعوده « ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين » (٣: ٤٦) « اذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلاً . . » (٥: ١١٠) .

فقد كان مؤيداً بروح القدس إذ يكلم الناس في المهد وكهلاً ، ولم يقل من المهد الى الكهولة ، وانما « في المهد وكهلاً . . » مما يخص تكليمه في الحالين دون ما بينهما ، فتكليمه في المهد يكرس أنباء رسالته كهلاً ويذود عن امه وقد سئل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) « فما شأنك لم تتكلم بالحكمة حين خرجت من بطن امك كما تكلم عيسى بن مريم على زعمك وقد كنت نبياً قبل ذلك ؟ فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : إنه ليس أمري كأمر عيسى بن مريم ان عيسى بن مريم خلقه الله عز وجل من أم ليس له أب كما خلق آدم من غير أب ولا أم ولو ان عيسى حين خرج من امه لم ينطق بالحكمة لم يكن لامه عذر عند الناس وقد اتت به من غير أب وكانوا ياخذونها كما يؤخذ مثلها من المحصنات فجعل الله عز وجل منطقه عذراً لأمه »[1] .

---

(١) نور الثقلين ٣ : ٣٣٦ ح ٧٦ في كتاب علل الشرايع عن وهب اليماني قال : ان يهودياً سأل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : يا محمد ! كنت في ام الكتاب نبياً قبل ان يخلق آدم (عليه السلام) ؟ قال : نعم ـ قال : وهؤلاء اصحابك المؤمنون مثبتون معك قبل ان يخلقوا ؟ قال : نعم ـ قال : فما شأنك . . » اقول يعني به ثبوت النبوة في علم الله وفي الايمان به من النبيين اجمع قبل ان يُخلق ويبعث ، فعلى هذه السابقة الشريفة المنقطعة النظير فما شأنك . . . وقد بحثنا عن نبوءته قبل رسالته في « الضحى » نبوءه ونبوة غير ظاهرة الرسالة ، لم يؤمر بها قبل الاربعين كما لم يوح اليه القرآن قبله .

فقد « كان يومئذٍ نبياً حجة لله غير مرسل »[١] حيث تنبأ بنباءِ الوحي ولما ارسل بكتاب ، وما كلامه عن كتابه ووصيته بالصلاة والزكاة ما دام حياً وبراً بوالديه ، إلا انباءٌ لمستقبل أمره ، فكتابه الرسالي هو منذ كهولته ، وصلاته وزكاته وبره منذ بلوغه او غلمته واما عبوديته لله فمنذ ولادته .

ولو كان رسولاً حجة على الخلق اجمعين منذ تكلُّمه في المهد لكان حجة على زكريا ويحيى ، وإنما « كان في تلك الحال آية لله ورحمة من الله لمريم حين يكلم فعبر عنها وكان نبيّاً حجة على من سمع كلامه في تلك الحال »[٢] دون الخلق اجمعين فضلاً عن زكرياً ويحيى !

وهذه الكرامة الالهية للمسيح تفسح مجالاً لتصديق كرامات اخرى لآخرين من أولياءه الصالحين كما للبعض من أئمتنا المعصومين في مظاهر أمرهم[٣] وان كان كلهم اصحاب هذه الكرامات منذ ولادتهم !

(١ ـ ٢) المصدر ٣٣٣ ح ٦٦ في اصول الكافي باسناده الى ابي جعفر الكناسي قال : سألت ابا جعفر (عليه السلام) اكان عيسى بن مريم حين يكلم في المهد حجة الله على اهل زمانه ؟ فقال : كان يومئذ نبياً حجة لله غير مرسل اما تسمع لقوله حين قال : اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً اينما كنت واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً» قلت : فكان يومئذٍ حجة الله على زكريا في تلك الحال وهو في المهد ؟ فقال: كان عيسى في تلك الحال آية لله ورحمة من الله لمريم حين يكلم فعبر عنها وكان نبياً حجة على من سمع كلامه في تلك الحال ، ثم صمت فلم يتكلم حتى مضت له سنتان وكان زكريا الحجة لله عز وجل بعد صمت عيسى بسنتين ثم مات زكريا فورثه ابنه يحيى الكتاب والحكمة وهو صبي صغير اما تسمع لقوله عز وجل «يايحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً » فلما بلغ سبع سنين تكلم بالنبوة والرسالة حين اوحى الله اليه فكان عيسى الحجة على يحيى وعلى الناس اجمعين وليس تبقى الارض يا ابا خالد يوماً واحداً بغير حجة لله على الناس منذ يوم خلق الله آدم (عليه السلام) واسكنه الارض ».

(٣) نور الثقلين ٣ : ٣٣٤ ح ٦٧ ـ عن اصول الكافي عن صفوان بن يحيى قال قلت

﴿ فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم ﴾[٣٧].

اختلفوا في كل من هذه البنود الثمانية، في - ١ - عبوديته - ٢ - وكتابه -٣ - ونبوته -٤ - وبركته - ٥ -وصلاته وزكاته -٦ - وبره بوالدته - ٧ - وان لم يكن جباراً شقياً ! - ٨ - والسلام عليه.

ففي كونه عبداً وهو اهم كونه اختلفوا من بينهم بين مثلثين[١] ومريميين ثنوية[٢]او مثلثين[٣]ومؤلهي المسيح كإله واحد[٤]، غضاً عن الوهية الله وموحدين حقيقيين وقليل ما هم[٥]وكما اختلفوا في ولادته وحياته وموته ، وفي كتابه وشريعته أما ذا من كيانه وامه !.

=للرضا (عليه السلام) قد كنا نسألك قبل ان يهب الله لك ابا جعفر فكنت تقول : يهب الله لي غلاماً ، فقد وهب الله لك فقر عيوننا فلا ارانا الله يومك فان كان كون فالى متى ؟ فاشار بيده الى ابي جعفر (عليه السلام) وهو قائم بين يديه فقلت : جعلت فداك هذا ابن ثلاث سنين ! قال : وما يضره من ذلك شيء قد قام عيسى (عليه السلام) بالحجة وهو ابن ثلاث سنين وفي نقل آخر عنه (عليه السلام) : ان الله تبارك وتعالى بعث عيسى ابن مريم رسولاً نبياً صاحب شريعة مبتدأة في اصغر من السن الذي فيه ابو جعفر (عليه السلام) .

اقول : الرسالة الفعلية للمسيح (عليه السلام) منذ ثلاث من عمره لا يصدقها تاريخ رسالته ولا القرآن ، بل وء كهلاً » في آيتيه لعله يعارضها ، اضافة الى الحديث السابق حيث بدء رسالته من السبع ، فلا يصدق من هذه الروايات الا ما يصدقه القرآن او لا يكذبه والله اعلم .

(١) « انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له ما في السماوات وما في الارض وكفى بالله وكيلاً » (٤ : ١٧١).

(٢) « واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وامي إلهين من دون الله . . » (٥ : ١١٦).

« فويل للذين كفروا » عن القول الحق في المسيح (عليه السلام) « من مشهد يوم عظيم » اوّله يوم الرجعة حيث ينزل المسيح (عليه السلام) وثانيه يوم الموت ، وثالثه يوم القيامة وهي ايام الله وان كان الاخير اعظمها !ـ:

﴿ اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين ﴾ (٣٨) .

« يوم يأتوننا » فرادى و « يوم يأتوننا » جماعات يومي الموت والقيامة الكبرى « اسمع بهم وأبصر » : ما أسمعهم وأبصرهم بالحق فيهما بعدما عاشوا صماً وبكماً في الظلمات يوم الدنيا ، فلا ينفعهم ما يسمعون من الحق وما يبصرون إذ قضى الأمر ولات حين مناص ، فليقولوا حاسرين « ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنّا موقنون » (٣٢: ١٢) « لكن الظالمون » اذ ظلموا في صممهم وعما هم عامدين «اليوم في ضلال مبين » في ضلال هناك نتيجة ضلالهم هنا، عن رحمة الله، فقد تناسوا في اليوم الأول غده ثم ليس لليوم الآخر غد يقدمون له !.

ثم الحق الذي يسمعونه ويبصرون هو كل الحق ، ما تركوه وكذبوا به ، وما خلّفه تكذيبهم ، حيث السمع والبصر هنالك حديد : « لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » (٥٠: ٣٢) .

= (٣) في اللاهوت العقائدي ج ٢ ص ١٠٨ لمؤلفه لوديغ اوث « ان مريم هي حقاً ام الله تقول الكنيسة في قانون الرسل بان ابن الله ولد من مريم العذراء فهي ام الله من حيث هي ام ابن الله .

(٤) « لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم . . » (٥ : ٧٢) « لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة » (٥ : ٧٣).

(٥) هم الثلثان من اعضاء نيقية الموحدون حيث اضطهدوا بالثلث غير الموحدين ويأتي تفصيله بطيات آياته .

وقد يشمل « اسمع بهم وابصر » امر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كشهيد الشهداء أن يجعل سائر أهل الحشر يسمعون ويبصرون[١] حالَةَ هولاء الظالمين النكدة ، إذاً فـ « اسمع » جامعة هنا بين الأمر وأفعل التعجب ، ولا يعني العجاب هنا إلا أنه موضعه لمن يعجب دون الله سبحانه فانه ليس ليعجب !.

﴿ وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون[٣٩] ﴾ .

« يوم الحسرة » هو يوما الموت والقيامة الكبرى حسرة على الظالمين : « ان تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله » (٣٩ : ٥٦) « كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار » (٢ : ١٦٧) « حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها » (٦ : ٣١) لذلك فهو لهم « يوم الحسرة إذ قضي الامر » أمر التكليف ومجال التوبة عما اترفوا فيه ، فلا حسرة عما مضى إن كان هنالك انجبار يصلح ما يأتي .

وقد يعني يوم الحسرة هنافقط يوم الموت « وهم في غفلة وهم لا يؤمنون » حيث البرزخ ليس يوم الغفلة ولا يوم الايمان حتى يُندَّدوا بعدم الايمان ، اللهم الا لمن يجمع يوميه ظالماً وهو الذي يموت بالنفخة الاولى ويحيى بالثانية وهم قلة قليلة امام جمع الظالمين المحشورين ، فمهما كان يوم القيامة الكبرى هو يوم الحسرة الكبرى ولكن « وهم في غفلة وهم لا يؤمنون » يختصه هنا بالقيامة الصغرى ، اللهم إلّا ان يعتبر اليومان واحداً هما « يوم الحسرة قضي الامر » فـ « هم في غفلة وهم لا يؤمنون » يعني بداية يوم الحسرة وهو القيامة الصغرى ،وقد يعني « اذ قضي الامر » ـ فيما يعني ـ قضاء امر الموت[٢]

---

(١) وبهم » اعتباراً بافعل التعجب دون الأمر فانه متعدٍ بنفسه .

(٢) الدر المنثور ٤ : ٣٧١ ـ اخرج سعيد بن منصور واحمد وعبد بن حميد والبخاري =

لأهل الجنة تماماً ، ولاهل النار ما داموا هم في النار .

﴿ إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون(٤٠)﴾ .

تأكيدات اربع « ان ـ نا ـ نحن ـ نرث » تدليلاً صارماً على وراثة الأرض ومن عليها لله الواحد القهار ، ومن ثم « والينا يرجعون » .

انه لا وارث لله من ولد يتخذه مسيحاً ام سواه ، بل هو الوارث للأرض

= ومسلم والترمذي والنسائي وابو يعلى وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن حيان وابن مردويه عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار يجاء بالموت كانه كبش املح فيوقف بين الجنة والنار فيقال : يا اهل الجنة ! هل تعرفون هذا ؟ فيشرفون وينظرون ويقولون : نعم هذا الموت وكلهم قد رآه ثم يقال يا اهل النار هل تعرفون هذا فيشرفون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه فيؤمر به فيذبح فيقال يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت ثم قرأ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) « وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضي الأمر وهم في غفلة» واشار بيده وقال : اهل الدنيا في غفلة » وفي تفسير القمي ابو ولاد الحناط عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال : سئل عن قوله « وأنذرهم يوم الحسرة » قال : ـ وذكر مثله الى قوله : ثم يقال : يا اهل الجنة خلود فلا موت ابداً ويا اهل النار خلود فلا موت ابداً وهو قوله عز وجل : « وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة » اي : قضي على اهل الجنة بالخلود فيها وقضي على اهل النار بالخلود فيها .

اقول : يختلف الخلودان والأبدان في الخلودين في الحديثين ، فالخالدون في الجنة لا يموتون ابداً فانها « عطاءٌ غير مجذوذ » والخالدون في النار منهم من يخرج الى الجنة فلا يموت كسائر اهل الجنة ، ومنهم من يظل في النار ما دامت النار فلا موت اذاً في النار ، واما الفناء بفناء النار فلا ينافي الخلود ولا أبده في النار ، فأبد الخلود في النار يقدر بقدر ابد النار كما الجنة بالجنة ـ راجع ج ٣٠ تفسير قوله تعالى « لابثين فيها احقاباً » وسورة الاسراء من هذا التفسير ففيه بحث فصل حول الخالدين في النار .

ومن عليها مسيحاً وسواه . لقد ملكنا ربنا أنفسنا والأرض محنة التكامل بالإختيار ومهنته بما هبانا من وسائل واسباب ، ملكاً عرضياً مؤقتاً لذلك الهدف الاسمى ، دون ملك حقيقي فانه لزام ربوبيته دون انتقال ، ثم الله ينشيء النشأة الاخرى حيث تزول هذه الملكية العرضية فهو الوارث لما ملكه من « الأرض ومن عليها » فانهم « إلينا يرجعون » فلا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً إلّا ما قدموه يوم الدنيا « لمن الملك اليوم لله الواحد القهار » (٤٠ : ١٦) فهم منذ موتهم حتى الابد معزولون عما ملكوا يوم الدنيا «وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون » (١٥ : ٢٣) « ولله ميراث السماوات والأرض والله بما تعملون خبير» (٣: ١٨٠) !

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ
إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ
مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ
إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا
سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ
كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ
عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ
أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ

وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ۖ
إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ
اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾
فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ
وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا
وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

﴿ واذكر في الكتاب ابراهيم إنه كان صديقاً نبياً ﴾ .

نجد « ابراهيم » عليه السلام ٦٩ مرة في الذكر الحكيم ، وأصله العبراني آبراهام ـ او ـ أب رام ، يعني : ابا جماعة كثيرة ، وكما في التوراة: التكوين ١٧ : ٢٠

« وُليشمَعيل شِمَعتيخا هِينّه بَرختي اوتو وَهيفْرتي اوتو وهيْربتي اوتو بمُئدمِئد شِنيم عاسار نَسيئيم يولَدْ ونتتيو لغُوي غادُل» .

« ولاسماعيل سمعته (ابراهيم) ها انا أباركه كثيراً وأنميه وأثمره كثيراً وارفع مقامه كثيراً بمحمد واثنى عشر إماماً يلدهم اسماعيل واجعله امة كبيرة[1]) .

(١) راجع كتابنا رسول الاسلام في الكتب السماوية .

« انه كان صديقاً » : كثير الصدق ومبالغه في تطابق حاله وأقواله وافعاله في حلّه وترحاله « نبياً » : رفيع المنزلة بين الصديقين فانهم بين « الذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم . . » (٥٧ : ١٩) ثم معصوم لا رسول ولا خليفة رسول كمريم (عليها السلام) : « وامه صديقة » (٥ : ٧٥) ثم خلفاء الرسل المعصومين « ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين » (٤ : ٦٩) ثم الرسل « واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً » (١٩ : ٥٦) و« يوسف ايها الصديق . . » (١٢ : ٤٦) فابراهيم نبي : رفيع المنزلة بين الصديقين الرسل فضلاً عمن سواهم ، وقد يكفي « نبياً » تدليلاً على رفعته بين الرسل ، إلّا ان صديقاً يضيف اليه نبوة بين الصديقين الرسل فضلاً عمن سواهم ، ومن نبوته الصدّيق حواره الصارم مع أبيه حيث لم يجرفه جوّ الربوة والتربية الشركية ، فلم يزلزله عن موقفه الصارم في التوحيد ودعوته .

﴿ إذ قال لأبيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً ﴾(٤٢) .

أبوه هذا ليس الأب الوالد ، بل هو عمّه أم جد لأمه ، فكان يربيه كأب منذ طفولته إذ مات والده ، وهنا يوبخه باحترام ودونما اختزام : « يا ابت »(١)! سائلاً عنه السبب لعبادته الاوثان من دون الله ، وأقله أن تسمع او تبصر ، ومن ثم تغني وتكفي عنه شيئاً ، وأكثره أن يكون الخالق الكامل

---

(١) الدر المنثور ٤ : ٢٧٢ ـ اخرج ابو نعيم والديلمي عن انس قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : حق الوالد على ولده ألا يسميه الا بما سمى ابراهيم اباه : يا ابت ـ ولا يسميه باسمه ـ اقول هذا لا يدل على ان اباه كان والده حيث الاحترام للوالد ومن هو بمنزلته كالعم والجد .

الكافل لكل ما يحتاجه عبده ، ولا تملك الأوثان كثيراً ولا قليلاً مما يسبب عبودتها ، والرب يكون مع عبده يراعيه : « إنني معكما اسمع وارى » « ان معي ربي سيهدين » .

﴿ يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً ﴾ (٤٣) .

إنه لا بد للجاهل متابعة العالم ولا سيما الذي جاءه من العلم ما جاء ابراهيم من علم الملكوت وحياً إضافة الى علمه الفطري الناضج وآزر يحرم العلمين قصوراً عامداً وتقصيراً ! .

وليست الهداية الى صراط سوي دونما عرج ولا حرج ولا عوج إلا على ضوء علم يأتي الإنسان من الله « جاءني من العلم ما لم يأتك » حيث العلم الداخل من فطرة وعقل ، او مكتسب كما الداخل من غير الله ، هذا العلم ليس معصوماً عن خطأ مهما أصاب ، فلا يصيب الصراط السوي الا على ضوء العلم الخارج وحياً !.

﴿ يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً (٤٤) يا أبت إني أخاف أن يمسّك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً ﴾ (٤٥) .

أترى بعد ما يندد به لأنه يعبد ما لا يسمع ولا يبصر ، كيف ينهاه هنا عن عبادة الشيطان واسمع به وابصر ؟! وان كان لا يغني عنه شيئاً ؟ علّه لا يعني من عبادة الشيطان اتخاذه معبوداً كما الله ، وإنما طاعته المطلقة كأنه معبودٌ « الم اعهد اليكم يا بني آدم الا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين » (٣٦ : ٦٠) .

فما لم تكن هنا طاعة مطلقة للشيطان فكيف يتبّع فيما ليس له من سلطان ان تعبد من دون الله اوثان لا تسمع ولا تبصر ولا تعني شيئاً ؟ فلو ان

الشيطان كان مطيعاً للرحمان لم تحق له العبادة ومطلق الطاعة ، كيف وقد « كان للرحمن عصياً » فالرحمن الذي منه الرحمة العامة لكل كائن كيف يترك إلى الشيطان وهو عصيُّ الرحمان ، يبدل رحمته نقمة وهداه ضلالاً .

وترى اذا كان أبوه يعبد الشيطان فكيف يخاف عليه أن يمسه عذاب من الرحمن فيكون ولياً للشيطان ، ومس العذاب وولاية الشيطان لزامان لمن يعبد الشيطان ؟ والخوف يلمح بتردد راجح ! .

في « اني أخاف » لمحة أن ابراهيم (عليه السلام) لمّا يعرف حتى الآن أن اباه عدوٌ للرحمن ، فكأنه مستضعف جاهل او يحتمله ، كما وأن « فتكون للشيطان ولياً » لمحة اخرى تؤيدها أنه لم يكن يعلم آنذاك ولايته المعمدة المعاندة الحق للشيطان ، ومن ثم « واهجرني ملياً » أيدت تلك اللمحة فأعذرت ابراهيم في وعد الاستغفار وتحقيقه ! .

ثم الإنسان ولي لمن والاه في الاخرى كما الاولى ولله الآخرة والاولى .

وهذه الدعوة اللطيفة الحفيفة بقاطع البرهان وأرق الالفاظ وأدقها لم تكن لتصل الى قلب خاوٍ هاوٍ فاذا بآزر في عربدة نكراء وطنطنة غوغاء .

﴿ قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني ملياً ﴾(٤٦) .

فلم يكن لولي الشيطان جواب إلا سؤال التنديد الشديد : « أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم » ؟ رغبة عما أعبده وأنا ابوك وهي آلهتي « لئن لم تنته » عن هذه الرغبة المعارضة « لأرجمنك » اذ كان الرجم شر عذاب : « ولولا رهطك لرجمناك » (١١ : ٩١) « لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم فاعذاب اليم » (٣٦ : ١٨) « واهجرني ملياً » فاعزب عن محاورتي واغرب عن مواجهتي طويلاً ! فالتملي بشيء هو التمتع به بملاوة من دهر ، وهناك

شعّ له الرجاء بعد الخوف والعناء كأن أباه يتمهل بالهجر الملي ان يفكر ملياً علّه يخرج عن غيّه، وذلك تمهّلٌ وشك مقدس ام الى قداسة ولذلك يسلم عليه إبراهيم ويعده الاستغفار اذ:

﴿ قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفياً﴾(٤٧).

هنالك يسلم عليه ويعده الاستغفار ولما ، ولماذا السلام على المشرك ووعد الإستغفار ؟ و«ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشريكن ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم » !ـ

الجواب ـ « وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين أنه عدو لله تبرء منه . . » (٩ : ١١٣) « فلما تبين » هنا تبين أنه استغفر له قبل التَبَيُّن فـ « عن موعدة وعدها إياه » لا تعني إلا موعدة آزر لابراهيم حيث ترجى فيها هداه ، فلم يتبيّن له أنه عدو لله رغم ما تقدم من عداه ، ولا مجال لتفهم هذه الموعدة في القرآن إلا « واهجرني ملياً » فلو انه كان مصراً في عداه لكان يرجمه او يلزمه كيلا ينشر دعوته ضد الآلهة ، اذاً « واهجرني ملياً » تمتعاً بملاوة من الدهر ، يرجيه بموعدة التفكير ملياً علّه يهتدي ، ام يقول كلمته الاخيرة بعد ملئ التفكير، لذلك يسلم عليه إخباراً أنه سوف لا يرى منه سوءً ، ودعاءً ان الله يوفقه في هجره الملي لهداه ، ثم يعده الإستغفار موعدة عن موعدة فاستغفر له بعد ملي لم ير منه ما كان يسمعه ويراه من عداه : « واغفر لأبي إنه كان من الضالين » (٢٦ : ٨٦) فـ « كان » هنا تضرب الى ماضي حاله ، وأما حاله ومنذ موعدته « واهجرني ملياً » فلم تتبين له أنها استمرارية ضلاله ، ولذلك يستغفر له « فلما تبين أنه عدو لله تبرء منه » فلم يعد يستغفر لأبيه وإن استغفر لوالديه في نهاية أمره وخاتمة عمره عند بناءالبيت ، « ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب » (١٤ : ٤١) فلو أن والده ابوه لأصبح كلام الله « تبرء منه» كذباً ، واصبح ابراهيم رسول الله عاصياً اذ « لم يتبرء منه » !

اذاً فابوه ـ هنا ـ لم يكن والده ، ولم يستغفر لابيه إلا عن موعدة لم يتبين فيها أنه عدو لله فساحته اذاً براء عن الاستغفار للمشرك على تبين عداه ، فانما لا يجوز الاستغفار لمن تبين انه عدو لله فهو من اصحاب الجحيم ، دون المشكوك هداه وعداه .

اذاً فالاستغفار جائز لمن يجوز له ان يُغفر وان كانت حالته الحاضرة كافرةً لا تُغفر اذ يجوز تحوله في مستقبل قبل ان يأخذه الاجل فيجوز له ان يغفر . واما الذي تبين أنه من اصحاب الجحيم ، اذ مات مشركاً فلا يستغفر له ، لأنه تحميل على الله ما ليس ليقبله او هزء به !.

« سأستغفر لك ربي» اذ وعدتني في هجري الملي خيراً ولـ « انه كان بي حفياً » : براً لطيفاً، فالحفاوة الربانية تقتضي غفرك بما أستغفر لك ، وهي لا تقتضي غفراً لأصحاب الجيم !.

فقد كان ابراهيم معذوراً في استغفاره لأبيه خطأً في موضوعه لا في حكمه وموضعه ، فلم تكن الأسوة الحسنة فيه تشمل خطأه : « قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه . . إلا قول إبراهيم لابيه لاستغفرن لك . . » (٦٠: ٤) .

وترى السلام على المشرك هل يجوز حال شركه مهما جاز الاستغفار له قبل أن يتبين كونه من اصحاب الجحيم ؟.

« سلام عليك » قد يعني الاخبار أن لا يصلك مني إلا سلام عدل ام فضل دونما ظلم ولا نقير، وهكذا سلام واجب كل مؤمن وجاه الآخرين أياً كانوا ، مقالاً وحالاً وأفعالاً .

وقد يعني الدعاء ان يسلمك الله وينزل عليك رحمته السلام ، وهذا لا يحق إلا لمن يستحق سلاماً من الله من مسلم لله أمن هو في سبيل الإسلام او

مشكوكة حاله « والسلام على من اتبع الهدى » (٢٠ : ٤٧) واما المقطوع انقطاعه عن الله ، الشريد عن الله ، والطريد عن رحمة الله ، فلا يستحق سلاماً كما الاستغفار .

وكما جاز وعد الإستغفار لأبيه اذ لم يتبين له أنه عدو لله ، كذلك السلام ولا سيما في مواجهة الدعوة الى الله ، حيث تجلب المدعو بحنانه الى الله ، وحتى إذا تبين أنه عدو لله ، فسلام عليك بمعنى الاخبار لا محظور فيه ! « وقيله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون . فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون » (٤٣ : ٨٩) « سلام عليكم لا نبغي الجاهلين » (٢٨ : ٥٥) « واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً » (٢٥ : ٦٣) .

اذا فسلام الاخبار عام لا محظور فيه ، وسلام الدعاء يخص غير من تبين انه من أصحاب الجحيم ، كدعاءالهداية والاستغفار ، مهما كان في حاضره من الكفار .

والقول ان جواز السلام على الكفار لعله شرعة ابراهيمية ليست في الإسلام كما وعديد من الاحاديث تمنعه ، جوابه انه لم ينسخه القرآن . بل وايده : « وقل سلام ـ سلام عليكم ـ قالوا سلاماً » وهذه الاحاديث مطروحة بمخالفة القرآن ، او مؤولة الى سلام الدعاء ، المحظور على من تبين انه من اصحاب الجحيم ، دون سلام الإخبار ، والسلام ! .

﴿ وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى ألاّ أكون بدعاء ربي شقياً ﴾(٤٨) .

وترى كيف يعتزل صاحب الدعوة الرسالية مرسلاً إليهم ويدعو ربه بعيداً عنهم ؟ إنه اعتزال عنهم وما يدعون من دون الله ! فاذ يهدده المرسل اليه « لأرجمنك » وفي إمكانيته رجمه ، ثم يطلب اليه هجره ملياً في لمحة إمهاله علّه

يفكر ويرجع عن غيه ، وإلاّ فليعش في جوّ الإشراك بالله دونما فائدة إلا ظلامة القرب من الاوثان، فالاعتزال اذاً واجب أوراجح ذو أبعاد ثلاثة ، وفيه « ادعو ربي » وعله يخفف عن وطأة الشرك في أبيه أو يهديه « عسى ألاّ اكون بدعاء ربي شقياً » هجر ملي ودعاء غير شقي ورب حفي وهنالك تتم وهبة الرحمة الربانية بلسان صدق علي فـ « رحم الله عبداً طلب من الله عز وجل حاجة فألح في الدعاء استجيب له اولم يستجب . . »[1] .

﴿فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلاً جعلنا نبياً[٤٩] ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق علياً[٥٠]﴾ .

اترى إن اسحاق هو بكر مواليد إبراهيم فيفرد بذكره هنا ؟ ام هو اسماعيل كما يتقدم عليه فيما يذكران[2] ؟ بكره هو إسماعيل لتقدمه حيث يذكران ، وقد يفرد بذكر اسحاق حيث المقام مقامه والانبياء الإسرائيليين[3] وهنا كامثاله يقتصر على ذكره حيث الهدف ذكر توالي النبوة في الشجرة الإسرائيلية ولذلك يعقبه بيعقوب ابنه دون اسماعيل اخيه ، كما قد يذكر اسماعيل وحده دون اسحاق (عليه السلام)[4] حيث المقام يخصه دونه ، وحين

---

(١) نور الثقلين ٣ : ٣٣٩ ح ٨٦ في اصول الكافي عن ابن قداح عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : . . . وتلا هذه الآية .

(٢) « الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق » (١٤ : ٣٩) « ام تقولون ان ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط كانوا هوداً او نصارى » (٢ : ١٤) و٣ : ٨٤ و٤ : ١٦٣ و٢ : ١٣٣ و١٣٦ .

(٣) « كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم واسحاق » (١٢ : ٦) «واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحاق ويعقوب » (١٢ : ٣٨) ولا مجال هنا لذكر اسماعيل اذ ليس ابا يوسف وانما عمه .

(٤) « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل » ٢ : ١٢٧) « واذكر في الكتاب =

يجتمعان يتقدمه اسماعيل دونما استثناء ! وفي التوراة تصديق ان اسماعيل بكر ولده[١].

« وكلاً » من إسحاق ويعقوب « جعلنا نبياً » رسولاً رفيع المنزلة بين الرسل « ووهبنا لهم » ابراهيم واسحاق ويعقوب « من رحمتنا » من طيبة الولادة والعلم والعمل الصالح ، رحمات متصلة بهم ومنفصلة عنهم ، ومن الثانية « وجعلنا لهم لسان صدق علياً » وهو إجابة لدعوته : « واجعل لي لسان صدق في الآخرين » (٢٦ : ٨٤) وما الآخرون في البيئة الرسالية الصادقة إلا محمد وعترته المعصومون (عليهم السلام) فهم إذا لسان صدقه العلي !

هنا وان لم يذكر اسماعيل (عليه السلام) إذ لم يكن المقام محله ، فقد ذكر عالياً في لمحة « وجعلنا لهم لسان صدق علياً» حيث الآخرون هم من نسل إسماعيل وهم لسان صدق لهم عليٌّ ينطق بالرسالة الصادقة والولاية الفائقة ما لم يسبق له مثيل .

ولسان صدق من اضافة اللسان الى أفضل حالاته وأشرف متصرفاته ، وعلّ اللسان هنا لسانان : لسانهم الرسالي لأممهم ، المبشر بلسان صدق في الآخرين كما بشروا في كتاباتهم بالرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ـ ولسان آخر منفصل عنهم يصدقهم فيما أرسلوا وبَشروا وهو محمد خاتم النبيين ، لولا لسانه الصدق عنهم ، المصدِّق لهم لما صدقنا رسالاتهم « ما كان محمد أبا احد

=اسماعيل انه كان صادق الوعد » (١٩ : ٥٤) « واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار » (٣٨ : ٤٨) « واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين » (٢١ : ٨٥).

(١) تكوين المخلوقات الاصحاح ١٦ ـ الآيات ١ ـ ٦ ومنها قول سارة زوجته « ادخل على جاريتي لعلي ارزق منها بنين[٢].

من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » (٣٣: ٤٠) والخاتَم هو المصدق آخر الكتاب ، ومحمد يختم كتاب الرسالات ختاماً وتصديقاً « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه . . » (٣: ٨١) .

فهم ـ ابراهيم ـ اسحاق ـ يعقوب ـ لسان صدق علي ، ولهم في الآخرين لسان صدق علي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي وعترتهما المعصومون وهم أعلى! فاين نبيٌّ من نبي وولي من ولي وعلي من علي ؟ .

وقد يعني « ووهبنا لهم من رحمتنا » ـ في أهم ما يعنيه ـ أهل بيت الرسالة المحمدية ، كما وأنهم لسان صدقٍ علي[1] « ولسان الصدق للمرء يجعله الله في الناس خير من المال يأكله ويورثه »[2] او « يورثه من لا يحمده »[3] ! .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

---

(١) نور الثقلين ٣ : ٣٣٩ في تفسير القمي « ووهبنا لهم من رحمتنا » يعني لابراهيم واسحاق ويعقوب « من رحمتنا »: رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) « وجعلنا لهم لسان صدق عليا » يعني امير المؤمنين . حدثني بذلك ابي عن الحسن بن علي العسكري (عليه السلام) .

اقول : يعني امير المؤمنين تفسير بمصداق مختلف فيه ليلحق بالمصداق المتفق عليه وهو الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) .

(٢) المصدر ح ٨٨ في اصول الكافي عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال قال امير المؤمنين (عليه السلام) .

(٣) في نهج البلاغة قال (عليه السلام) : ان اللسان الصالح يجعله الله للمرء في الناس خير له من المال يورثه من لا يحمده .

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ
مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَادَيْنَاهُ
مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن
رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ
إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ
أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾
وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾
وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾

﴿ واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً وكان رسولاً نبياً ﴾[٥١]

المخلص ـ فتحاً ـ هو الذي أخلصه الله بعدما أخلص هو نفسه فاصبح مخلصاً لله ، عصمة إلهية تجعل العصمة البشرية بالغة المدى لحد ينتجب لرسالة ونبوة إلهية ، و « رسولاً نبياً » مر بيانه وسطع برهانه .

«وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجياً» [٥٢].

« الايمن » هنا كما في « واعدناكم جانب الطور الايمن » (٢٠ : ٨٠) صفة تفضيل لجانب ، يعني الجانب الايمن من الطور لا اليسار ولا اليمين ، وليس صفة للطور حيث الايمن في طه منصوب لا يناسب صفة للطور ، وانه لم

يوصف في ثمان اخرى[1] بالايمن ! ولان الوحي يمن ويمين فمنا داته جانب الايمن مكاناً كما هو الايمن مكانة ! افضل اليمن واليمين .

ثم و « من » تقرر منفذ الوحي اليه في كلام يسمع فليكن في مكان كما الموحى اليه في مكان ، مهما لم يكن للموحي المنادي مكان ولا زمان ، حيث يخلق الكلام كما يخلق سائر الخلق ، ولكنه كلام خارق سنة الكلام في لفظه ومعناه حيث هما من الله دون مكلِّم بشري أو ملائكي أمن ذا ؟

فكما الله خلق المسيح دون أب ، وخلق آدم دون ابوين ، كذلك الكلام الذي كلّم به كليمه خلقه دون لسان وشفه ومخرج صوت .

﴿ وقربناه نجياً ﴾ . .

« نجياً » حال من المقرَّب وحال من المتقرب وعلى أية حال يعني النجوى كما يعني النجاة : « فلما استيأسوا منه خلصوا نجياً » (١٢ : ٨٠) اللهم إلّا نجاة الله إذ لا يخاف حتى ينجو ، فقد قربه « نجياً » هو عمن يبعِّده او يشغله من اهله ، وعمن يتربص به دائرة السوء كآل فرعون ، ومن ثم « نجيا » في نجواه إليه وحياً ، ونجوى موسى الى ربه وقد يجمعهما « وما تلك بيمينك يا موسى . قال هي عصاي اتوكأ عليها واهش بها على غنمي ولي فيها مآرب اخرى » (٣٠ : ١٨) .

فـ « نجياً » هذا يجمع بين شرطي ذلك القرب ، سلباً في نجيِّ النجاة عمن سوى الله ، وايجاباً في نجي النجوى مع الله ، وقد يشير الى نجاته « فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى » ـ والى نجواه : « وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى » (٢٠ : ١٢) ! .

---

(١) هي ٢ : ٦٢ و٩٣ و٤ : ١٥٤ و٢٨ : ٢٩ و٤٦ و٥٢ : ١ ، وقد وصف مرة بسيناء ٢٣ : ٢٠ واخرى بسينين ٩٥ : ٢ .

وهل هناك نجيّ النجوى دون من اليه يوحى ؟ أجل وقد يكون اجل واجلى من بعض الرسل كأئمة الهدى[١] حيث النجوى تعم الوحي والإلهام بمراتبهما ، فوحي النبوة يخص الأنبياء ، وإذا ختم الوحي يختم النبوة فإلهام قد يكون أرقى من بعض الوحي كما كان يلهم الى أئمة الهدى !.

﴿ ووهبنا له من رحمتنا اخاه هارون نبياً ﴾[٥٣].

هارون ! يا له من وهبة رحيمية ربانية لبلاغ الرسالة الموسوية « نبياً » : رسولاً رفيع المنزلة هبة باستدعائه واستعداده « واجعل لي وزيراً من أهلي .

---

(١) نور الثقلين ٣ : ٣٤٠ ج ٩٢ في بصائر الدرجات عن محمد بن مسلم قال قلت لابي عبد الله (عليه السلام) ان سلمة بن كهيل يروي في علي أشياءقال : ما هي ؟ قلت : حدثني ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كانمحاضر أهل الطائف وانه خلى بعلي يوماً فقال رجل من اصحابه : عجباً لما نحن فيه من الشدة وانه يناجي هذا الغلام مثل اليوم ؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ما انا بمناج له انما يناجي ربه فقال ابو عبد الله (عليه السلام) : هذه اشياء يعرف بعضها من بعض اقول : يعني (عليه السلام) ان هذه النجوى تعم أئمة الهدى (عليهم السلام) وفيه ح ٩٤ باسناده الى ابي رافع قال : لما دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً (عليه السلام) يوم خيبر فتفل في عينيه ثم قال له : اذا انت فتحتها فقف بين الناس فان الله امرني بذلك قال ابو رافع فمضى علي (عليه السلام) وانا معه فلما اصبح بخيبر وقف بين الناس واطال الوقوف فقال الناس : ان علياً يناجي ربه ، فلما مكث امر بانتهاب المدينة التي افتتحها قال ابو رافع فأتيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقلت : ان علياً وقف بين الناس كما امرته فقال قوم : الله ناجاه ؟ فقال : نعم يا ابا رافع ، ان الله ناجاه يوم الطائف ويوم عقبة تبوك ويوم خيبر .

وفي رواية علي بن اعين عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) في قصة الطائف . . فسمعنا صرير الرحا فقيل ما هذا يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ! قال : ان الله يناجي علياً اقول واذا يناجيه في حياة الرسول فياحرى ان يناجيه بعد وفاته وهو وحده الرابط بينه وبين خلقه بالهامات متواصلة .

هارون أخي .. قال قد أوتيت سؤلك يا موسى » (٢٠ : ٣٦)!.

﴿ واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً ﴾[٥٤].

لم يذكر اسماعيل في (١٢) موضعاً يذكر في القرآن ، بمشروح احواله إلا هنا ، إلا شذراً أنه « من الصابرين » (٢١ : ٨٥) « الاخيار » (٣٨ : ٤٨) « وكلاً فضلنا على العالمين » (٦ : ٨٦) .

فمن صبره وخيره « قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين »(٣٧ : ١٠٢) كما وهو من صدق وعده ربه ومن ثم مع الخلق[١] ، وحقيق له صدقه في صبره ، وصبره في صدقه « وكان رسولاً نبياً »[٢] .

فاسماعيل هذا هو ابن ابراهيم (عليه السلام) جد الرسول محمد

---

(١) نور الثقلين ٣ : ٣٤٢ ح ٩٩ ـ اصول الكافي عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال : انما سمي اسماعيل صادق الوعد لانه وعد رجلاً في مكان فانتظره سنة فسماه الله عز وجل صادق الوعد ثم ان الرجل اتاه بعد ذلك فقال له اسماعيل : ما زلت منتظراً لك ! ورواه مثله في العيون عن ابي الحسن الرضا (عليه السلام) .

اقول : هذا الحديث في ان اسماعيل هو ابن ابراهيم ظاهره كظاهر القرآن ، واما انتظاره سنة فبعيد عن كافة الموازين حيث الوعد لا يتجاوز ساعات او يوماً بكامله ، وزائد الانتظار زائد في كل الموازين ، ولا سيما لرسول نبي يترك دعوة الرسالة فيثبت في مكان الوعد سنة دونما جدوى حتى لمن لا شغل له .

(٢) الدر المنثور ٤ : ٢٧٣ ـ اخرج مسلم عن واثلة ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل كنانة ـ اقول : كنانة من اجداد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

(صلى الله عليه وآله وسلم) لا سواه وكما في سائر الاثني عشر موضعاً ، فلو كان غيره لم يتفضل عليه بهذه الفضيلة ولقرنت به قرينة تميزه عن اسماعيل في سائر القرآن[١]! .

﴿ وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً﴾[٥٥].

في مواصفات اسماعيل رسالة النبوة هي في القمة ، وصدق الوعد والأمر باقام الصلاة وايتاء الزكاة هي من اهم فروعها الرسالية ، « وكان عند ربه مرضياً » تكريس لحالاته كلها ، في نفسه وأهله ومن أرسل اليهم والناس اجمعين ، كان في هذه كلها عند ربه مرضياً ، وهي قمة المقامات عند الله مهما كانت لها درجات.

﴿واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقاً نبياً[٥٦] ورفعناه مكاناً علياً ﴾[٥٧] .

لم يذكر إدريس في سائر القرآن الا هنا وفي الانبياء : « واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين » (٨٥) فله مواصفات اربع : صديق نبي من الصابرين ومرفوع الى مكان علي .

تعرّفنا من ذي قبل الى « صديق نبي » لإبراهيم ، وان كان بينه وبين ادريس بون حيث الصديق النبي درجات ، ولكنه قبل نوح يحتل المكانة العليا بين المرسلين[٢] فلم يذكر بالنبوة أحد بين آدم ونوح وحتى آدم نفسه ، اذاً

---

(١) نور الثقلين ٣ : ٣٤٢ ح ١٠١ في كتاب علل الشرايع في باب العلة التي من اجلها سمي اسماعيل بن حزقيل صادق الوعد عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال : ان اسماعيل الذي قال الله عز وجل في كتابه « واذكر في الكتاب اسماعيل . .» لم يكن اسماعيل بن ابراهيم بل كان نبياً من الانبياء بعثه الله عز وجل الى قومه فاخذوه فسلخوا فروة رأسه ووجهه . . » اقول وهو لا يناسب ظاهر القرآن . .

(٢) الدر المنثور ٤ : ٢٧٤ ـ اخرج ابن المنذر عن عمر مولى غفرة يرفع الحديث الى =

فادريس افضل من آدم ومَن بعده الى نوح .

ثم « ورفعناه مكاناً علياً » دليل معراجه (عليه السلام) لمكان « مكاناً » دون مكانة ، وقد عُرِفَت مكانته بـ « صديقاً نبياً » وقد يروى عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) انه السماء الرابعة[1] رفع اليها كما رفع عيسى (عليه السلام) ويروى أنه كان خياطاً[2] .

واذ يرفع ادريس مكاناً علياً فقد رفع محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) مكاناً اعلى الى سدرة المنتهى ، ومكانة أغلى « ثم دنى فتدلى . فكان قاب

= النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : ان ادريس كان نبياً تقياً زكياً وكان يقسم دهره على نصفين : ثلاثة ايام يعلم الناس الخير واربعة ايام يسيح في الارض ويعبد الله مجتهداً وكان يصعد من عمله وحده الى السماء من الخير مثل ما يصعد من جميع اعمال بني آدم . . » وتتمة الحديث طويلة وكما هنا احاديث اخرى فيها ما لا يناسب ساحة النبوة الصديقة .

(١) المصدر اخرج ابن مردويه عن ابي سعيد الخدري عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ورفعناه مكاناً علياً قال : في السماء الرابعة وعن انس بن مالك عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) مثله وفي نور الثقلين ٣ : ٣٤٩ ح ١٠٨ عن علل الشرايع باسناده الى عبد الله بن يزيد بن سلام انه قال لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد سأله عن الايام : فالخميس ؟ قال : هو يوم خامس من الدنيا وهو يوم انيس لعن فيه ابليس ورفع فيه ادريس ، وفيه عن تفسير القمي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في معراجه : ثم صعدنا الى السماء الرابعة واذا فيها رجل فقلت من هذا يا جبرئيل ؟ فقال : ادريس رفعه الله مكاناً علياً فسلمت عليه وسلم عليّ واستغفرت له واستغفر لي .

(٢) نور الثقلين ح ١١٠ عن الكافي عن عبد الله بن ابان عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال في حديث طويل يذكر فيه مسجد السهلة : اما علمت انه موضع بيت ادريس النبي (عليه السلام) الذي كان يخيط فيه ؟ .

قوسين او أدنى » وكما رفع ذكره في الملاء الأعلى : « ورفعنا لك ذكرك » وكما يذكر ادريس الصديق في كتابه بلغته السريانية هذه المكانة العليا لأهل بيت الرسالة المحمدية (صلى الله عليه وآله وسلم) :

يقول بعد عرض عريض في حوار بين آدم وبنيه حول «من هو افضل الخليقة» فاذا انا «آدم» بأشباح خمسة باهرة في العرش في غاية العظمة والجلال والحسن والضياء والبهاء والجمال والكمال حيث حيرتني أنوارهم فقلت رب! من هؤلاء؟ فاوحى الي أنهم أشرف خلقي والوسطاء بيني وبينهم : .

﴿ إني لَهُوْ يَوْه أنا لِبْرين وارَخْ لا الشُّماى ولا أنْ اَرْعا ولا البِردِس ولا الكَيْهَن ولا الشُّمس وَلا السُّعر ـ : ﴾

« لولاهم لما خلقتك » يا آدم « ولا السماء ولا الأرض ولا الجنة ولا النار ولا الشمس ولا القمر »

قلت « آدم »: ما هي اسماء هؤلاء الاكارم ؟ قال: انظر الى العرش ترى : ـ

« يا رَقليطا » (محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) « ايليا » : علي (عليه السلام) «طيطه» : فاطمة (عليها السلام) « شِبرٌ » : حسن ـ « شبّيرْ » : حسين ـ .

﴿ هَلِيْلوه لِتْ اَلَهَ شُوقْ مِنِّي محمّدإنْوِي ذِاَلَهَ » ـ : « هلّلوني فانه لا إله إلا أنا ومحمد رسولي »[1].

---

(١) طبع كتاب ادريس (عليه السلام) باللغة السريانية في لندن ١٨٩٥ وهذه البشارة في ص ٥١٤ ـ ٥١٥ منه ينقله المغفور له ملا محمد صادق جديد الاسلام في كتابه انيس الاعلام ـ وقد فصلناه في كتابنا « رسول الاسلام في الكتب السماوية ص ١٣١ (عربية) وفي كتابنا « بشارات عهدين » باللغة الفارسية ص ٢٢٩ .

أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ
عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ
وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ
إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ ۩
* فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟
ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ
وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ
شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ
إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ
وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى
نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا
بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ
وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ

وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ
سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ
حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ
وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ
لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ
شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ
بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ
عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ
ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾

﴿ اولئك الذك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرّية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً ﴾(٥٨).

كما النعمة الربانية درجات كذلك المنعم بها عليهم درجات أفضلهم النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء ثم الصالحون : «ومن يطع الله والرسول

فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً » (٤ : ٦٩) .

وقد تلمح « من ذرية آدم » دون « آدم ومن ذريته » إلى أنه ما كان من النبيين مهما كان من المرسلين أمن ذا؟ . والذين انعم الله عليهم ـ على درجاتهم ـ هم الذين نستهدي في صلواتنا صراطهم « إهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين انعمت عليهم » ونحن أيضاً درجات كما هم درجات ، فلا تستهدي كل درجة إلاّ صراط من فوقها دون من يساويها او أدنى ، وكما الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو على قمة الصراط لا يستهدي في صلاته إلاّ أفضل من المنعم عليهم أجمع فانه إمامهم أجمع !

والنبيون المذكورون هنا هم : زكريا ويحيى وعيسى وابراهيم ، واسحاق ويعقوب وموسى وهارون وإسماعيل وإدريس ، عشرة من المذكورين في سائر القرآن وسواهم ، ومريم المذكورة معهم من الصديقين و « أمه صديقة » (٥ : ٧٥) وقد تشملها « ممن هدينا واجتبينا » .

وترى مَن « النبيين من ذرية آدم » اما كانت تشمل كافة صفحات النبوة في تاريخ البشرية ؟ فما هي الحاجة الى « وممن ـ ومِن ـ وممن . . » ؟ .

قد تعني هذه الثلاث الثلاثة الباقية من المنعم عليهم وسائر النبيين فـ « ممن هدينا واجتبينا » تعم الصديقين والنبيين غير المذكورين هنا ، وأئمتنا المعصومون (عليهم السلام) كما فاطمة صديقة ومريم صديقة . فـ « من

---

(١) نور الثقلين ٣ : ٣٥١ ح ١١٤ في كتاب المناقب في مناقب زين العابدين (عليه السلام) قال (عليه السلام) : في قوله تعالى : « وممن هدينا واجتبينا » نحن عنينا بها .

النبيين من ذرية آدم » و « ممن هدينا واجتبينا » تعمان كل نبي وكل صديق في تاريخ الرسالات الإلهية ثم « وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل» تشمل كل شهيد وصالح.

إذ ليس « ممن حملنا مع نوح » نبي أم ولا صديق إلّا في ذريته وذريتهم، والنص « ممن حملنا » لا « من ذرية من حملنا » حتى تعني النبيين من هذه الذرية ، ثم ولا تختص النبوة بذرية إبراهيم وإسرائيل حتى تعني النبيين من هذه الذرية .

إذاً فـ « مِن » الأولى بيانية وسائر الأربع تبعيضية ، تحمل الخَمسُ المنعَم عليهم الاربعةَ « من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين » .

وفي تقسيم أبعاض الآية الى المذكورين تكلف ظاهرٌ : أن « من النبيين من ذرية آدم » هو إدريس وحقه اذاً « من نبي من ذرية آدم » ! ثم « وممن حملنا مع نوح » « إنه إبراهيم إذ هو من ذرية من حمل مع نوح، وحقه اذاً « ومن ذرية نوح او من ذرية من حملنا مع نوح » ! ثم « ومن ذرية ابراهيم واسرائيل » ان « من ابراهيم » : « اسماعيل واسحاق » ومن اسرائيل « زكريا ويحيى وعيسى وموسى وهارون ! وحقه اذاً « من ذرية ابراهيم » حيث تعم كافة النبيين من فرعيه : اسماعيل واسرائيل دون اختصاص بالمذكورين.

وقد يكون في « من حملنا مع نوح » صديق كما فيهم صالح وشهيد ، ولكنما « وممن هدينا واجتبينا » يعم مع النبيين غير المذكورين هنا كل صديق وصالح وشهيد ، كما « من النبيين من ذرية آدم » تعم كافة النبيين في صفحات النبوات ! .

ومواصفة لهم ثانية شاملة للاربع : « اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبُكياً» فانهم المنعم عليه بنعمة الهداية والعبادة القمة ، لا تخالجهم

غواية في أية حِلّة وترحالة ، سجّداً للرحمن وبكياً في كل حالة ومقالة وفعالة ، فعّل الخُرور سجداً وبكيّاً هو كمال الخضوع والخشوع أمام آيات الرحمن حين تتلى عليهم ، من وهي آيات الوحي المتلوة عليهم بشؤون الربوبية والعبودية والرسالة والنبوة ، سواءً أكان التالي هو الرحمٰن ام وسيطٌ في الوحي وحياً امّاذا من تلاوة حسب درجات المنعم عليهم ، من النبيين الى الصالحين ، حيث الآيات تأخذ بازمة قلوبهم فيخرون بكياً ومن ثم بقوالبهم فيخرون سجداً .

وإذا كانت السجدة والبكاء للرحمن فلماذا هي « إذا تتلى عليهم آيات الرحمن » ولا يختص مقام الرحمٰن بما تُتلى ؟ إنه مزيد الايمان والإنجذاب إلى الرحمٰن حين يكلم المنعم عليهم « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون » (٨ : ٢) و « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون » (٥٩ : ٢١) .

ثم للسجود والبكاء حين تتلى آيات الرحمٰن درجات أدناها الإستماع اليها والإنصات لها « واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون» (٧ : ٢٠٤) فانهما من السجود الخضوع دون تمامه، وهما لـزامٌ لأصل الايمان وأدناه : « وما لهم لا يؤمنون ، واذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون » (٨٤ : ٢١) مهما كان كمال السجود والبكاء لزام كمال الايمان وأعلاه «إذا تليت . . . خروا سجداً وبكيا »

فكما يجب ان يكون المؤمن بالله ساجداً لله خاضعاً له في احواله كلها ، كذلك السجود لآيات الله ولا سيما حين تتلى ، فترك الإستماع إليها والاصغاء لها نابع من عدم الايمان !

ولماذا « آيات الرحمٰن » دون « الله » او « الرحيم » لان العناية المناسبة

لمطلق السجود والبكاء تقتضي الرحمة العامة بما فيها بشارة الثواب ونذارة العقاب ، فالسجود نتيجة البشارة والبكاء نتيجة النذارة مهما عمهما السجود والبكاء في توسُّع يليق بالمنعم عليهم .

وكما السجود في وجه عام يشمل أدناه إلى أعلاه كذلك البكاء تشمل التباكى وحالة البكاء كما تشمل أعلى البكاء ، درجات حسب الدرجات .

﴿ فخلف من بعدهم خلْف اضاعوا الصلوٰة واتبعوا الشهوات فسوف يَلقون غياً ﴾(٥٩)

« فخلف » هؤلاء المنعم عليهم « خلف »(١) خالفوهم فيما هم وتخلفوا عما هم حيث « أضاعوا الصلاة وابتعوا الشهوات فسوف يلَقون غياً » كما خلَف من بعدهم خَلَفٌ أقاموا الصلاة وتركوا الشهوات فسوف يلقون ريّاً .

لكل صاحب دعوة إلٰهية خلْفٌ وخَلَف ، وطبيعة الدعوة وصنيعتها تقتضى الخلَف دون الخلْف ، وخلْف الدعوة الصارمة والتخلف عنها لزامه مضاعفة الغي والعذاب ، كما ان خَلَفها والاستمرار فيها لزامه مضاعفة الري والثواب !

فلان آيات الرحمن منها مبشرة لمن يعبد الرحمن وقمتها الصلاة ، وأخرى منذرة لمن يتركها اتباعاً للشهوات ، فهولاء الخلف طول الرسالات والدعوات الإلٰهية أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، نقطة مضادة لأسلافهم المنعم عليهم « اذا تليت عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكيّاً »!

---

(١) الخلْف بالسكون البدل السيء وبالفتح ضده وقد يعكس على ندرة والاصل هو الاول .

واضاعة الصلاة لا تعني فقط فيما تعني ترك الصلاة[1] فان إضاعة شيء ليست إلاّ بعد تكوُّن هذا الشيء ، فالذي يعزل فلا يولد له ليس مضيعاً للولد ، إنما هو الذي انعقدت نطفته فأضاعها منذ انعقادها الى الولادة إلى الموت عن المصالح المتوجهة إليه لولده .

فاضاعة الصلاة هي إتيانها دون إقامة لها على وجهها الواجب واللائق ، في اوقاتها وشروطها واجزائها ونياتها ، وعلى الجملة في قلبها وقالبها فهم ليسوا بمقيمي الصلاة ، وإنما يأتونها : « ولا يأتون الصلاة إلاّ وهم كسالى » (٩ : ٥٤) ، او يقومون إليها : « وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الاّ قليلاً » (٤ : ١٣٢) ام هم سكارى : « لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » (٤ : ٤٣) ام ساهون عنها متساهلين فيها فهم بين تاركيها وفاعليها : « فويل للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون » (١٠٧ : ٥) غير معتنين بشأنها ، فلا يقيمونها كما يجب مهما أتوها وقاموا إليها ! .

وقد تربوا إضاعة الصلاة ـ غياً ـ عن تركها ، كما يربوا الشرك بالله ـ احياناً ـ على الإلحاد في الله ، فتارك الصلاة قد يتركها جهلاً بالله ام جهالة في الله ، ولكن الذي يصلي اضاعة لها ، هو هازئٌ متهتكٌ بالله رغم

---

(١) نور الثقلين ٣ : ٣٥١ ح ١١٦ عن المجمع عن ابي عبد الله (عليه السلام) اضاعوها بتأخيرها عن مواقيتها من غير ان تركوها أصلاً .
اقول : يعني لم يتركوا اصلها وفيه ١١٥ عن الكافي عن داود بن فرقد قال قلت لابي عبد الله (عليه السلام) قوله تعالى:ان الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً »قال : كتاباً ثابتاً وليس ان عجلت قليلاً او اخرت قليلاً بالذي يضرك ما لم تضيع تلك الاضاعة فان الله عز وجل يقول لقوم : « اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً».

تصديقه ، لذلك « فويلٌ للمصلين . . . » لا « التاركين لها » ! وان كان تركها قد يربوا اضاعتها كفراً وعصياناً ! .

وكما أن لاقامة الصلاة درجات أعلاها صلاة المقربين ، كذلك لتضييعها دركات اسفلها صلواة المبعدين الأسفلين وبينهما متوسطات ، فهناك صلاة هي في أحسن تقويم ، وأخرى في اسفل سافلين ، ثم متوسطات لحد الواجب ام دونه ام فوقه ، فما دون الواجب فيها تضييع لها وما فوقه اقامة للراجح فيها .

﴿ واتبعوا الشهوات ﴾

الشهوات قد تَتبع إنسانَ العقل الوحي فتصبح رحمات وكما يروى عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) « شيطاني أسلم بيدي » وقد يتبعها الإنسان خلاف العقل والوحي فتصبح حيونات ونقمات ، ويقول الله : « ان القلوب المعلقة بالشهوات عين محجوبة »[1] وقد يشير الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الى أخلاف من بعده وتلا هذه الآية « فخلف من بعدهم خلف » من بعد ستين سنة « اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقَون غياً » ثم يكون خلف يقرءُون القرآن لا يعدو تراقيهم ويقرء القرآن ثلاثة مؤمن ومنافق وفاجر »[2] .

---

(١) الدر المنثور ٤ : ٢٧٢ ـ اخرج ابن ابي حاتم عن ابن الاشعث قال : اوحى الله الى داود (عليه السلام) : ان القلوب . . .

(٢) المصدر اخرج احمد وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن حبان والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في شعب الايمان عن ابي سعيد الخدري سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتلا هذه الآية . .

اقول ولعله يعني ستين سنة من الهجرة حيث اعلن الفسق زمن يزيد بن معاوية وقتل الحسين (عليه السلام) .

وممن اتبع الشهوات «من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور»[1] ويجمعه «الدخول في الدنيا واتباع الهوى وشهوة البطن وشهوة الفرج»[2] وفوق الكلّ شهوة الرئاسة والعلو: «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً» (٢٨ : ٨٣).

فالشهوات هنا تعمها كلها وامُّها شهوة الرئاسة التي تضم سائر الشهوات وتجعل الديار بلاقع.

وذلك النفي والاثبات في اضاعة الصلوة واتباع اشهوات يلقي غياً وعياً: «فسوف يلقون غياً»: في الحياة الدنيا عما خلقت له وهُيأت، وفي البرزخ والقيامة عما قدره الله وقرره لعباده الصالحين، غيّاً في الحياة الدنيا يتمثل في نشآت ثلاث ولا سيما منذ الموت، حيث العمل السيء هو الجزاء بملكوته يوم يكشف عن ساق وتبلى السرائر: «لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد» و «هل تجزون إلّا ما كنتم تعملون» لقد عملتم غياً فسوف تلقون غياً، جزاءً في نفسه عذاباً وفاقاً! «ومن يفعل ذلك يلقَ اثاماً» (٢٥ : ٦٨):

= وفيه اخرج احمد والحاكم وصححه عن عقبة بن عامر سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: سيهلك من امتي اهل الكتاب واهل الدين قلت يا رسول الله ما اهل الكتاب؟ قال: قوم يتعلمون الكتاب يجادلون به الذين آمنوا فقلت ما اهل الدين؟ قال: قوم يتبعون الشهوات ويضيعون الصلوات..

(١) نور الثقلين ٣ : ٣٥١ ح ١١٧ في جوامع الجامع «واتبعوا الشهوات» رووا عن علي (عليه السلام) من بني.

(٢) المصدر في كتاب الخصال عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): من سلم من امتي من اربع خصال فله الجنة: الدخول...

﴿ إلاّ من تاب وآمن وعمل صالحاً فاولئك يدخلون الجنة ولا يُظلمون شيئاً ﴾(٦٠).

« إلاّ من تاب » عن إضاعة الصلاة واتباع الشهوات ـ الى الله « وآمن » بالله بعدما كفر عملياً كالمؤمن المضيع ، ام وعقيدياً كالمضيع الناكر « وعمل صالحاً » يجبر ما ضيع ، فلا تكفي التوبة دون ايمان ولا ايمان الاّ بصالح العمل فيصبح مؤمناً صالحاً « فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً » إذ تُوفّى هناك أجورهم، دون ان يُنقص منها شيء لماضي تضييعهم ، فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له .

﴿ جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده مأتياً ﴾(٦١).

« عدن » هو الإستقرار فـ « جنات عدن» هي جنات الآخرة حيث لا خروج عنها وانما خلود استقرار ، وتقابلها الجنات البرزخية غير المستقرة حيث تفنى بفناء الدنيا فيخرج الداخل فيها الى المحشر ثم الى جنات عدن ، فهذه تبتدء بفناء السماوات والأرض ، وتلك تنتهي بفناءهما « واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والارض إلاّ ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ » (١١ : ١٠٨) والفترة بين الجنتين لا تعتبر جذّاً لعطاء فانها قلة لا يحسب لها حساب ، فانتقالة الى عطاء اوفى !

« وعد الرحمن عباده بالغيب » وعدهم وهو بالغيب كما وهي بالغيب ، والوعد كذلك بغيب الوحي ، مثلث الغيب في وعد الرحمن « إنه كان وعده مأتياً » في الغيب ، وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ! . . . وترى ما هو مكانة « كان » واتيان وعده سوف يكون ؟ « إنه كان » في موضع تعليل ، فلـ « انه كان » منذ كان كائن ووعدٌ من الله لايّ كان « كان وعده مأتياً » دون تخلف في أعماق الماضي فليكن مأتياً في

المستقبل وهو أهون عليه.

﴿ لا يسمعون فيها لغواً إلّا سلاماً ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً ﴾(٦٢).

ليس فيها لغو حتى يسمعونه، إلّا سلاماً ، استثناء منقطع يجتث اي لغو فيها ويقطعه ويخص مسموعها بـ « سلاماً » « ويلقّون فيها تحيةً وسلاماً » (٢٥ : ٧٥) « لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً . إلّا قيلاً سلاماً سلاماً » (٥٦ : ٢٦) ولأن « تحيتهم يوم يلقونه سلام » (٣٣ : ٤٤) فـ « تحية » هنا سلام وليكن سلاماً » غير التحية من قول سلام ، ان المسموع فيها كله سلامٌ إخباراً ودعاءً امّاذا ، لا ألّا كلامَ فيها إلّا سلام ، فهم إذاً خرس عن أي كلام إلّا السلام ! وانما كلامهم لا يعد وكلاماً سلاماً من تحية أم اي سلام !

« ولهم رزقهم فيا بكرة وعشياً » وهل في جنات عدن بكرةٌ وعشي ؟ ولزامها شمس طالعة وغاربة ! والشمس مكوّرة عند قيام الساعة !

هذه الشمس تكور ثم تخلق شمس اخرى يستظل اهل الجنة بظلالها عنها : « أكلها دائم وظلها » (١٣ : ٣٥) ولا ظل إلّا عن ضوء و « لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً » (٧٦ : ١٣) فلتكن في الأخرة شمس وزمهرير لا يرونها ، كميزّة لأهل الجنة عن أهل النار ، فلو لم تكن هناك شمس ولا زمهرير. فاهل الجنة والنار على سواء في « لا يرون » !

واذا كانت هناك شمس فلتكن طالعة وغاربة وأهل الجنة لا يرونها فان « ظلها دائم » « ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً » كأصول الأوقات الصالحة للأكل وان كان فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين و « أكلها دائم » ياكلون متى شاءوا ولا سيما بكرة وعشياً ، او قد يعني : دوام الأكل كما يقال : أكُل الجنة صباح مساء ، يعني انها مستمرة في الاوقات كلها .

ودلالة آية الغدو والعشى وآية المقيل بقرنية قاطعة فيها على البرزخ[١] لا تقتضي دلالة آية البكرة والعشي عل ما دلتا ، وهي محفوفة بقرينة من قبل « عدن » ومن بعد « نورث » تدل على القيامة .

جنة البرزخ مؤقتة ما دامت الدنيا فليست عدناً ولا سيما للداخلين فيها قبيل الساعة ، ووراثة جنة عدن تعني البقاء فيها من بُعدين ، اذاً فهي جنة الآخرة ، و « لا يرون فيها شمساً » دليل وجود الشمس فيها مستورة ، «وبكرة وعشياً » دليل كونها طالعة غاربة ، اللهم إلّا أن يدل « أكلها دائم وظلها » على دوام النهار فليس فيها ـ اذاً ـ بكرة وعشي ، ولكنهما نص على شمس طالعة وغاربة ، فليقيد دوام ظلها باوقات النهار[٢] فالرواية المنسوبة الى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)[٣] تؤوّل ! أو يقال يكفي في كونها

---

(١) كقوله تعالى « وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب » (٤٠ : ٤٦) وقوله تعالى « اصحاب الجنة يومئذٍ خير مستقراً واحسن مقيلاً . ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلاً » (٢٥ : ٢٨).

(٢) فكما ان دوام الأكل لا يعني دوام الآكل وانما تهيء الأكل للاكل ، كذلك دوام الظل لا يعني الا الاشجار الملتفة التي تمنع من اصابة الشمس ، فقد يكون ظل غير دائم كالاظلال المؤقتة المتحركة كالشمسيات او السحاب او السقف الثابتة ولكنها ظل ما دمت تحتها ، ولكنها الاشجار الملتفة هي دائمة الظل .

(٣) الدر المنثور ٤ : ٢٧٨ ـ اخرج الحكيم الترمذي في نوادر الاصول من طريق أبان عن الحسن وابي قلابة قالا قال رجل يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ! . هل في الجنة من ليل ؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : وما هيجك على هذا ؟ قال : سمعت الله يذكر في الكتاب « ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً » فقلت : الليل من البكرة والعشي ! فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ليس هناك ليل وانما هو ضوء ونور يرد الغدو على الرواح والرماح على الغد وتأتيهم طرف الهدايا من الله لمواقيت =

عدناً مواصلة الجنتين لحد يعبر عنها بعطاءٍ غير مجذوذ في جنة البرزخ « وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلاّ ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ » (١١ : ١٠٨) ثم الغدو والعشي عليهما يختصان بالجنة البرزخية ، ثم لا غدو وعشياً في جنة الآخرة ، وانما شمس طالعة دون غروب « ظلها دائم » في دوام الطلوع !

ثم ورزق البكرة والعشي خير الرزق فـ « تغدَّ وتعش ولا تأكل بينهما شيئاً فان فيه فساد البدن »[1] .

﴿ تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً ﴾[٦٣]

هل هي ميراث من الله لأهل الله ؟ « ولله ميراث السماوات والأرض » ! ولا يموت أو ينعزل عن ملكه حتى يورث ! أم هي ميراث ممن أدخل النار إضافة الى ما يملكه أهل الجنة ؟ ولم يكن لأهل النار نصيب من الجنة ! .

إنه « ما من أحد إلا وله منزل في الجنة ومنزل في النار فالكافر يرث المؤمن منزله في النار والمؤمن يرث الكافر منزله في الجنة »[2] « وتلك الجنة

الصلوات التي كانوا يصلون فيها في الدنيا وتسلم عليهم الملائكة واخرج ابن ابي حاتم عن ابي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : ما من غداة من غدوات الجنة وكل الجنة غدوات الا انه يزف الى ولي الله تعالى فيها زوجه من الحور العين ادناهن التي خلقت من زعفران .

(١) نور الثقلين ٣ : ٣٥١ ح ١٢٠ في محاسن البرقي عن ابن اخي شهاب بن عبد ربه قال : شكوت الى ابي عبد الله (عليه السلام) ما القى من الاوجاع والتخم فقال : تغد . . اما سمعت قول الله عز وجل يقول : « لهم رزقهم فيها بكرة وعشياً » ورواه في كتاب طب الائمة عن محمد بن عبد الله العسقلاني عنه (عليه السلام) .

(٢) الدر المنثور ٦ : ٢٣ ـ اخرج ابن ابي حاتم وابن مردويه عن ابي هريرة ان رسول =

التي اورثتموها بما كنتم تعملون » (٤٣ : ٧٢) .

فقد كان منها منازل للذين اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ثم لم يتوبوا فاورثها الله من كان تقياً ، فليست الجنة ـ اذاً ـ وراثة النسب إذ تنقطع هنالك الأنساب وتتقطع الاسباب ، اللهم إلاّ سبب التقوى حيث يورث اهلها منازل اهل الطغوى الذين اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات !

﴿ وما نتنزل إلاّ بامر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسياً ﴾[٦٤] رب السماوات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سمياً ﴾[٦٥] .

هاتان الآيتان تلمحان أنهما معترضتان بين آي السورة ، ترى انهما من كلام الله ؟ وهو لا يتنزل ! وليس له رب ! ولا له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك ! ام من كلام أهل الجنة ؟ وليس دخلوها تنزلاً إليها فانه تصاعد وتعالٍ ، ولا يخرجون تنزلاً عنها ، ثم ولا يناسبهم بقية القول اذاً فهما من كلام ملائكة الوحي ام أولاهما ، كأن هناك سؤالاً ، لماذا ذلك التباطؤ في التنزل بالوحي ام قلّته[١] والجواب «وما نتنزل . .» والواو فيها

= الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : . . ـ ثم قال ـ : وذلك قوله : « وتلك الجنة » .

(١) وفيه اخرج ابن مردويه عن انس قال سئل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اي البقاع احب الى الله وايها ابغض الى الله ؟ قال : ما ادري حتى اسأل جبرئيل وكان قد ابطأ عليه فقال : لقد ابطأت عليّ حتى ظننت ان بربي علي موجدة فقال : وما نتنزل . .

واخرج عبد بن حميد وابن ابي حاتم عن عكرمة قال : ابطأ جبرئيل على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اربعين يوماً ثم نزل فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ما نزلت حتى اشتقت اليك فقال له جبرئيل انا كنت اليك اشوق ولكني مأمور فاوحى الله الى جبرئيل ان قل له : وما نتنزل الا بامر بك . . واخرج ابن ابي حاتم عن السدي قال : احتبس جبرئيل عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بمكة حتى حزن

لمحة إلى معطوف عليه محذوف كـ « ما تباطئنا من أنفسنا أم تقلّلنا ولاقليناك او نسيناك . . بل . . وما نتنزل إلّا بامر ربك . . » ليس تنزُّلنا بالوحي إلّا لتربيتك، فانت الأصل الرسولي ونحن الفروع الرسالي ، وهو يعلم كيف ومتى وبماذا ينزّلنا، فـ « ربك » لا « ربنا » ولا « رب العالمين » يُوصل ذلك الوحي إليه من الله حيث يربيه التربية القمة بذلك الوحي المجيد :

« وما نتنزل » بالوحي أماذا « إلّا بامر ربك » ليس لنا من الأمر شيء كما « ليس لك من الأمر شيء » وكياننا نحن وأنت وجاه ربك : « له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك » وهو يشمل الكون أجمع اياً كان وأيان ! ـ : فـ « ما بين ايدينا » ما نستقبله من زمان ومكان او كائن فيهما اياً كان « وما خلفنا » ما نستدبره كذلك ـ « وما بين ذلك » من انفسنا واياك ، وما نحمله من وحي مِن أو إلى ـ كل ذلك له لا لنا ولا لك ولا لسوانا ، ومما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك ما نتنزل به من وحي ، فليس استنزاله لك ولا التنزل به لنا « إلّا بامر ربك » كما وان القول « وما نتنزل . . » ايضاً ليس « إلّا بأمر ربك » فلسنا نحن إذاً مقصرين في تباطؤ الوحي عليك واحتباسه عنك .

= اشتد عليه فشكى ذلك الى خديجة فقالت خديجة لعل ربك ودعك وقلاك فنزل جبرئيل بهذه الآية « ما ودعك ربك وما قلى » قال يا جبرئيل احتبست عني حتى ساء ظني فقال جبرئيل : وما نتنزل الا بامر ربك . .

واخرج ابن جرير عن مجاهد قال لبث جبرئيل عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اثنتي عشرة ليلة فلما جاءه قال : لقد رثت حتى ظن المشركون كل ظن فنزلت الآية . .

وفيه اخرج احمد والبخاري ومسلم وعبد بن حميد والترمذي والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن مردوية والحاكم والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لجبرئيل (عليه السلام): ما يمنعك ان تزورنا اكثر مما تزورنا ؟ فنزلت الآية .

واما ربك فلا ينزّلنا بالوحي لأ بحكمة الربوبية « وما كان ربك نسياً » يودّعك نسياً او يقلاك تناسياً : « والضحى ، والليل اذا سجى . ما ودعك ربك وما قلى » !

فـ « ما نتنزل » نفى عنهم التقصير « وما كان ربك نسياً » نفاه عن الرب وعن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فلا بد من حكمة خفية في البين ، فلا هو نسيٌّ ينسىٰ مقصراً ، ولا أنه نسيٌّ يتناساك غضباً ، ويتمثل « ما كان نسياً » في « ما ودعك ربك وما قلى » حيث التوديع نسيان ، والقلىٰ تناس غضباً ، ولقد كان حقاً للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ان يستوحش من إبطاء الوحي لاشتياق نفسه للإتصال الحبيب بوحي الحبيب .

ثم و « رب السماوات والأرض وما بينهما » عبارة أخرى عن « له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك » وعلّه من كلام الله « فاعبده » تفريع لتوحيد العبودية على توحيد الربوبية « واصطبر لعبادته » أمر باستقامة العبادة ومنها تنزل الوحي عليه رسولياً ورسالياً ، فعليه الإصطبار مهما احتبس عنه لفترة قصيرة أم طويلة « هل تعلم له سمياً » من الاسم لـ « الرب » او « الله »[1] فهل تعلم له رباً سواه يشاركه في ربوبيته ، ومن السمّو ، هل تعلم له مشاركاً في سمّوه رباً لكل شيء ، ليس له شريكٌ في إسم الرب فضلاً عن حقيقته وسمته ، والربوبية المطلقة الوحيدة لساحته المقدسة تقتضي عبادته وحده ، والإصطبار لعبادته وحده !

---

(١) نور الثقلين ٣ : ٣٥٢ ح ١٢٥ في كتاب التوحيد عن امير المؤمنين (عليه السلام) حديث طويل يقول فيه لرجل سأله عما اشتبه عليه من آيات الكتاب واما قوله : وما كان ربك نسياً ـ فان ربنا تبارك وتعالى علواً كبيراً ليس بالذي ينسى ولا يغفل بل هو الحفيظ العليم . . . واما قوله : هل تعلم له سمياً فان تأويله : هل يعلم احد اسمه الله غير الله تبارك وتعالى . . » .

هنالك للمثول الدائب بين يدي المعبود بوحيه الحبيب وتلقي رسالته ، عبادة دائبة واصطبار لها ، فاعبده واحشد نفسك في سبيلها لتحمل أعباء وعناء ، تجرداً عن كل شاغل ، وتمرداً عن كل حائل ، وتحفزاً بكل جارحة وخالجة . . وليكن كلك عبادة لربك ، بحالك ومقالك وافعالك ، بحلك وترحالك ، والعبادة في حواجز الشيطنات وعوائق بوائق تحول دونك وعبادة ربك ، انها بحاجة الى اصطبار باستمرار ، ولتصل الى ساحة القرب فلا تحس بغربة وكربة حين انقطاع الوحي ! فـ « هل تعلم له سمياً » تسميّه او يتسمى باسمه أو تسمو إليه ؟ ! .

﴿ ويقول الإنسان ءإذا ما مت لسوف اخرج حياً[٦٦]أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً ﴾[٦٧] .

« الإنسان » هنا نوعه بطبعه وعقله المكسوف بطوع الهوى، كما الإنسان في « إن الإنسان لفي خسر » وقد يصح تسميته إنساناً لأن الله تعالى عهد اليه فنسى[١]ان اصله إنسيان : إفعلانٌ من النسيان[٢]، وقد يؤيده هنا «أولا يذكر الإنسان» وكما في سائر القرآن[٣]فالإنسان بنسيانه

---

(١) لسان العرب ج ١ ص ١١٢ ـ رواه عن ابن عباس .

(٢) المصدر قاله ابو منصور وهو مثل كيل اضحيان من ضحي يضحى وقد حذفت الياء فقيل انسان .

(٣) كقوله تعالى « واذا مس الانسان ضر دعانا لجنبه او قاعداً او قائماً فلما كشفنا عنه ضره مرّ كأن لم يدعنا الى ضر مسه . . »(١٠ : ١٢) . فحين يمسه الضر يذكر ما نخبأ في فطرته . . فلما كشفت عنه ضره ينسى «فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفوراً (١٧ : ٦٧) « فاذا مس الانسان ضر دعانا » (٣٩ : ٤٩) يوم يتذكر الانسان ما سعى » (٧٩ : ٣٥) « يومئذٍ يتذكر الانسان وانّى له الذكرى » (٨٩ : ٢٣) وهكذا نرى في الكثير من (٦٥) مرة يذكر الانسان في سايـر القرآن يقرن بنسيان الفطرة وسواها مما يجب عليه ان يتذكرها .

فطرته وفكرته، أنه خلق من قبل ولم يك شيئاً؛ يبتلى بهذا السؤال الإستبعاد الإستنكار.

« ويقول » دون « وقال » لمحة الى استمرارية هذه المقالة للإنسان اياً كان وأيان إلاّ من تذكر..

« أولا يذكر الانسانُ » النسيانُ مهما نسي سائر الأدلة الآفاقية والأنفسية على أنه سوف يخرج حياً « أو لا يذكر.. أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً » ؟ والواو هنا عطف على ما لم يذكر مما يجب ان يُتذكر من دليل ، وقد ذُكر الأعم ذكراً والأقرب تذكراً ، الذي يصدقه كل عاقل ومجنون : أنه خُلق من قبل ولم يك شيئاً ، فهل إن بدء الخلق أهون أم إعادته « وهو الذي يبدء الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه » (٣٠ : ٢٧) أهون عليه في حسابنا ، واما في حساب الله فكله هين لا صعوبة فيه : «ولقد خلقنا السماوات والارض في ستة ايام وما مسنا من لغوب » (٥٠ : ٣٨).

اترى ماذا يعني «خلقناه من قبل ولم يك شيئاً»؟ هل إنه خلق الانسان كسائر الخلق لا من شيء كان فخلقه للمادة الأولية في أصلابهم، حملٌ لنا «وانا لما طغى الماء حملناكم في الجارية» (٦٩ : ١١) «وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون» (٣٦ : ٤١) فالذي خلق الأشياء ـ كمادة اوّلية ـ لا من شيء « ولم يك شيئاً»: « في كتاب ولا علم »[1] هو قادر على أن يخلق الإنسان مرة ثانية وهو شيء بروحه الحي وجسمه التراب امّاذا ؟.

---

(١) محاسن البرقي عن حمران قال سألت ابا عبد الله (عليه السلام) عن الآية فقال (عليه السلام) : لم يكن شيئاً في علم ولا كتاب ».

أم إنه خلقُ الإنسان الاوّل من تراب ولم يك شيئاً إنسانياً «لا مقدراً ولا مكوناً »[١] وإنما هو تراب ، فخلقه وهو روح وتراب أهون عليه .

ام إنه خلق كل انسان ـ بعد الاوّل من نطفة ثم ... ولم يك شيئاً مذكوراً « هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً . إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً » (٧٦ : ٢)؟

كل ذلك خلقٌ للإنسان من قبل ، ففي الاول ـ حيث المادة الاولية ـ لم يك شيئاً في كتاب التكوين حيث الشيئية كانت للمادة الاوّلية ، ولا في العلم في علم غير الله ، اذ كان الله ولم يكن معه شيء وقد كان في اللوح المحفوظ حيث لا يعزب عنه شيء !

وفي الثاني كان في كتاب التكوين والعلم المفصول ولم يك مقدراً إنسانياً كسيرة الخلقة ، ولا مكوّناً إنسانياً وإن كان كنطفة .

وفي الثالث « النطفة » لم يك شيئاً مذكوراً بحق ذكره كإنسان ، أو يليق بالذكر لمكان قذارة النطفة ، مهما كان مقدراً في طريقه إلى التكامل ، ومكوناً كخطوة أولى من كينونته فقد « كان شيئاً ولم يكن مذكوراً »[٢] « كان مذكوراً في العلم ولم يكن مذكوراً في الخلق »[٣] او « كان شيئاً مقدراً لمّا

---

(١) في اصول الكافي عن مالك الجهني قال سألت ابا عبد الله (عليه السلام) عن الآية فقال : « مقدراً ولا مكوناً ».

(٢) تفسير العياشي عن زرارة سأل الباقر (عليه السلام) عن الآية فقال : .. وفيه عن عبد الاعلى مولى آل سام عن الصادق (عليه السلام) مثله .

(٣) عن سعيد الحذاء عن الباقر (عليه السلام) : ...

(٤) الكافي باسناده عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني باسناده عن الامام الصادق (عليه السلام) سئل عن قوله تعالى : «اولم ير الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً » فقال لا مقداراً ولا مكوناً » وسئل عن قوله تعالى « هل اتى على الانسان حين من الدهر .. » قال : كان مقداراً غير مذكور .

قذّر من نطفة امشاج ولّما يكون إنساناً !

وقد تعني الآية كل هذه الثلاث ، على اختلاف دلالاتها ، على أن الخلق المُعاد أهون عليه ، « أوَ لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل » اذ خلقنا اوّل خلق ـ وإذ خلقنا الانسان الاول ـ واذ خلقنا النطفة « ولم يك شيئاً » ـ ام شيئاً مقدراً لخلق الانسان كسيرة مستمرة مثل النطفة ـ ام شيئاً مذكوراً مهما كان نطفة ! ، وان كان « شيئاً » في سياق النفي تستأصل كلّ شيئية كما في الخلق الاوّل ، ولكنها تتحمل نفي الشيء الإنساني كالاخيرين ، ضمن أصل الشيء كالاول ، وقد تؤيده « قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً » (١٩ : ٩) وبرهان المماثلة الاولوية يثبت إمكانية المعاد ، وبرهان العقل العدل والنقل يثبتان معه ضرورته !

﴿ فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً[٦٨] ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتياً[٦٩] ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صِلياً ﴾[٧٠]

« فوربك » تحمل برهاني العدل والنقل ، فربوبيته تعالى ولا سيما الرسالية المحمدية تقتضي الحشر والجزاء ، فلولا الحشر لبطلت الربوبية الحكيمة العادلة وبطلت الرسالة المحمدية وما دونها ، فليس القَسم هنا إلاّ بادلّ دليل على ضرورة المعاد ، وقد تمت البراهين الأربع : إمكانية بالاولوية ، وضرورة باصل الربوبية العدالة ـ ضرورة اخرى بالربوبية الرسالية المحمدية فلولا الحشر لبطلت ـ والرابع هو النقل الحامل لهذه الثلاث !

ترى ومن هم الشياطين المحشورون معهم؟ إنهم شياطين الإنس والجن » (٦ : ١١٢) وهم « اولياء للذين لا يؤمنون » (٧ : ٤٧) « ومن

يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين » (٤٣ : ٣٩) : :

هم دركات كما الشياطين دركات وقد تربو شيطناتهم على شياطينهم أو هم على سواء أم دون ذالك طرائق قدداً ، والله يحشرهم واياهم من أجداثهم : « ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً »: بروكاً على رُكَبِهم ذلاً وانكساراً ، واجاعاً حولها كالتراب والحجارة ترذلاً وانحساراً[1] والثاني يعني الأوّل تضمناً ، فهم اذاً حول جهنم ناظرين حكم أحكم الحاكيمن ، فاذا ادّاركوا حولها جميعاً ركاماً بعضهم على بعض ننزع منهم صلاءَ الجحيم ووقودها ، التي يتّقد بها ويُحرق سائر اهل الجحيم :

« ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عِتياً » : : هنالك ائمة الضلالة وأشياعهم ، ولا يختص وَقود النار بالأصَلاء بل ومن الفروع « من كل شيعة » لننزعن للوقود « أيهم أشد على الرحمن عتياً » تمرداً وعصياناً ، لنجعل وقوداً على وقود فنركمه جميعاً ، « ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صِلياً » والصِلى مصدر صلى : الوَقود ، فمن الوقود ما هو في أصول الجحيم ، وهو اولى بها صلياً ، ومنه ما هو في سائر الجحيم وهو دون ذلك صليا : « واولئك هم وقود النار « (٣ : ١٠) ثم لا وقود إلاّ من يتقد من فروع الضلالة :

صحيح انها « لا يصلاها إلاّ الاشقى ، الذي كذب وتولى » (٩٢ : ١٥) ولكنما الوَقود ان هما الأشقى بالنسبة لسائر الاشقياء مهما كان الاولون هم

---

(١) الاول اصله فعول جمع جاثي وهو البارك على ركبتيه ـ والثاني عن ابن عباس انه جمع جثوة وهو المجتمع من التراب والحجارة. وقد يناسبه ما اخرجه عبد الدين احمد في زوائد الزهد والبيهقي في البعث عن عبد الله بن باباه قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : كأني اراكم بالكوم دون جهنم جاثين .

اولى بها صلياً ، فنزع الأشد على الرحمن عتياً ليس لأصل الدخول في الجحيم حيث هي مكان العاتين اجمعين ، فليس النزع إلّا لِصلاء الجحيم ، ولكن ليسوا في صلاءهم سواء « ثم لنحن أعلم بالذين هم اولى بها صلياً » ! فهناك وليٌّ للصِلى وهنالك أولى لها !

وآيات الصلي كلّها شاهدة على أنها لا تعني مجرد الدخول في النار ولا سيما آية الاشقى فانها تحصر صليها بالأشقى ، فلو أنه الدخول فغير الاشقى اذاً ـ لا يدخلها !

﴿ وإن منكم الا واردها كان على ربِّك حتماً مقضياً[٧١] ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً ﴾[٧٢] :

« وان منكم » خطاب صارم لكافة المكلفين من الجنة والناس أجمعين ، فلا يختص بأصحاب الجحيم إذ ليس منهم المتقون الناجون من الواردين[١] «وإن منكم» احدٌ «إلّا واردها» دخولاً فانه نصٌ فيه، لا مروراً ام قرباً مهما عنيا من الورود بقرينة وكما يروى عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) « لا يبقى بَرٌ ولا فاجر إلّا دخلها فتكون على المؤمنَ برداً وسلاماً كما كانت لإبراهيم (عليه السلام) حتى أن للنار ضجيجاً من بردهم ثم ينجي الله

---

(١) الدر المنثور ٤ : ٢٨٢ اخرج ابن سعد واحمد وهنادوابن ماجة وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن الانباري والطبراني وابن مردويه عن ام مبشر قالت : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يدخل النار احد شهد بدراً والحديبية قالت حفصة : اليس الله يقول : « وان منكم الا واردها » ؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : الم تسمعيه يقول : « ثم ننجي الذين اتقوا » ؟! وفيه عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : من حرس من وراء المسلمين في سبيل الله متطوعاً لا يأخذه سلطان لم ير النار بعينه الا تحلة القسم فأن الله يقول « وان منكم الا واردها ».

الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثياً »[١]:

انهم يرونها على سواء « ثم يصدرون عنها بأعمالهم فاولهم كلمح البرق ثم كالريح ثم كحضر الفرس ثم كالراكب ثم في رحله كشد الرجل ثم كمشيه »[٢]واحاديث المرور تطرح ام تُأوَّل لمخالفتها القرآن والسنة[٣]:

فـ « واردها » و « ثم ننجي الذين اتقوا » و « نذر الظالمين » شهود صدق على الدخول مهما كان عذاباً أو رحمة ، فلا عذاب في مرورها ، ولا يذر الظالمين مارين عليها ، وانما هو الورود للجنة والناس اجمعين : « : : وتمت كلمة ربك لأملئن جهنم من الجنة والناس أجمعين » (١١ : ١٩) و (٣٢ : ١٣) مِلءً دون استثناء ، وإنما يستثنى المتقون عن عذابها دون ورودها وملئها ! :

---

(١) الدر المنثور ٤ : ٢٨٠ اخرج احمد وعبد بن حميد والحكيم والترمذي وابن المنذر وابن ابي حاتم والحاكم وصححه وابن مردوية والبيهقي في البعث عن ابي سمية قال : اختلفنا في الورود فقال بعضنا لا يدخلها مؤمن وقال بعضهم يدخلونها جميعاً ثم ينجي الله الذين اتقوا فلقيت جابر بن عبد الله فذكرت له فقال : واهوى باصبعيه الى اذنيه ـ صمتاً ان لم اكن سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : لا يبقى . . .

(٢) المصدر اخرج احمد وابن ابي حاتم وابن الانباري والترمذي والحاكم وصححه والبيهقي في البعث وابن مردوية عن ابن مسعود في الآية قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : يرد الناس كلهم النار ثم يصدرون . . .

(٣) مثل ما في الدر المنثور ـ اخرج ابن مردوية عن ابي هريرة قال قال رسول الله (صلى الله علية وآله وسلم) : « وان منكم الا واردها » يقول : مجتاز فيها ـ.

اقول لم يقل مجتاز بها ـ بل ـ فيها ، مما يدل على الورود ، فبعض يردها ورود الاجتياز كالمقربين وآخرون يصدرون عنها باعمالهم « ونذر الظالمين فيها جثياً ».

.. وقد تلمح « واردها » دون « يردها » إضافة الى حتمية الورود باسم الفاعل ، إلى انسلاخ ذلك الورود عن الزمان فقد يشمل مثلث الزمان يوم الدنيا والبرزخ والقيامة ، فـ « إن منكم إلا وارد» مثلث الجحيم . فالدنيا بشهواتها ولهواتها جحيم كما البرزخ والقيامة نتيجةً لها ، ولكنما الذين اتقوا منّجون عنها ، عن بواعثها يوم الدنيا حيث يتقون موجبات النار ، وعن كوارثها في برزخها يوم البرزخ وعن نار الخلود يوم الخلود ، إذاً فهنالك مثلث للورود ، مهما كان فيما سوى الأخير ورود الإجتياز لفترة قصرت كما الدنيا أم طالت كما البرزخ ، ومن ثم ورود في مختلف درجاته او دركاته بمختلف الإستحقاقات والتخلفات !

« كان على ربك حتماً مقضياً » فـ « ربك » وهو في أعلى درجات الربوبية يورد كلاً في الجحيم الأخرى كما أوردهم في الاولى ، ثم ينجى كلاً هناك كما نجي «بالتقوي» هنا ، ولكي يرى المتقون سجن المتمردين فتكون لهم حظوة ، ويرى المتمردون المتقين فتكون عليهم حسرة ، وهذه قضية الربوبية القمة « كان على ربك » المختومة بما حلف : « لأملان جهنم من الجنة والناس اجمعين » ! فقد كتب على نفسه عموم الورود في الجحيم بربوبيته كما « كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه : : » (١٦ : ١٢) ومن الجمع الرحمة قضية الربوبية الجمع في الجحيم !

« ثم ننجي الذين اتقوا» والفترة المستفادة من « ثم » درجات حسب درجات التقوى كما سبق عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) « فاولهم » كلمح البرق ـ وهو منهم ـ وآخرهم كمشية ، وهم أخر من ينجّى مهما بقى ردحاً فيها ، وإن كثيراً كالخالدين غير الأبدين فيها ، فـ « ثم » تعم اللّمحة الى الخلود غير الدائب ! ولكن :

« ونذر الظالمين فيها جثياً » قد تخرج المعذبين في النار عن المتقين وهذا هو الحق ، وبقاء الظالمين يشمل بَعد المشية الى الخلود وإلى الأبد ، فلا تعني

« ثم » إلاّ اللمحة الى المشية ، ثم الباقون هم الظالمون على دركاتهم ! ويا ويلنا ونحن كلنا واردوها وهذا يقين ، ومَن هذا الذي يخرج منها وليس إلاّ شكاً بعد يقين ، اللهم الاّ « الذين اتقوا » ولا تنقض اليقين بالشك بل انقضه بيقين مثله ، وكما يروى عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : « فقد علمت اني وارد النار ولا أدري كيف الصدور بعد الورود »[1].

ولقد أثرت هذه الآية في أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أثراً بالغاً يدهشهم فـ « إذا التقوا يقول الرجل لصاحبه هل اتاك انك وارد ؟ فيقول : نعم ! فيقول : هل أتاك انك خارج ؟ فيقول : لا فيقول : ففيم الضحك ؟ [2]اجل وان يقين ورود النار لا يقطعه إلاّ يقين التقوى المنجية عن النار ، وقد بينها الله في كتابه المبين ، ونحن كلنا ـ إلاّ المعصومين ـ سوف نردها ، وهل ننجوا منها ؟ الله اعلم ! إذ لا ندري هل تختم عاقبة أمرنا بالتقوى فنموت أتقياء ، أم دون ذلك ، فعلينا إذاً

---

(١) الدر المنثور ٤ : ٢٨٢ ـ اخرج ابو نعيم في الحلية عن عروة بن الزبير قال : لما اراد ابن رواحة الخروج الى ارض مؤتة من الشام اتاه المسلمون يودعونه فبكى فقال : اما والله ما بي حب الدنيا ولا صبابة لكم ولكني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قرء هذه الآية . . . فقد علمت . . . » وفيه اخرج ابن المبارك واحمد في الزهد وابن عساكر عن بكر بن عبد الله المُزنَى قال: لما نزلت هذه الآية ذهب عبد الله بن رواحة الى بيته فبكى فجاءت المرأة فبكت وجاءت الخادمة فبكت وجاء اهل البيت فجعلوا يبكون فلما انقطعت عبرتهم قال : يا اهلاه ! ما الذي ابكاكم ؟ قالوا: لاندري ولكن رأيناك بكيت فبكينا قال: انه انزلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) آية ينبئني فيها ربي تبارك وتعالى اني وارد النار ولم ينبئني اني صادر عنها فذاك الذي ابكاني .

(٢) الدر المنثور ٤ : ٢٨٢ ـ اخرج ابن ابي شيبة عن الحسن قال : كان اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)اذا التقوا . . .

الجهاد الدائب في التقوى مستعيذين بالله من كلّ شيطان رجيم !

ولا تُناحر آيةُ الورود آيةَ الإبعاد : « إن الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون » (٢١ : ١٠١) بل وتناظرها ، حيث الإبعاد ليس إلّا بعد الورود أو القرب ، وآية الورود تبعدهم عنها بعد الورود ، فـ « ثم ننجي » تعني ما تعنيه « اولئك عنها مبعدون » ـ « لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون . لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون » (١٠٣) :

تتلقاهم الملائكة الى الجنة حين ينجّون ويبعدون عن النار ، دون ان يسمعوا حسيسها ، ودون ان يحزنهم الجحيم ، بل وقد يفرحون بما رأوا سجن المتمردين رحمة على رحمة ، وكما هي على أهل النار عذاب فوق العذاب !

فالنار إذا للمتقين خامدة[1] مهما كانت لأهلها محرقة اللّهم إلّا حيناً كلمحة ، وهنالك جَثْوٌ حول جهنم للظالمين وجثوٌ آخر فيها لهم واين جثوٌ من جثوٌ :

إن الذين هم اوّل المقذوفين في الجحيم يردون تصلية للجحيم ، من أئمة الضلالة ومن كل شيعة هم أشد على الرحمن عتياً ، وطليعة الصادرين من كل الواردين هم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وائمة الهدى وسائر النبيين من المقربين وطائفة من اصحاب اليمين ، وبينهما متوسطون من الصادرين والباقين :

---

(١) تفسير الفخر الرازي ج ٢ ص ٢٤٤ عن جابر بن عبد الله انه سأل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : اذا دخل اهل الجنة الجنة فقال بعضهم لبعض اليس وعدنا ربنا بان نرد النار فيقال لهم : قد وردتموها وهي خامدة .

وترى لماذا غير الظالمين يردونها حتى يُنجَّوا منها ؟ إن وُرودهم فيها لهم حظوة رحمة حيث يرون سجن الظالمين مبتهجين انهم لم يردوها معذبين فانها لهم برد وسلام وللظالمين حرق وإيلام ! :

وقد يتحدث المسيح (عليه السلام) فيما ينقله برنابا الحواري عن هذا الورود العام :

﴿ أجاب يسوع : يتحتم على كل احد اياً كان أن يذهب الى الجحيم[٨]بيد أن ما لا مشاحة فيه أن الأطهار وأنبياء الله إنما يذهبون الى هناك ليشاهدوا لا ليكابدوا عقابا أما الابرار فانهم لا يكابدون إلاّ الخوف[١٠]وماذا أقول لكم ؟ افيدكم أنه حتى رسول الله يذهب إلى هناك ليشاهد عدل الله[١١]فترتعد ثمة الجحيم لحضوره[١٢]وبما أنه ذو جسد بشري يرفع العقاب عن كل ذي جسد بشري من المقضي عليهم بالعقاب فيمكث بلا مكابدة عقاب مدة إقامة رسول الله لمشاهدة الجحيم[١٣]ولكنه لا يقيم هناك إلاّ طرفة عين[١٤]وانما يفعل الله هذا ليعرف كل مخلوق انه نال نفعاً من رسول الله[١٥]ومتى ذهب إلى هناك ولولت الشياطين وحاولت الإختباء تحت الجمر المتقيد قائلاً بعضهم لبعض : اهربوا فأن عدوّنا محمّد قد أتى (انجيل برنابا ١٢٦ : ٧ ـ ١٥) :

ثم في الآيات ١٧ ـ ٢١ ـ تصريحات أن ما من مات على دين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فمصيره إلى الجنة وان كابد العقوبة للاعمال السيئة وترك الصالحات فانه بالمآل ينتقل الى الجنة بدعاء محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وإن عذب في نار البرزخ والقيامة كما يستحق ! :

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ
قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا
وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ
أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ
لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ
وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ
جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ
ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾
أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾
أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ
سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾
وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾

﴿واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا اي الفريقين خيرٌ مقاماً واحسن نديا﴾(٧٣).

هرطقة نكراء وطنطنة خواء في قولة هراء من الذين كفروا للذين آمنوا في حوار دائبة بتراء تضللهم او تقلل من ايمانهم ، ولكنما المؤمن حق الايمان لا يتزعزع بهذه الزلازل ، فالمؤمن كالجبل الراسخ لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف !

« واذا تتلى عليهم آياتنا بينات » لا يتفهمونها وهم يسمعون ، مبتهجين ومتبجحين بالقيم المادية الفانية قائلين : « اي الفريقين » منا الكافرين ومنكم المؤمنين « خيرٌ مقاماً » : قياماً في هذه الحياة بوسائلها المتوفرة لدى الناشطين ، وقواماً فيها ، ومكاناً لكل قيام وقوام ، فمن هو خير في مثلث «قياماً» «ثم» «واحسن نديا» : نادياً لتنادى الشورى « فليدع ناديه » في مصالح الحياة ! ونادياً لكل أنس والإتيان بمختلف الشهوات « تأتون في ناديكم المنكر » (٢٩ : ٢٦) ؟

إنهم يرونهم في نوادي فخمة ومجامع مترفة بكل ترف وفي كل طرف ، والى جنبهم تلك النوادي المتواضعة والمنتديات الفقيرة ، دون أبّهة ولا زينة وكبرياء فيتقولون لهم : « أي الفريقين خير مقاماً وأحسن نديا » وإذا الايمان بالله يعجز عن اصلاح الحياة الحاضرة فهو عن إصلاح المستقبلة ـ لو كانت ـ أعجز !

ومن هؤلاء سادة من قريش ، قادة الكفر ـ كالنضر بن الحارث وعمرو ابن هشام والوليد بن المغيرة وابي جهل وابي لهب واخوانهم المترفين وجاه سادة الايمان ، كبلال وعمار وخباب واضرابهم من المؤمنين المعدمين فـ « أيّ الفريقين خير. . » ؟ ذلك ! رغم انها حكمة الله في صراط الحق ان تظل العقيدة الصادقة مجردة من الجواذب المادية زينة وطلاءً وإغراءاً ، ليقبل عليها من يريدها خالصة لحقها دون زخارفها ، ويدبر عنها من يبتغي زينة الحياة الدنيا .

هنا يأتي جواباً واقعياً غابراً عن « اي الفريقين » لمحة الى مصارع الغابرين :

﴿ وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً ورئياً ﴾(٧٤):

إن القرون الهالكة المالكة هي اكثر مما يملكون و « أحسن اثاثاً » الظاهرة،باحسن منهم مظهراً « ورئياً » إنها ليست قلة منسية ، فعادٌ «وثمود الذين جابوا الصحر بالواد وفرعون ذي الاوتاد الذين طغوا في البلاد فاكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب » هؤلآء واضرابهم هم أحسن منهم أثاثاً ووسائل العيشة ورئياً : منظراً في انفسهم واثاثهم وبيوتهم وما يملكون ، فقد هلكوا بما ملكوا فأي الفريقين خير مقاماً وأحسن نديا ؟ !

﴿ قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شرٌ مكاناً وأضعف جنداً ﴾(٧٥):

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

« من كان في الضلالة » غارقاً تائهاً ومضى على ضلالته ردحٌ من الزمن فهو لا يهتدي ، أترى ماذا يفعل به الرحمن؟أحملاً على الهدى وهو مصر على الردى ؟ ام لا يمده في هوىً او ردى وكفى به ـ لو امكن ـ استمراراً في الردى ! او « فليمدد له الرحمن مداً » جزاءً وفاقاً إملاءً : « وأملي لهم ان كيدي متين » (٧ : ١٨٣) « ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين » (٣ : ١٧٨) « فليمدد له الرحمن مدّاً» الإملال الامهال عُمراً وأسباباً ، من بنين واموال « أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون » (٢٣ : ٥٥) مداً لهم في أسباب العذاب ثم مداً في العذاب « كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مداً » (١٩ : ٧٩) ! :

« فليمدد له الرحمن مداً حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب» قبل

الساعة كتقدمة « وإما الساعة » التي هي بداية العذاب الأصيل وهنا او هناك « فسيعلمون » عين اليقين « من هو شر مكاناً وأضعف جنداً » وجاه ما كانوا يقولون للذين آمنوا « اي الفريقين خير مقاماً وأحسن نديا » حيث يرون أنفسهم شراً مكاناً رغم ما كانوا يزعمونهم « خير مقاماً » وكانوا في زعمهم أحسن نديا : نادي الأعوان الجنود ونادي الشهوات ، فيرونهم « أضعف جنداً ! فلا تنفعهم جنود النوادي أياً كانوا بل يضرونهم كما كانوا يضلونهم :

فقد زادوا ضلالاً على ضلال في الدنيا ثم هم يوم القيامة من المرذولين ، واما الذين اهتدوا :؟

﴿ ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خيرٌ عند ربك ثواباً وخيرٌ مرداً ﴾[٧٦]:

كما هناك مدٌّ للذين كفروا ، كذلك هنا مد للذين آمنوا واين مدٌ من مدٌ : « كلاً نمد هولاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً » (١٧ : ٢٠) :

فمدّ الهدى يتبنى هدىً قبلها كمدّ الردى « والذين اهتدوا وزادهم هدىً وآتاهم تقواهم » (٤٧ : ١٧) والخير في هذا البين ليس الذي يزعمه الذين كفروا من أثاث ورئي يفنى ، بل « والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير مرداً » « المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير املاً » (١٢ : ٤٦)[١]:

الأقوال والأعمال كلها باقية بما يستنسخها الله « إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون » ولكنما الباقيات الصالحات خيرٌ عند ربك ثواباً » يثوب

---

(١) راجع تفسير الآية في الكهف فلا نعيده هنا الا ما اشرنا اليه .

ويرجع الى الإنسان حالاً واستقبالاً ، حيث الثواب هو رجوع الشيء إلى حالته المقدرة المقصودة « وخيرٌ مرداً » مكان ردها وزمانه في الجنة يوم القيامة وما قبلها .

واما الطالحات الزائلات بشهواتها ولهواتها ، الباقيات بخطراتها التي هي لزام فاعليها ، إنها شر عند ربك عقاباً وشر مردّاً ، فمن هو إذاً خير مقاماً وأحسن نديا وأثاثاً ورئياً وخير مكاناً وأقوى جنداً ؟ أهم أصحاب الباقيات الصالحات ، ام الزائلات الباقيات الطالحات ؟ !

﴿افرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالاً وولداً[٧٧]أطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهداً[٣٨]كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مداً[٧٧٩]ونرثه ما يقول ويأتينا فرداً﴾[٨٠]

« افرأيت » استفهام عجاب واستنكار في « الذي كفر بآياتنا » الدالة على توحيد الربوبية ومعادها والرسالة الإلهية بينهما ، كفراً بمثلث الآيات آفاقية وأنفسية .

فرغم أنه « كفر بآياتنا » كلها دون ابقاء ، يتميع بما يخيل اليه انه يتمتع « وقال لأوتين مالاً وولداً » هنا ام في الحياة الأخرى ، وانا رابح في الاولى الواقعة ، وفي الأخرى لو انها واقعة « ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً » (١٨ : ٣٦).

طنطنة حمقاء ، وهمهمة جوفاء ، ويكأن وفراً من المال والولد هو جزاء الكفر بآيات ربنا ! « أطلع على الغيب » فيما هنا ام هناك « ام اتخذ » هنا لما هنا وهناك « عند الرحمن عهداً» فلا غيب له مطلع ، ولا عهدٌ عند الرحمن فانهما أو واحدهما لزامهما صلة عريقة مع الرحمن ،وقد « كفر بآياتنا » فما قولته الجوفاء إلاّ طنطنة خواء وهرطقة هراء والله منها براءٌ :

وانها قولة تكرر من حماقى الطغيان ، كانهم يملكون الكون بمكوّنه، فهم يحاسِبون بديل ان يحاسَبوا ، فكما هم اولاء هنا غارقون فيما يشتهون ، كذلك هم في الأخرى ـ لو كانت ـ فيما اشتهت انفسهم خالدون:

وهل ان « الذي . . وقال » شخص كافر غابر ليخصه التعجيب التأنيب ؟ علّه نعم حيث العبارة العامة « الذين . . يقولون » ! او علّه لا مهما كان مورداً لنزول الآية حيث المورد لا يخصص ، فـ « لا تكونن ممن يقول في شيء انه في شيء واحد ».

ويظهر من « كفر » حادث الكفر بعد الايمان ، ام مزيده دون ايمان ، فيعم التعرق في الشرك كالذي خاطب خباب بن الأرتّ حين طالبه ديناً كان له عليه فاجاب بما أجاب : « موعد ما بيني وبينك الجنة فوالله لأوتين فيها خيراً مما اوتيت في الدنيا »[1] كما يعم ضعيف الايمان الذي كفر حين خيِّل اليه ان الكفر يجلب مالاً وولداً !

« كلا » ! ليس كما يعرف بما لا يعرف « سنكتب » عليه « ما يقول » قولة نكراء وهي وبالة عليه « ونمدّ له » هناك « من العذاب مداً » بدلاً عن اي مال وولد ! « ونرثه ما يقول » لو إوتي هنا او هناك مالاً وولداً فـ « انا نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون » (١٩ : ٤٠) « ويأتينا فرداً » دون مال ولا ولد فمم يكون له ـ اذاً ـ مال وولد ؟ ! :

---

(١) رواه فيمن رواه القمي عن ابي الجارود عن ابي جعفر (عليه السلام) ومثله في معناه في الدر المنثور عن خباب بن الارت قال كنت رجلاً قيناً وكان لي على العاص بن وائل دين فأتيته أتقاضاه فقال : لا والله لا اقضيك حتى تكفر بمحمد فقلت: لا والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث ، قال فاني إذا مت ثم بعثت جئتني ولي ثم مال وولد فاعطيك فأنزل الله الآية .

اقول تخصيص نزول الآية بموردها هذا بعيد ، إلا ان يكون من مصاديقها .

وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ
ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ
وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ
عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا
نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ
وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾
لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾
وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾
تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ
ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى
لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ
وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾

﴿ واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً ﴾(٨١) كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً(٨٢).

واذلاّه لمن يتخذ من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً ، تحطيماً لكرم الإنسانية ، وتعزيزاً للذليل وتقديماً له على من خلقه الله في أحسن تقويم ، كيف يردُّ نفسه بتخيّل العز أسفل سافلين .

أترى العز في ألوهة الأصنام والأوثان والجبت ؟ وهي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عن انفسها شيئاً فضلاً عن عابديها !

ام في ألوهة الطواغيت ؟ وقد استكبروا عليهم وحطّوا من كرامة إنسانيتهم حيث استخفوهم وسقّطوهم عن كرامتهم !

أم في ألوهة الأولياء من الملائكة والنبيين ؟ وهم يرون عزّهم وإياهم في عباده الله ، وليسوا هم ليغنوا عنهم من الله شيئاً اذ « لا يشفعون إلاّ لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون » ! ام ليعتزوا بهم عند الله ، « ويقولون هؤلاء شفاعاءنا عند الله ما نعبدهم إلاّ ليقربونا الى الله زلفى »؟ وفي ذلك

مسّ من كرامة الله ان يُتخذوا سلطاناً من دون الله ما آتاهم به الله ، وأن يُعبدوا من دون الله ازراءً بساحة الربوبية ، وكيف يصلح المبعد مقرباً ، ام كيف يطلع البغيض عزيزاً ! « واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم يُنصرون: لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون » (٣٦: ٧٥).

فأين ذلك العز الأعز من الوهة الله وحده وعبوديته؟وهكذا يكون دور من يستند الى غير القرآن ويستعين به تاركاً لكتاب الله، معتزاً بسواه لتعزيز دين الله بالقاب براقة مطنطنة ، وكلمات عملاقة ! هي عن كثير من الحق فاضية خاوية !

« كلّا » لا عز هنا وهناك ام هنالك ، «وهم» الآلهة «سيكفرون بعبادتهم »: « فزيلنا بينهم وقال شركائهم ما كنتم ايانا تعبدون : :» (١٠ : ٢٨) «ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم» (٣٥: ١٤). كما وهم أولاء «سيكفرون بعبادتهم» «ثم لم تكن فتنتهم إلّا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين» (٦: ٢٣):

وهذا من الطف الجمع بين ضميري الجمع ، سيكفرون بعبادتهم حيث يعم الكفرين واقعاً لا نكير له ! ثم « ويكونون » كلٌ « عليهم » على كلٍّ « ضداً » حيث زيّل الله بينهم فظهر الحق عن الباطل وغُلب هنالك المبطلون !

﴿ ألم تر أنا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً ﴾(٨٣):

إنهم تهزهم تحريكاً بشدة وازعاج هزاً ، وتحرضهم على الشر حرضاً، ولو لم يكن الكافر هزاً في نفسه بزاً لم يسطع الشياطين ان تهزهم هزاً .

ولا يعني الإرسال هنا بعثاً إليهم ليضلوهم أكثر مما هم ، بل عدم

المُنعة عن هزهم ، وهو يمنعهم عن هز المؤمنين ، وفي « على » هنا دون « إلي » لمحة حيث تعني الإستعلاء ، فيذرهم الله في خوضهم يلعبون وفي غيهم يترددون جزاء بما كانوا يعملون « فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم ».

فهو - اذاً - ارسالٌ « على » وليس ارسالاً « الى » وليس إلاّ جزاء وفاقاً حيث كذبوا المرسلين الصالحين اليهم ، فابدلهم الله بارسال الشياطين عليهم تؤزهم أزاً .

فليس « يكونون عليهم ضداً » فقط في الحياة الاخرى ، بل وفي الاولى إذ تؤزهم أزاً وهم يعبدونهم « ليكونوا لهم عزاً » ! وفي « يكونون » هنا وجاه « سيكفرون » لمحة لضدهم في الأخرة والاولى ، مهما اختص كفرهم - إلاّ الصالحين - بعبادتهم في الأخرى .

﴿ فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عداً ﴾(٨٤):

« لا تعجل عليهم » بفناءهم ودمارهم إذ لا يستقلون ويغلبون أمامنا ، فلا نمهلهم إلاّ عليهم حيث « نعد لهم » سيآتهم البئيسة وأنفاسهم التعيسة «عداً» كما قدّرنا لهم فالمعدود لهم عداً هو «كل شيء حتى النفس»(١) بل «لكنه عدد الانفاس»(٢) بما تحمل فيها كل نفس ظالمة من كوارث انحاس! «ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خيرٌ لأنفسهم انما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين» (٣ : ١٧٨).

---

(١) الدر المنثور اخرج عبد بن حميد عن ابي جعفر محمد بن علي في الآية : . .

(٢) الكافي باسناده عن عبد الأعلى مولى آل سام قال قلت لابي عبد الله (عليه السلام قول الله عز وجل : «إنما نعد لهم عداً » قال (عليه السلام) ما هو عندك ؟ قلت : عد الايام ، قال الأباء والامهات يحصون ذلك ولكنه عدد الأنفاس .

ليس أمد بقاء الإنسان بتعميره إلّا بلاءً حسناً بتعميره ام سيئاً بتدميره : « إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً » (١٨ : ٧).

وليس قصر المدة ام مدّها إلّا كما قدر لكل نفس في صالحاتها وطالحاتها « ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار » فـ « لا تعجل عليهم » « ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم » (١٠ : ١١) :

﴿ يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفداً[٨٥] ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً[٨٦] لا يملكون الشفاعة إلّا من اتخذ عند الرحمن عهداً ﴾[٨٧] :

إن بين الحشر الوفد والسوق الورد بوناً شاسعاً كما بين المتقين والمجرمين ، فالوفد هم القوم الركب الوافدون لزيارة او استنجاز حاجة وقد « يحشرون على النجائب »[١] والورد هم العطاش المتحرون عن تروية لهم

---

(١) في محاسن البرقي باسناده عن حماد بن عثمان وغيره عن ابي عبد الله (عليه السلام) في الآية قال : يحشرون على النجائب .

وفي تفسير القمي باسناده عن عبد الله بن شريك العامري عنه (عليه السلام قال : سأل عليٌ (عليه السلام) رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن تفسير هذه الآية قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : يا علي ! الوفد لا يكون إلا ركباناً اولئك رجال اتقوا الله عز وجل فاحبهم واختصهم ورضي اعمالهم فسماهم الله المتقين . . وروى في حديث آخر تفصيل خروجهم من قبورهم وركوبهم من نوق الجنة ووفودهم الى الجنة ودخولهم فيها وتنعمهم بما رزقوا من نعمها .

وفي الدر المنثور عن ابن مردوية عن علي (عليه السلام) عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الآية قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : اما والله ما يحشرون على اقدامهم ولا يساقون سوقاً ولكنهم يؤتون بنوق من الجنة لم تنظر الخلائق الى مثلها رحالها الذهب وارمتها الزبرجد فيقعدون عليها حتى يقرعوا باب الجنة .

فلا يردون إلّا جهنم ليشربوا من حميمها ، هذا لطغواه وذلك لتقواه حيث اتقى يوم الدنيا عن ورد الجحيم ، وهؤلاء طغوا وبغوا فلهم ـ اذاً ـ ورد الجحيم ! :

« لا يملكون الشفاعة » ان يشفعوا او يشفع لهم لا اولاء ولا هؤلاء « إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً » وعامته عهد العبودية « الم اعهد اليكم يا بني آدم الا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين ، وأن اعبدوني هذا صراطٌ مستقيم » (٣٦ : ٦١) وذلك تعم الشافعين والمشفع لهم ،

ثم وخاصته عهد الشفاعة كشافعين « ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلّا من شهد بالحق وهم يعلمون » (٤٣ : ٨٦) :

فلا شفاعة هناك بين العبُّاد والمعبودين من دون الله ، إذ لا عهد لهم اتخذوه عند الرحمن ، وقد زال عزهم المخيّل اليهم هناك ، كما لم يكونوا لهم عزاً هنا « وخسر هنالك المبطلون » « خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين » !

﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً(٨٨)لقد جئتم شيئاً إدّاً﴾(٨٩).

واتخاذ ولد للرحمان اياً كان حقيقة او تشريفاً ، إنه إدٌّ : منكر فضيح فظيع « شيئاً » واقعاً ولن يكون ! ام قولاً زوراً فلا يهون .

﴿ تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً(٩٠)ان دعوا للرحمن ولداً(٩١)وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولداً(٩٢):

لولا أن الله يمهل هؤلاء الحماقى الأغباش ، لكان تفطُّر السماوات وانشقاق الأرض وخرور الجبال هداً : في هدم واقع ساقط ـ واقعاً ، اذ هي « كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون إلّا كذباً » (١٨ : ٥٠) فانهم « يقولون منكراً من القول وزوراً » « ان دعوا للرحمن ولداً » فانه الخالق

لكل شيء برحمة رحمانية : فكيف يتخذ ولداً ؟ ابولادة ؟ وهو خالق وليس والداً ،ام بتشريف ولا تشريف اعلى من العبودية، والبنوة التشريفية تزييف لساحة الرحمٰن « وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً »

﴿ إنْ كل مَن في السماوات والأرض إلاّ آتي الرحمٰن عبداً.(٩٣)لقد أحصاهم وعدهم عداً ﴾(٩٤).

كلُّهم يأتونه عبداً ليوم الدنيا ويوم الدين ، طوعاً أتوه ام كرهاً حيث العبودية ذواتهم وصفاتهم وأفعالهم، ومهما هم آتوه هنا باموال وبنين وسائر زخرفات الحياة زينةً لها وابتلاءً فيها ، ولكنهم :

﴿ وكلّهم آتيه يوم القيامة فرداً ﴾(٩٥):

« فرداً » عن كلما لديهم يوم الدنيا إلاّ ما قدمت لهم أنفسهم او عليهم ، فهم إذاً فردٌ يومئذٍ عما كانوا يظنون ، وشفع بما لم يكونوا يحتسبون ، فويلٌ لهم من فردهم وويل لهم من شفعهم ، إلاّ فرداً عبداً ، وشفعا بعبودية ! .

﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً ﴾(٩٦):

إن الايمان وعمل الصالحات هما في ميزان الله محوران اصيلان للوُدّ الحب ، جعلاً له قدْرَهما طول الزمان وعرض المكان ، مهما كان ليوم الرجعة والبرزخ واليوم الآخر عرضه العريض كلٌّ حسبه ، ولكنما الدنيا ايضاً لها نصيب مهما غشيته أية غاشية ، فانها تبرز في مواردها حجة للايمان « فبأي آلاء ربكما تكذبان »:

وفي « سيجعل » الرامية الى مستقبل قريب تلميح مليح بمثلث الأيام ، مهما شمل مستقبل الايمان وعمل الصالحات منذ بزوغها واين مستقبل من مستقبل ، واين وُدُّ من ودٌّ ؟ :

وقد تظافرت اسباب النزول عن الفريقين في قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أنها نزلت في علي (عليه السلام)[١] وهو أعلى منزل لهذه النازلة الفاضلة كتأويل بأعلى المصاديق واعلى منه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فانه وده فوق ودّه ، فهذا ـ اذا ـ تأويل مصداق مختلف فيه في قمة الود ، يذكره الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كأنه فقط ذلك الود وترفيعاً لمنزلته وتثبيتاً لمحتده ، وهذا لا ينافي في عموم الآية لـ « الذين آمنوا وعملوا الصالحات » ككل كما هو منطوقها وقد نطق به الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)[٢]:

﴿فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لداً[٩٧] وكم اهلكنا قبله من قرن هل تحس منهم من أحدٍ او تسمع لهم ركزاً﴾[٩٨].

«يسرناه بلسانك» لا فقط «بلغتك» ، فمن العربية ما هي صعب التفهم ومن غيرها سهلة ، ولكن القرآن العربي اليسر في نفسه بلسان محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بياناً له وتبياناً ، فيه مثلث بارع

---

(١) القمي باسناده عن ابي بصير عن الصادق (عليه السلام) قلت قوله عز وجل « . . سيجعل لهم الرحمٰن وداً» قال : ولاية امير المؤمنين هي الودُّ الذي ذكره الله ، وفي الدر المنثور اخرج ابن مردويه والديلمي عن البراء قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام) قل : اللهم اجعل لي عندك عهداً واجعل لي عندك وداً واجعل لي في صدور المؤمنين مودة فانزل الله الآية . . .

(٢) الدر المنثور اخرج الحكيم الترمذي وابن مردوية عن علي (عليه السلام) قال : سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن قوله « سيجعل لهم الرحمٰن وداً » ما هو ؟ قال : المحبة في قلوب المؤمنين والملائكة المقربين ، يا علي إن الله أعطى المؤمن ثلاثاً : المتعة والمحبة والحلاوة والمهابة في صدور الصالحين .

من التيسير ، وهذه سنة دائبة للرسل ان يرسلوا بلسان قومهم ، لا فقط بلغتهم : « وما ارسلنا من رسول إلّا بلسان قومه ليبين لهم » (١٤ : ٤) « فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون » (٤ : ٥٨)

فالتبيين بالقرآن والتبشير والإنذار والتذكار ، كل ذلك على ضوء مثلث التيسير تاخذ مسيرها في العالمين كأوضح ما يمكن بياناً للقرآن العظيم ، الذي « فيه تبيان كل شيءٍ » حاوياً كافة المعارف الممكن التعرف اليها وحياً الى البشير النذير ، تبشيراً للمتقين وانذاراً لقوم لدٍّ لا يؤثر فيهم التبشير « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر » .

« يسرناه بلسانك » بعد ان كان عسيراً في ام الكتاب : « إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون ، وإنه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم » (٤٣ : ٤) تيسيراً للمحكم بتفصيل ، وتيسير ثان تفصيله باللغة العربية ، وثالث تفسيره ببيان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) تبيناً للقرآن بنفسه إذ يفسر بعضه بعضاً ، وتبييناً ثانياً بسنته .

« وكم اهلكنا قبلهم من قرن » جماعات في قرون مضت قِرن بعض وتلوه « هل تحس منهم من أحدٍ » أثراً « او تسمع لهم رِكزاً » صوتاً ، فلا صيت لهم ولا صوت ، وانما موتٌ دون فوت .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفهرس

الموضوع ـــــــــــــــــــــــــــــــ الصفحة

﴿سورة الكهف﴾ «لم يجعل له عوجاً ؟ صعيداً جرزاً
١٨ ـ ١٩

اصحاب الكهف والرقيم من الآيات العجاب ! من هؤلاء الفتية ؟ ضربٌ على آذانهم ..... ٢٢ ـ ٣١

« انهم فتية آمنوا . . »، «اذ قاموا» وكيف ؟ الشمس تزاورهم وتقرضهم ، اين كهفهم ؟ ..... ٣١ ـ ٤٣

« يوماً او بعض يوم » ! « وكذلك اعثرنا عليهم لـ . . » عددهم ؟ يعرف بالتأمل في آياتهم ! ..... ٤٤ ـ ٥٧

« هل قال الرسول (ص) إني فاعل دون « ان شاء الله» حتى ينهى ؟
٦١ ـ ٧٠

« لا مبدل لكماته . . » من ادلة ختم الوحي وعدم نسخه ـ ما هي « ثلاثمائة سنين وتسعاً »؟ ..... ٦٨ ـ ٧٣

ينهى الرسول عن اشياء لم يقترفها ! ..... ٦٩ ـ ٨٢

مثل الجنتين ـ « قال له صاحبه » تهدم صرح صاحب الغار ! . . ٨٧ ـ ١٠٢

كيف « عرضوا على ربك صفاً » وهم حاضرون عنده منذ كانوا ؟
١١٠ ـ ١١٢

سجود الملائكة لآدم لم يكن سجود عبادة ولا احترام ـ وما كنت متخذ

الموضوع	الصفحة

المضلين عضداً ....

الغاية الصالحة لا تبرر الوسيلة غير الصالحة .... ١١٥ ـ ١٢٥

كيف يتعلم موسى من خضر وهو الرسول اليه ؟ تفاصيل هذه الرحلة المدرسية العالية ....

مسائل عقائدية-فقهية ـ اخلاقية ـ دراسية . آداب والتعلُّم .. ١٣٤ ـ ١٥٨

قصص ذي القرنين ـ من هو وما هي الاسباب المستخدمة له ؟ ....

ما هو سدُّ ذي القرنين ـ من هم ياجوج ومأجوج ؟ وهل هم الأصلاء في الافساد العالمي أم هم بنو اسرائيل وهؤلاء اتباعهم ؟ .... ١٦٢ ـ ٢٢٣

الأخسرون اعمالاً ؟ البحر المداد ـ الرئاء من الشرك ...... ٢٣٣ ـ ٢٤٦

﴿سورة مريم﴾ماذا تعني « كهيعص » الانبياء يورثون المال كما العلم ٢٥١ ـ ٢٦٠

« انى يكون لي ولد » أليس نكراناً لآية الهية موعودة ؟ ...... ٢٦٢ ـ ٢٦٦

« وآتيناه الحكم صبياً » وما هو الحكم « ويوم يبعث حياً »؟ .. ٢٦٧ ـ ٢٧٧

زكريا ويحيى في القرآن والعهدين .... ٢٧٧ ـ ٢٧٨

«واذكر في الكتاب مريم » هزات لمريم في الحمل والولادة العجيبة ......

قول فصل في رمز الولادة ـ كيف حملت ووضعت ؟ مقارنات بين مريم ..

القرآن ومريم الانجيل ـ قال اني عبد الله .... ٢٨٢ ـ ٣١١

صحة الاناجيل خطر على قدسية المسيح عليه السلام ـ المسيح وامه حسب الانجيل .... ٣١١ ـ ٣١٦

مريم والمسيح في القرآن ـ متى ارسل بالانجيل وصار نبياً؟ ... ٣١٦ ـ ٣٢٣

ابراهيم يحاور اباه آزر ـ قد يجوز السلام على المشرك فضلاً عن الجواب ٣٢٩ ـ ٣٤٨

من هو اسماعيل صادق الوعد ؟ بشارة من كتاب ادريس بحق الرسول (ص) .... ٣٤١ ـ ٣٤٤

الموضوع ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ الصفحة

كلنا ندخل النار يم ينجّى المتقون .... ٣٧٠ ـ ٣٧٥
« فانما يسرنا بلسانك »؟ .... ٣٨٩ ـ ٣٩٠

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی